وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـة بغداد

كلية الآداب - قسم التاريخ

طريق الحج البري من الحيرة الى مكة قبل الاسلام

رسالة تقدم بها

حســن كاظــم دخيــل

إلى مجلس كلية الآداب – جامعة بغداد

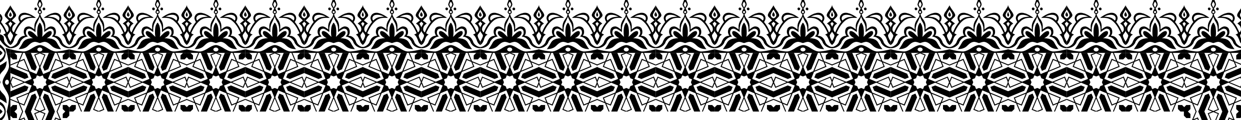
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير آداب في

التاريخ القديم

باشراف

الدكتور جواد مطر الحمد الموسوي

١٤٢٦ هـ   بغداد   ٢٠٠٥ م



بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ
وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيـــــــمٌ)

(البقرة:١١٥)

صدق الله العظيم

الإهداء

قد عرفنا إن الإهداء بمعناه لا بما يساوي من سعر

لذا فاهـــــــــــداء الحرف لمن يقدر

وعليه أتقدم بـــــــه لشريكة العمر

زوجـــــــــتي

حسن

شكـر وتقديـر

بفخر أتوجه بجزيل الشكر والتقدير والعرفان إلى أستاذي الفاضل وأخي الأكبر السيد الدكتور جواد مطر الحمد الموسوي على توجيهاته وملاحظاته المفيدة التي دفعت الرسالة نحو الأفضل والأحسن ، فجزاه الله عنا خير الجزاء ووهبه الصحة والعافية ، وأعانه على كلمة الحق .

ويلزمني واجب العرفان ان اتقدم بخالص شكري وامتناني للأستاذ الدكتور مرتضى حسن النقيب على جهوده المبذولة في المجال العلمي والإداري لإخراج الرسالة بهذه الصورة، كما لا يسعني الا ان اشكر للأستاذ الدكتور احمد مالك الفتيان وجميع اساتذة قسم التاريخ الكرام وأخص منهم من ساهم بتدريسي في السنة التحضيرية، وباعتزاز كبير اشكر موظفي مكتبات الجامعة والقسم على ما أبدوه من مساعدة، وأسجل آيات الشكر والتقدير للأستاذة نغم الجنابي التي ساعدتني في ترجمة النصوص الإنجليزية التي احتجت إلى ترجمتها .

وختاما اسأل الباري عز وجل ان يوفق العاملين لإنارة الحياة بالعلم والمعرفة، واشهد أن (وفوق كل ذي علم عليم).

ومن الله العون والتوفيق والسداد

الباحث

قائمـــــة المحتويـــــات

الـمـوضـوع | الـصـفـحـة

قائمة المحتويات

المحتويــــات

الـمـوضـوع	الـصـفـحـة

قائـــــمة المحتويـــــات

الـمـوضـوع	الـصـفـحـة
ثالثا- المسوح الميدانية الحديثة للطريق القديم	١٨٤
١- المحطات	١٨٦
أ- الرحبة	١٨٦
ب- بركة زبيدة	١٨٦
ج_ منارة ام القرون	١٩٠-١٨٧
٢- المسوح الحديثة لبرك المياه على طريق الحج القديم...............	١٩٣-١٩٠
الخاتمة	١٩٦-١٩٥
الملاحق	٢٠٦-١٩٧
فهرست المصادر والمراجع	٢٢٤-٢٠٧
الملخص باللغة الإنجليزية	

المقدمة :

تمهيـد :

"التـاريخ فـي العصـر الجـاهلي هو أضـعف مـا كتـب عنـه المؤرخـون العرب فـي تـاريخهم لأنـه يحتـا ج إلـى التحقيـق والتـدقيق والغربلـة ، وأكثـر مـا ذكـروه ، أسـاطير وقصص شعبي وأخبار أخذت عن أهل الكتاب ولاسيما اليهود"[١].

آثرت أن أقف عند هذه المقولـة التـي ذكرهـا عـالم جهبذ عرف باطلاعه الواسع ومعلوماتـه الثـرة عـن الحقبـة التـي سـبقت الإسـلام، وسـعة إطلاعـه علـى مصـادر معلوماتها العربية والأجنبية، وهو في ذلك كالجراح الذي يتفنن فـي عملـه الجراحـي لتطبيب مرضاه لا بمخترعاته الشخصية بل بدقة إطلاعه وسعته على مخترعات من سبقه فاصبح متواصلا معهم ماديا دون صلة الزمان والمكان.

وإذا كانت نصوص التاريخ العربي قبل الإسلام يعتريها الشك وتحتـا ج إلـى النقد والـى إسنادها إلـى طرق البحث الحديثـة.فأنـا أظن ان ذلـك يرجـع إلـى عدم تـدوين الأحداث في زمانها بل دونت في المدة التي تلتها وهذا يضعف من دقـة المعلومـات ولا سيما اذا كان التصور والقصص لا غيرها هي مصادر تلك الحقبة.

وعلـى ذلـك فالباحـث فـي موضـوعات مـن هـذا النـوع مطلـوب منـه سـعة الاطـلاع وتنوع المصادر وتتبع المعلومات .

١- أهميـة الموضـوع :

تأتي اهمية الموضوع من أنـه يلقي الضوء علـى طريق يـربط التجارة بـالحج قبل ان يربط الحيرة بمكة، وهذا التلازم بين المعتقدات والعبادات من نـاحيـة والتجارة مـن ناحيـة اخـرى كـان العلامـة الدالـة للحقبـة التـي سـبقت الاسـتلام فتبـين ضـعف ممارسـة الطقـوس دون اقترانهـا بالنشـاط الاقتصـادي ، وأدى الأخيـر دور المحفـز للنشاط الديني وطقوسه ولاسيما (الحـج)، كمـا ان شبـه الجزيرة العربيـة أدت دور

---

[١] علـي، جـواد ، المفصـل فـي تـاريخ العـرب قبـل الاسـلام، مكتبـة النهضـة بغـداد، ودار العلـم للملايين (بيروت، ١٩٧١م) ، ج١، ص٤٢.

الوسيط في التبادل التجاري بين الهند وافريقيا من ناحية وبلاد الرافدين والامبراطورية الرومانية من ناحية اخرى.

وهذا الطريق استخدم قبل الإسلام وهو موضوع رسالتي ، على انه استمر استخدامه في العصر الإسلامي حتى إن بعضهم عده عباسياً بسبب التحسينات العظيمة والتجديدات التي طرأت عليه في عصر الخلافة العباسية من إقامة العلامات الميلية والمنارات ومحطات الاستراحة والآبار والبرك و الحصون والاستحكامات، وبلغت ذروة الاهتمامات في زمن الخليفة هارون الرشيد(١٧٠ – ١٩٣ هـ / ٧٨٦ – ٨٠٩ م) وزوجته زبيدة في أواخر القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ، إذ زود بالعلامات الإرشادية والشواهد الحجرية والمنارات والمحطات كما تم تعيين مراقبين رسميين للطريق لمتابعته بشكل مستمر وتفتيش محطاته وتمويل ترميماته لذا سمي الطريق بـ (درب زبيدة) بسبب اهتمام زوجة الخليفة زبيدة به .

٢- مسوغات الاختيار :

جاء اختيارنا لهذا الموضوع سداً لنقص المعلومات حول الطريق الذي يربط دولة الحيرة بمكة من جهة ومكانتها العظيمة من جهة اخرى وما ترتب على ذلك من نشوء علاقات اقتصادية واجتماعية وعلمية فمن الحيرة حمل الخط العربي الى مكة.

وفي ظني انه لم يسبق تناول موضوع الطريق من الباحثين الا مجتزأً،فالمصادر القديمة تذكر محطاته بتفاوت واقتضاب والمراجع الحديثة لا يوجد منها سوى رسالة دكتوراه باللغة الانكليزية قدمها سعد عبد العزيز الراشد الى جامعة الرياض واعتنى بمسح المحطات وبرك المياه (اطلالها في الوقت الحاضر فقط) ولم يتناول عمقها التاريخي واقتصرت الرسالة على المحطات التي في ضمن حدود السعودية في الوقت الحاضر فقط وقد نوقشت سنة ١٩٧٧م .

كما قدم الدكتور عبد الستار العزاوي مسحا لإطلال المحطات في الجزء الذي يقع داخل أراضي العراق، وهو بحث صغير الحجم.

٣-المنـهج المتبـع :

اتبعنا المنهج الذي نؤشر فيه كل محطة من محطات الطريق ونرجع الى اصل تسميتها في المعاجم اللغوية وماذا تعنيه، وذكر المسافة بينها وبين المحطة التي تليها بحسب ما موجود في المصادر التاريخية فقد تفاوتت المعلومات بين محطة واخرى فالمعلومات المتوافرة عن الحيرة ومكة هي ليست كتلك المتوافرة عن واقصة وفيد وسميراء .... وغيرها ، و هذا يعني ان اغلب المنهج المتبع هو المنهج (الوصفي) ويأتي بعده المنهج (الاحصائي) لعمل الجداول المهمة.

٤- المحتويـات والتبويـب :

تتضمن الرسالة اربعة فصول ، فضلاً عن المقدمة والخاتمة والمصادر والمراجع.

تناولنا في الفصل الاول الحج والتجارة عند العرب قبل الإسلام ، وشمل موضوع الحج ومناسكه ووظائفه في مكة قبل الإسلام والتجارة في الحيرة ومكة قبل الاسلام ، بينما تركز موضوع الرسالة على الفصلين الثاني والثالث إذ تم عرض كل المحطات التجارية وترتيبها عند الكتابة ودراستها الواحدة تلو الأخرى بحسب الترتيب الجغرافي من الحيرة الى مكة.

اما الفصل الرابع والأخير فقد كان بعنوان (مصادر المياه والمسوح الميدانية الحديثة للطريق القديم) وقد ركزنا فيه على اهم مصادر المياه وأطلال البرك في الوقت الحاضر.

٥-الصعوبـات :

ان الأحوال العامـة التـي لا تحتـاج إلـى سرد هـي قطعـا تضيق علـى الباحـث وتصعب مهمته وأحيانا تصرفه عن مبتغاه ولكنها في الوقت نفسه تجربة عمليـة لا نظرية يتعلم منها الباحث روح المثابرة والإصرار على إنجاز مشروعه وعدم اليأس وهذا أول مـا تعلمنـاه فـي دراستنا أن يكـون الباحـث صبورا ومصراً علـى تحقيـق مشروعه.

وكنت اطمح إلى القيام بمسح ميداني للطريق فحصلت بعد موافقة رئاسة القسم على كتاب صدر عن كلية الاداب معنون الى السفارة السعودية لغرض المساعدة ولعدم وجود سفارة في بغداد سافرت الى عمان وقدمت طلباً ملحق بـه كتـاب الكليـة لإجراء المسح الميداني الا انهم رفضوا أعطـاء تأشيرة الدخول أن القاعدة المتبعة لديهم ان تستدعي إحدى الجامعات السعودية الباحث وليس العكس، وفيما يتعلق بالمسح الميداني داخل الأراضي العراقيـة فقد أخذت كتاب المساعدة الصادر عن الكليـة الـى محافظـة النجف التـي تبدأ منهـا الدراسـة الميدانيـة، وقد حالـت أحوال المحافظـة الأمنيـة دون الذهاب للمسـح الميـداني، واكد المسؤولون فـي المحافظـة صعوبة المهمة وعدم ضمان سلامة الباحث.

٦- مظان البحث المهمة :

اعتمدت على مصادر متنوعة منها الأوليـة ومنـها المراجـع الحديثـة والدوريات والرسائل الجامعية والمصادر الاجنبية و يمكن تقسيمها على النحو الآتي :

أ- كتـب البلـدانيين : وفـرت لنـا هـذه المصـادر معلومـات عن رسـم الطريـق وان غلب على معلوماتها الاقتضاب ومن اهم هذه الكتب الاعلاق النفيسـة لابن رسته (ت ٢٩٠ هـ) والبلدان لليعقوبي (ت ٢٩٢ هـ) والمسالك والممالك لابن خرداذبه (ت ٣٠٠ هـ) وغيرها.

ب- المعاجم : وشملت المعاجم اللغوية والجغرافية ، التي من خلالها أوردنا تفسيرات لمعانٍ وأسماء المحطات، منها : لسان العرب لابن منظور ومعجم البلدان لياقوت الحموي.

ج- كتب الأنساب : واغنت هذه الكتب بمعلوماتها النواحي الاجتماعية كأسماء القبائل وتفرعاتها ومنها كتاب المعارف لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) وجمهرة النسب لابن بكار (ت ٢٥٦ هـ) وجمهرة انساب العرب لابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) .

د- الكتب التاريخية : التي تمثل المصادر الاولية ، كـ(وفيات الأعيان لابن خياط (ت ٢٨١ هـ) والطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٣٠ هـ) والاصنام لابن الكلبي (ت ٢٠٤ هـ) والعقد الفريد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) وعيون الأخبار لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) .

هـ- الكتب الحديثة: التي نطلق عليها المراجع ومنها كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ومقدمة في تاريخ الحضارات القديمة لطه باقر وكتاب الحيرة ومكة لكستر والعرب في العصور القديمة للطفي عبد الوهاب يحيى.

و- الحوليات والدوريات: ومنها مجلة الاطلال ومن بحوثها المهمة مصادر المياه في محطات درب زبيدة لتوني ولكنسون، والمجلة التاريخية وفيها السيول في منطقة مكة لاحمد سعيد حديد وغيرها.

ز- الرسائل الجامعية: وهي رسائل دكتوراه ورسائل ماجستير منشورة وغير منشورة التي مما له صلة بموضوعنا ومنها رسالة خالد موسى الحسيني الموسومة بـ (الحياة الاجتماعية في الحيرة في عهد دولة المناذرة) ورسالة

صلاح عباس حسن الموسومة بـ(الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل الاسلام) وغيرها.

٧- الهدف الذي نتوقع الوصول اليه:

مما ذكرنا فيما تقدم تتضح لنا اهمية هذا الطريق من النواحي الاقتصادية (التجارية) والدينية (الحج) والاجتماعية (تناقل القبائل) والحضارية (الخط العربي) والعسكرية (طريق لتحركات الجيوش) ، وهدفنا هو الوصول الى استظهار اهم المحطات، ونقترح احياء هذا الطريق في الوقت الحاضر والاستفادة منه للأغراض التجارية ولنقل الحجاج لقربه ولا سيما اذا تم تعبيده وصيانته وانشاء محطات الاستراحة عليه.

آملا ان تغني هذه الرسالة معلومات الباحثين والمختصين وان يكون فيما كتبته فائدة لمن يطلع وان ينال رضا اساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الكرام .

ومن الله التوفيق والسداد

الباحث

الفصل الأول :

أولاً : الحج عند العرب قبل الإسلام :

تمهيد :

شغلت المعتقدات والعبادات والطقوس الدينية حيزاً كبيراً ومهماً في حياة الشعوب القديمة ، إذ تركت آثاراً واضحة على مسيرتها الحضارية ، و لا نجانب الحقيقة إذا قلنا : أن الجانب الديني من أبرز العوامل المؤثرة في حضارات الأمم القديمة ، فهو يسهم في تحديد الأطر والتقاليد والأعراف والقوانين وله أثره في الحياة الاقتصادية والفكرية .

ومما لا شك فيه ان المعتقدات الدينية قديمة قدم الإنسان ، فهي ترجع إلى أزمان بعيدة من عصور ما قبل التاريخ ، ومن البديهي أن نفترض إن الفرد في العصور القديمة الأولى كان يتعبد في بيته قبل أن تنشأ فكرة إقامة المعابد ، إذ كان المعبد في أقدم أطواره حجرةً صغيرةً مشيدةً باللبن وتحيطها أرض مربعة الشكل تقريباً ولا يزيد طول ضلعه عن ثلاثة أمتار فيها تجويف يعرف بهيكل المعبد [١] ولقد سمي الطريق الذي نحن بصدد دراسته بطريق الحج وهو في الوقت نفسه من الطرق التجارية القديمة ولإرتباط الحج بالتجارة غلب هذا الاسم لذلك لا بد لنا من تناول الحج عند العرب قبل الإسلام قبل الدخول إلى الموضوع (طـريق الحج).

١. الحج قبل الإسلام :

---

[١] باقر ، طه : وآخرون ، تاريخ العراق القديم ، مطبعة جامعة بغداد ، (بغداد ، د ، د) ج٢ ص٢٧ .

يعد الحج من أقدم المظاهر من حيث الشعائر و الطقوس الدينية العربية القديمة وقد أسهب اللغويون في استعراض هذه المفردة الثنائية الأصل ، وهي اسم صوت يخرج من الفم عند إجهاد النفس ، كما يجري عند الأعمال اليدوية التي تتطلب جهدا كبيرا مثل اعمال النجارين والحدادين وغير ذلك ، ثم دلت الكلمة على الدوران ثم الاحتشاد في المواسم والأعياد ، وثم القصد ثم الزيارة الى المقاصد ، ومن المعاني الأخرى لكلمة الحج هو كثرة القصد الى من يعظم [١] ، ولعله أراد بذلك التوجه الى مكان بعينه يحظى بمنزلة كبيرة لدى قاصديه ، وكذلك ورد أن الحج يعني التوجه " حج ألينا فلان أي قدم " أي توجه إلى البيت بالأعمال المشروعة فرضاً وسنة ،أي يقصدونه ويزورونه [٢] ، والحج كذلك يعني القصد :وهو كثرة الاختلاف و التردد [٣] .

حج العرب إلى الكعبة سواء أفي الحجاز كانوا أم في خارجها ، وطافوا حول البيت وقدسوه وأقسموا به يقول الشاعر زهير بن أبي سلمى [٤]:

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوة من قريش وجرهم[٥]

---

[١] الفراهيدي ، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت ١٧٥ هـ) ، العين ، تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد (بغداد ، ١٩٨١) ، ج٣ ، ص٩ .

[٢] ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت ٧١١هـ) لسان العرب ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٥٦ م) ، ج٢ ، (مادة حج) .

[٣] الزبيدي محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق مصطفى حجازي ، مطبعة الكويت (الكويت ، ١٩٦٩ م) ، ج٥ ، ص ٤٥٩، مادة حج) .

[٤] زهير بن أبي سُلمى : زهير بن أبي رباح بن ثور بن الحارث بن مازن .... بن طابخة بن الياس بن مضر ، من أبرز شعراء العرب . ينظر : ابو الفرج الاصفهاني ، علي بن محمد القرشي (ت ٣٥٦هـ) الأغاني ، تحقيق إبراهيم الابياري ، دار الشعب (القاهرة ١٩٧٠ م) ، ج١٠ ، ص٣٢٢ .

[٥] الشنتمتري ، ديوان زهير بن أبي سلمى ، المكتبة العربية ، (حلب ، ١٩٧٠م) ، ص١٠

وبعد انتهاء النبي إبراهيم (عليه السلام) من بناء البيت الحرام بمكة أمره الله عز وجل أن يؤذن في الناس بالحج ، وهذا ما جاء في قوله تعالى " وآذن في الناس بالَحج َيأتوُك رِجالاً وعلى كُلّ ضامرٍ َيأتين مِن كُلّ فَجّ َعميق " [١]

وأصبحت الكعبة من أهم بيوت العبادة عند العرب ، ونالت قدسية ومكانة عالية فاقت غيرها ، كونها أول بيت للحج ، إذ قال تعالى : " إن أَولَ َبيتٍ ُوضِع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين " [٢] .

وكان العرب في جاهليتهم يحجون إلى الكعبة من جميع أرجاء الجزيرة العربية ، فحج أليها ملوك حمير وكندة وغسان ولخم [٣] . كما حج أليها بعض شعوب الأمم الأخرى منهم الهنود والفرس [٤] .

وللحج ارتباط كبير بالحياة الاجتماعية والاقتصادية عند العرب [٥] ، فقد كان للكثير من تقاليده أثر واضح في حياة العرب العامة ، فكانوا يتخذونه وسيلة من وسائلهم الاجتماعية ، إذ يفدون إلى مكة من كل صوب فيلتقون في موسم الحج وأسواقه [٦] ، في ظل الأشهر الحرم [٧] ، فيجتمعون ويتعارفون ويتبادلون المنافع

---

[١] سورة الحج : آية ٢٢ .

[٢] سورة آل عمران : آية ٩٦ .

[٣] الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان دار صادر ، (بيروت ، ١٩٥٥ م) ، ج٥ ، ص١٨٣ .

[٤] الخربوطلي علي حسني ، تاريخ الكعبة ، دار الجيل ، (بيروت ، ١٩٧٦م) ، ص١١ .

[٥] البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت٤٤٠هـ) : الآثار الباقية عن القرون الخالية تحقيق أدور ساكو ، (لا يبزك ، ١٩٢٣م) ، ص٦١ .

[٦] ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن أمين الهاشمي (ت ٢٤٥هـ) : المحبر ، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسن السكري ، دار الافاق الجديدة ، (بيروت ، ١٣٦١هـ) ، ص٢٦٣ .

[٧] المرزوقي ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١هـ) : كتاب الأزمنة والأمكنة ط١ حيدر اباد ،(الدكن ، ١٣٣٢هـ) ، ج١ ، ص٨٩ .

من بيع وشراء ومبادلة ، ويعقدون مجالس المفاخرات والمشاورات وحل المشكلات ، وكل صاحب دعوة يريد أن يعلن عنها، يجد في موسم الحج مجالاً واسعاً وصالحاً . [١]

ونتيجة ارتباط الحج بهذه الأمور فأن موعده لم يكن ثابتاً ، بل يتغير من سنة إلى أخرى ، بحسب الأحوال المرتبطة بهم ، مما جعلهم يؤخرون (ينسؤون) الأشهر الحرم [٢] فيبدأون عادة بشهر محرم ، فيحلون فيه أعمالهم ويؤجلون حرمته إلى شهر صفر ، وهذا ما عرف بالنسيء [٣][٤] ، والأشهر الحرم قبل الإسلام كانت من ٢٠ ذي الحجة إلى نهاية العشرة الأوائل من شهر ربيع الآخر . وأشهر الحج معلومات هي (شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة)[٥] .

وعرف الحج عند العرب في شبه جزيرة العرب منذ عهد بعيد ، إذ كانت لديهم بيوت عدة يحجون أليها ويؤدون القرابين وينحرون الجزور عندها [٦] وأشهر هذه البيوت الكعبة وبيوت معظمة أخرى منها :

١. بس : بيت لقبيلة غطفان بناه ظالم بن أسعد لما رأى قريشاً يطوفون بالكعبة ويسعون بين الصفا والمروة ، فذرع البيت وأخذ حجراً من الصفا والمروة

---

[١] الخربوطلي ، تاريخ الكعبة ، ص٧.

[٢] الازرقي ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت٢٥٠هـ) : أخبار مكة المشرفة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي صالح الملحسن ، دار الأندلس ، (مكة المكرمة ١٣٨٥هـ) ، ج١ ، ص١٨٤ .

[٣] الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر (ت ٥٣٨هـ) الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ١٩٤٧م) ، ج٢ ، ص٢٧٠ .

[٤] النسيء : يعني تأخر الشهر إلى شهر آخر . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ (مادة نسأ) .

[٥] ابن منظور ، المصدر نفسه ، ج٢ ، (مادة حج) .

[٦] ابن الكلبي ، ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤هـ) ، الأصنام تحقيق أحمد زكي باشا ، ط٢ ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة ، ١٩٢٤م) ، ص٣٨.

وبنى في قومه بيتاً إجتزأ به عن الحج ، فأغار زهير بن جناب الكلبي فقتل ظالماً وهدم بناءه [١] .

٢. رِئام : كان لحمير بصنعاء ، وهو بيت يعظمونه ويتقربون عنده بالذبائح وعند مجيء تُبع إلى العراق هدمه بموافقة الحبران اللذان صاحباه ، وتهود تبع وأهل اليمن واختفى اسم رِئام من الأسماء والأشعار [٢] .

٣. الربة : هو البيت الذي بني على اللات ، وفي رواية أنه كان بنجران [٣] .

٤. رضى : بيت كان لبني ربيعة بن سعد بن زيد مناة [٤] .

٥. القليس : وهي التي بناها إبرهة الأشرم في صنعاء ، وهي مبنية من الرخام وجيد الخشب المذهب وكتب إلى ملك الحبشة " إني قد بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها أحد قط ، ولست تاركاً العرب حتى أصرف حجهم عن بيتهم فبلغ ذلك بعض نسأة الشهور ، فبعث رجلين من قومه وأمرهما أن يتغوطا فيها ففعلا ، فلما بلغه ذلك غضب وقال : من أجترأ على هذا فقيل : بعض أهل الكعبة ، فغضب وخرج بالفيل ، فكان من أمره ما كان " [٥] .

٦. ذو الكعبات : بيت لربيعة كانوا يطوفون به [٦] .

أما الأصنام فأعظمها (هُبل) وكان لقريش ومكانه في جوف الكعبة [١] و(العزى) التي كانت قريش تخصها دون غيرها بالزيارة والهدية ، و(اللات) فقد كانت تخصها ثقيف [٢] ، ومناة التي كانت تخصها الأوس والخزرج [٣] .

---

[١] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص١٢.

[٢] المصدر نفسه ، ص١٢.

[٣] المصدر نفسه ، ٢٢.

[٤] المصدر نفسه ، ص٢٢.

[٥] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص٤٧.

[٦] المصدر نفسه ، ص٤٨.

وكانت الأصنام الأربعة المذكورة أكثر إعظاماً في نفس قريش من تلك التي جلبها عمرو بن لحي [٤] وهي (ود وسواع ويغوث ونائلة وذو الخلصة ومناف) وكانت قريش تسمي (عبد مناف) ، ولأصنامهم قدسية فلم تكن الحيض من النساء تدنوا منها ولا تمسح بها ، إنما كانت تقف ناحية منها [٥] . و (سعد) وهو صخرة طويلة وكان لمالك وملكان أبني كنانة ، و(ذو) الكفين الذي كان لروس ثم لبني منهب بن دوس ، و(ذوالشرى) لبني الحارث بن يشكر بن مُبشر من الأزد و(الأقيصر) الذي كان لقضاعة ولخم وجذام ، وعامله وغطفان في مشارف الشام كما كانت (عائم ونهم وسعير وعُياس) من أصنام شبه الجزيرة العربية ، وفي الإسلام أصبح الحج إلى مكة ، وقد قال سبحانه وتعالى " فيه آياتُ بَيناتٌ مَقاُم إبراهيَم وَمَن دَخَلَه كانَ آمِناً ، ولله عَلَى الناسِ حِجُ البيتِ من أستَطاعَ إليه سَبِيلا وَمَن كَفَر فإنَّ الله غني عَنِ العَالَمِين " [٦][٧]

٢.مكة قبل الإسلام:

---

[١] المصدر نفسه ، ص٢٣.

[٢] المصدر نفسه ، ص٤٢-٤٣.

[٣] المصدر نفسه ، ص٤٢-٤٣.

[٤] عمرو بن لحي : عمرو بن لحي بن قمعة بن خندق ، أبو خزاعة ، أول من بدل دين إبراهيم ، نقل الاصنام من بلاد الشام إلى شبه جزيرة العرب . ينظر : ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦هـ) ، جمهرة أنساب العرب ، ط٢ تحقيق لجنة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٣ م) ، ص٢٣٣ .

[٥] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص٢٩.

[٦] سورة آل عمران : الآية ٩٧ .

[٧] حدد الحج في الإسلام على الأرجح في السنوات من (٥-١٠) للهجرة .

قامت مدينة مكة على أسس دينية بحتة ، فالكعبة كانت هي العامل الرئيس لنشوئها كمدينة [1] ، غير أن الروايات اختلفت فيمن بنى الكعبة أول مرة إن كانت الملائكة ، آم آدم عليه السلام [2] آم ابنه شيت [3] .

وحج الملائكة وادم إليها إلا إنها لم تكن واضحة في بيان ترتيب المناسك التي كانوا يحجون فيها وغدت تلك المناسك واضحة عندما حج النبي إبراهيم (عليه السلام) فهو أول من أدى مناسك الحج بترتيبها المتعارف عليه ، يعد

---

[1] الخربوطلي ، تاريخ الكعبة ، ، ص٧.

[2] المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ) ، أخبار الزمان ومن أبادة الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران ، دار الاندلس للطباعة والنشر (بيروت ١٩٦٦ م) ، ص٧٣ ، الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر ابن أحمد (ت ٥٤٨هـ) . الملل والنحل ، ط٢ ، تحقيق محمد سيد الكيلاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت ، ١٩٧٥) ج٢ ، ص٢٣٢-٢٣٣ ؛ السهيلي ابو القاسم عبد الرحمن بن احمد بن ابي الحسن الخثعمي (ت ٥٨١هـ) ، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت ، ١٩٧٨ م) ج١ ص٢٢-٢٢٣ ، ابن الجوزي ، ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ) الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مطبعة السعادة (مصر ، د - ت) ج١ ص١٤٦ ، الكلاعي ، سليمان بن موسى الاندلسي (ت ٣٤هـ) الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مطبعة السنة المحمدية (القاهرة ، ١٩٦٨ م) ج١ ،ص٤٦-٥٠ ، العمري ، ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، دار الكتب المصرية (القاهرة ، ١٩٢٤) ، ج١ ،ص١٠ ، الديار بكرى ، حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦هـ) ، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، (القاهرة ١٢٨٣هـ) ، ج٢ ،ص٨٨

[3] ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ) ، المعارف ، تحقيق محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، المطبعة الإسلامية (مصر ، ١٩٣٤ م) ، ص١٠ =المسعودي ، أخبار الزمان ، ص١١٠ ، السهيلي ، الروض الأنف ، ج١ ، ص٢٢٢ المكي عبد الملك بن حسين بن عبد الله العصامي (ت ١١١١ هـ) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، المطبعة السلفية (د. م. ، د. ت) ، ج١ ، ص٨٨ .

انتقاله من فلسطين الى مكة إمتثالا لأمر الله سبحانه في بناء البيت " وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود " [١] ، " وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم " [٢] وبعد أن تم بناؤه البيت مع ابنه إسماعيل (عليهما السلام) ويعتقد أن ذلك بنحو سنة(٢٥٧٢ ق. م) [٣] بدأت المرحلة الثانية وهي الآذان بالحج (وإذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق " [٤] ،وتعلم المناسك " ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وارنا مناسكنا وتب علينا ، أنك أنت التواب الرحيم " [٥] . وكان إبراهيم (عليه السلام) يفكر في الكيفية التي سيصل بها صوته الى كل الناس ليبلغهم أمر ربه " لما فرغ إبراهيم من بناء البيت الحرام قال : أي رب أني قد فعلت فأرنا مناسكنا ، فبعث الله تعالى إليه جبريل فحج به ... ثم علا على ثبير فقال : يا عباد الله أجيبوا ربكم ، فسمع دعوته من بين الأبحر ممن في قلبه ذرة من إيمان ، فقالوا لبيك اللهم لبيك " [٦]

وعلم إبراهيم (عليه السلام)هذه المناسك لأبنه إسماعيل وأمره ان يقيم للناس الحج [٧] وبهذا تنتهي مهمة إبراهيم عليه السلام ويعود الى فلسطين [١]

---

[١] سورة الحج ، اية : ٢٦ .

[٢] سورة البقرة ، آية : ١٢٧ ، الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج١ ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٨٨ م) ، ص٥٤٦-٥٤٧ .

[٣] عطار ، احمد عبد الغفور ، الكعبة والكسوة منذ أربعة الاف سنة حتى اليوم (مكة المكرمة ، ١٩٧٧ م) ، ص١٥ .

[٤] سورة الحج ، آية : ٢٧ ؛ داود جرجيس داود : أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي ، ط١ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، (بيروت ١٩٨١م) ، ص٢١٢ .

[٥] سورة البقرة ، آية : ١٢٨ .

[٦] الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص٤٧ .

[٧] المصدر نفسه ، ج١، ص٤٧.

ثم تولى إسماعيل (عليه السلام) الإشراف على أمور الكعبة بعد أبيه من غير منافس لمكانته وفضله فأصبح (عليه السلام) إماماً للناس بتأدية المناسك وشعائر الحج [٢] .

وأصبحت العناية بأمور الكعبة ورعايتها بعد إسماعيل (عليه السلام) الى ابنه ثابت الذي سار على سيرة أبيه وجده وكانت الشعائر في عهدهم قائمة على الإيمان والتوحيد [٣] ولكن بعد وفاته آل أمر الكعبة الى قبائل جرهم بعد أن تخلى أبناء إسماعيل عنها من غير قتال وذلك لقرابتهم [٤].

واستمرت ولاية جرهم ثلثمائة سنة ، بعد أن تمكنوا من القضاء على السميدع ملك العماليق [١][٥] الذي كان ينافس زعامة جرهم على مكة .

---

[١] ابن سعد ، محمد بن منيع (ت ٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ، دار صادر (بيروت د. ت) ، ج١ ،ص ٤٨ .

[٢] ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك البصري (ت ٢١٨هـ) ، السيرة النبوية لابن هشام مع شرح ابي ذر الخشني ، تحقيق عبد الرحيم ومحمد بن عبد الله الصعاليك ، مكتبة المنار (الاردن ، ١٩٨٨ م) ، ج١ ، ص٣٧ –٣٨ ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٥ ، ص٥٢٨٠ .

[٣] الازرقي، أخبار مكة ، ج١، ص٨١ ؛ الكلاعي ، الاكتفاء ، ج١ ، ص٦٣ –٦٤ ؛ المكي ، سمط النجوم ، ج١ ، ص١٧٥ .

[٤] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٦٠؛ الازرقي، أخبار مكة ، ج١ ، ص٨١ ؛ البلاذري احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ) ، انساب الاشراف ، تحقيق ، محمد حميد الله ، دار المعارف (القاهرة ، ١٩٥٩) ، ج١، ص٨ ؛ الحلبي ، علي بن برهان الدين الشافعي (ت ١٠٤٤هـ) ، أنساب العيون في سيرة الأمين والمأمون المعروف بالسيرة الحلبية ، المطبعة الرمزية (القاهرة ، ١٩٣٢ م) ج١ ، ص١٠ .

[٥] السميدع ، كان ملكاً على مكة ، إذ إصبح العماليق ولاة الحكم في مكة فضيعوا حرمة الحرم واستحلوا منه أموراً عظاماً ونالوا ما لم يكونوا ينالونه . الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ص ٥٨ . ثم نزلت عليهم قبيلة قطورا بعد هجرتهم من بلاد اليمن ، في أجيادين أسفل مكة مع ابناء عمومتهم من جرهم.ابن هشام السيرة النبوية ، ج١ ، ص ١١٧ .

آل أمر الكعبة ومكة بعد جرهم إلى إياد بن نزار [٢] ، بيد إنهم سرعان ما بهدوء احتراماً منهم لحرمة الحرم [٣]، لكنهم هذه المرة وبسبب انتهاكهم حرمته فقد نشبت حرب عنيفة بين إياد وأبناء عمومتهم مضر[٤] ، ولما تبين لاياد هزيمتهم اقتلعوا الحجر الاسود من مكانه ودفنوه سراً وهاجروا الى العراق [٥] .

لكن امرأة من قبيلة خزاعة رأت (بني إياد) وهم يخفون الحجر الأسود فأعلمت قومها ، الذين اشترطوا لاعادته أن تكون لهم العناية بالبيت والاهتمام بشؤونه ونزلت مضر على رأيهم [٦] ويتولي خزاعة السيادة على مكة حدث الانقلاب الديني

---

[١] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٥٩ – ١٦٣ ؛ الازرقي ، أخبار مكة ج١ ، ص٨٢-٨٦ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٥٠ ؛ الكلاعي ، الاكتفاء ج١ ، ص٦٤ – ٦٥ .

[٢] إياد بن معد بن عدنان ، وإياد ينسبون إلى القبيل الأكبر ، ليس منهم قبيلة مشهورة . ابن قتيبة ، المعارف ، ص٦٤ .

[٣] ابن حبيب ، محمد بن أمين بن عمرو الهاشمي (ت ٢٤٥هـ) ، المنمق في أخبار قريش مطبعة دائرة المعارف العثمانية (الهند ، ١٩٦٤) ص٣٢٦ – ٣٤٩ ؛ اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت ٢٩٢هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، دار احياء التراث العربي (بيروت ، ١٩٨٨م) ، ج١ ، ص٢٠٨ ، ٢٢٤ ، المسعوي ، مروج الذهب ج٢ ص٥١ الفاسي ابو الطيب التقي ، محمد بن أحمد الحسني المكي (ت ٨٣٢ هـ) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج١ ، مطبعة السنة المحمدية (القاهرة ،١٩٦٢ م) ج١ ، ص٣٧ ؛ المكي سمط النجوم ، ج١ ، ص١٨٢ – ١٨٣ .

[٤] مضر : قبيلة عربية ينسب إليها ولد نزار ، وهم الصرحاء من ولد إسماعيل (عليه السلام) ، ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص١٠ .

[٥] ابن حبيب المنمق ، ص٣٤٩ ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، ج١ ، ص٥١ ؛ اليعقوبي تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٠٨ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٥٦ ؛ الفاسي العقد الثمين ، ج١ ، ص١٤٢-١٤٣ .

[٦] الازرقي، أخبار مكة ، ج١ ، ص٩٦ ، ابن عبد ربه ، شهاب الدين احمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢٨ هـ) العقد الفريد ،تقديم محمد سعيد العريان ، دار ومكتبة الهلال (بيروت ، ١٩٨٦م) ، ج٣ ، ص١٠٩ . ؛ أبو عمرو يوسف النميري القفطي (ت

في تاريخها ، اذ تحولت من التوحيد الى " الشرك " فقد أدخل عمرو بن ربيعة بن حارث بن عمرو بن عامر الازدي أبو خزاعة [1]المعروف بـ (عمرو بن لحي) الذي قاتل جرهم ، وجلب الأصنام إلى مكة .

حكمت خزاعة ثلثمائة سنة أو خمسمائة سنة ، وكان من زعمائهم حليل ابن حبشية الخزاعي [2] الذي انتقلت بوفاته السيادة في مكة الى قصي وولده من بعده [3] وعلى الرغم من أعمال قصي المهمة في تاريخ مكة ، إلا أن الوثنية التي ابتدعها عمرو بن لحي استمرت ، بل أخذت شكلاً عميقاً وبعيداً ومن الطبيعي ان تدخل الوثنية على مناسك الحج لتخرج بها عن جوهرها فأصبح الحج هو الأخر وثني بكل معناه وعلى الرغم من تمكن الوثنية وتغلغلها الا انهم بقي " فيهم من

٤٦٣هـ) الانباه على قبائل الرواة ، المكتبة الحيدرية (النجف ، ١٩٦٦ م) ، ص٩٦-٩٧ ؛ وعن نقل عمرو بن لحي الاصنام الى مكة ينظر : ابن إسحاق ابو عبد الله محمد ابن يسار المطلبي (ت ١٥١ هـ) سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، تحقيق سهيل زكار دار الفكر (بيروت ، ١٩٧٨) ، ج١ ، مطبعة المدني (القاهرة ، ١٩٦٣ م) ص٥٠-٥١ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٢٠-١٢١ ؛ الشهرستاني الملل والنحل ،- ج٢ ص٢٣٣ ؛ الكلاعي ، الاكتفاء ج١ ، ص٩٣.

[1] خزاعة : خزاعة بن قمعة بن الياس بن مضر ، قبيلة عربية كبيرة . ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص١٠ .

[2] حليل بن حبشية الخزاعي ، بطن كبير من ولد سلول بن كعب بن عمرو بن عامر بن لحي ابن قمعة بن الياس ، كان حاجب الكعبة ، تزوج قصي بن كلاب من ابنته حُبى . ابن حزم جمهرة انساب العرب ، ص٢٣٥ .

[3] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٢٣ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٦٦ ابن حبيب ، المنمق ، ص٣٥٠ الازرقي ؛ أخبار مكة ، ج١ ، ص٧٢ ؛ الكلاعي الاكتفاء ج١ ، ص٨٦-٨٧ ، الالوسي ، محمود شكري البغدادي ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال =العرب ، ط٢ ، دار الكتب العلمية (بيروت ، د. ت) ج٢ ص٢٤٦ ؛ ابن سعد ، الطبقات ج١ ، ص٥٧ ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، ج١ ، ص٥٣ – ٦٦ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج١ ، ص١٣ .

بقايا عهد إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) يتنسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة ومزدلفة ،وإهداء البدن والإهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه " [١] .

٣. مناسك الحج قبل الإسلام :

للحج مناسك عدة قبل الإسلام منها [٢] :

أ– الطواف :

هو الدوران حول الكعبة المشرفة بصفته تحية الزائر لها ، ورمزاً إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وعندما بنى إبراهيم (عليه السلام) الكعبة جعل الحجر الأسود علامة يبدأ الطواف منه " إذ لما أُمر إبراهيم أن يبني البيت وانتهى إلى موضع الحجر قال يا إسماعيل آتني بحجر ليكون علماً للناس يبتدئون منه الطواف " [٣] لكن بعد تعرض ديانة التوحيد التي وضعها النبي إبراهيم (عليه السلام) الى التحريف والشرك تغيرت معه مناسك الحج ومنها الطواف ، فكان الزائر(الطائف) يبدأ طوافه باساف ويختمه بنائلة وهما من أصنام العرب المشهورة [٤]

وكانت سنّة الطواف أن يبدأ الحاج بآساف فيستلمه ثم يستلم الركن الأسود ثم يأخذ عن يمينه يطوف ويجعل الكعبة عن يمينه ، فإذا ختم طوافه سبعاً استلم الركن ، ثم استلم نائلة فيختم بها طوافه ثم يخرج [٥].

---

[١] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص٦ ؛ ابن حبيب ،المحبر ، ، ص١ .

[٢] داود ، أديان العرب قبل الإسلام ، ص٢١٢ .

[٣] الازرقي، أخبار مكة ، ج١ ، ص٣٩ ، الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف (القاهرة ، ١٩٦٧م) ، ج١ ، ص٢٥٣ .

[٤] الازرقي، اخبار مكة ، ج١ ، ص٦١ ، الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج١ ، ص١٤ .

[٥] الازرقي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٧٤–١٧٥ ؛ داود ، اديان العرب قبل الإسلام ، ص٢١٢ .

وقد ارتبط الطواف بنوع خاص من الثياب عرفت بثياب الحمس الذي لا يصح الحج الا بها والحمس لغة : التشدد بالدين [١] ، والحمس من ابتداع قريش وقد تحمست الى جانبهم قبائل أخرى من العرب والحمس لا تقف بعرفة [٢][٣] .

وكانت الحمس سكان الحرم وكانوا لا يخرجون أيام الموسم إلى عرفات وإنما يقفون بالمزدلفة ويقولون : نحن أهل الله ولا نخرج من الحرم [٤]

اما القبائل التي لم تكن تدين بالحمس فهم على طائفتين الحلة والطلس والحلة لهم تقاليدهم عند الإحرام فيطوفون عراة قاصدين طرح ذنوبهم مع الثياب التي اقترفوا ذنوبهم بها ، الرجال والنساء ليلاً إذا لم يجدوا من يعيرهم ثياب احمسي أما اذا طافوا بثيابهم فعليهم أن يلقوها بعد الطواف وتسمى اللقى ولا يمسها أحد [٥] ويقفون بعرفة [٦] .

وقد استمر طواف العري حتى بعد ظهور الإسلام إذ روى ابن سعد أن العري يكون في وقت الحج فقط [٧]

---

[١] الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ) ، ثمار القلوب في المضاف المنسوب ، مطبعة القاهرة (القاهرة ، ١٩٠٨ م) ص٩ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ج٧ ص٣٥٨ .

[٢] والحمس قريش ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة وقيس وهم بنو عدوان ، هؤلاء الحمس سموا حمساً لأنهم تحمسوا في دينهم . ابن منظور ، لسان العرب ، ج٦ ، (مادة حمس)

[٣] اختلفت الروايات في ذكر اسماء تلك القبائل ، ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ٢٥٧ ابن حبيب المحبر ، ص١٧٨-١٧٩ ، الازرقي، اخبار مكة ، ج١ ، ص١٤٥ ، اليعقوبي تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٢٦ ، المكي ، سمة النجوم ، ج١ ، ص٢١٩ .

[٤] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٦ ، (مادة حمس) .

[٥] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٦٠ ؛ الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص١٤٥ الكلاعي ، الاكتفاء ، ج١ ، ص٢١١ ؛ الالوسي ، بلوغ الأرب ، ج١ ، ص٢٤٤ .

[٦] ابن حبيب ، المحبر ، ص١٨٠-١٨١.

[٧] الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٧٢ .

والحلة تطوف بالبيت أول ما يطوف الرجل والمرأة في أول حجة يحجها عراة ، وكان بنو عامر بن صعصعة وعك ممن يفعل ذلك ، ومن كان يطوف بثيابه لم يحل له أن يلبسها أبداً ولا ينتفع بها ، يرمون بها في باب المسجد فلا يمسها أحد من خلق الله حتى تبليها الشمس [١] ، وطلس الثياب أي وسخها[٢] .

أما الطلس فهم سائر أهل اليمن وحضرموت وعك وعجيب واياد بن نزار وسموا بالطلس لأنهم "كانوا يأتون من أقصى اليمن طلساً من الغبار يطوفون بالبيت في تلك الثياب الطلس فسموا بذلك " [٣] والطلس لا يطوفون عراة ولا يستعيرون ثياب الاحمس ويقفون في المواسم مع الحلة في عرفة ، والفرق بين الحلة والطلس بالألبسة فقط [٤] .

ب. الهـــــدي :

هو الحيوان الذي يسوقه الحاج لذبحه استكمالاً لأداء مناسك الحج [٥] وتعود فكرة الهدى الى أن إبراهيم (عليه السلام) أراد ان يضحي بابنه إسماعيل تقرباً لله سبحانه ففداه الله بكبش عظيم [٦] .

---

[١] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢١٤ .

[٢] ابن منظور ، لسان العرب ، ج (مادة طلس) .

[٣] السهيلي ، الروض الانف ، ج١ ، ص٢٣١ ؛ الفاسي ، العقد الثمين ، ج١ ص١٤١ ؛ المكي ، سمط النجوم ، ج١ ، ص٢٢٠ .

[٤] ابن حبيب ، المحبر ، ص١٨١ .

[٥] الشريف ، أحمد إبراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي (القاهرة ، ١٩٦٥ م) ، ص١٨٢ ، الخربوطلي ، تاريخ الكعبة ، ص١١٨ .

[٦] ينظر كذلك سورة الصافات الآيات ١٠٢-١٠٩ ؛ عطار ، أحمد عبد الغفور ، حجة النبي النبي وأحكام الحج والعمرة في الإسلام والديانات الأخرى مطبعة الإحسان ط٢ (دمشق ١٩٧٦ م) ، ص٤١٧ .

واذا كان هذا الحيوان من البقر أو الابل سمي البدن [١] واذا كان من الغنم سمي العتائر [٢] والمذبح الذي تذبح به العتائر العنز [٣] .

وهذا الحيوان يكتسب صفة القداسة ويميز بوضع قلادة من لحاء شجر الحرم ولا يعترض له أحد بسوء [٤] و لا يركب ظهره [٥] فضلاً

فضلاً عن شعائره [٦] وكانوا يلطخون جدران الكعبة بدماء ذبائحهم لان هذا الدم يقربهم الى الله . بحسب اعتقادهم . ويحرم على الهادي (الطائف) الأكل من لحومها ، وانما يتبرع الى الفقراء [٧] وهي في حقيقتها مساعدة للقائم بأمر الرفادة الرفادة [٨]

---

[١] البدن ، ناقة أو بقرة تتحمر بمكة ، سميت ، بأسمهم كانوا يسمونها قبل ذبحها . ينظر ابن دريد جمهرة اللغة ، ج١ ، ص٢٤٩ ، الجوهري ، الصحاح ، ج٥ ، ص٢٠٧٧ ابن منظور لسان العرب ، ج١٦ ، ص١٩٣ .

[٢] العتائر : شاة كانوا يذبحونها في رجب لالهتهم وعتر الشاة ذبحها . ينظر ابن دريد جمهرة اللغة ، ج٢ ، ص١١ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٣ ، (مادة عتر) .

[٣] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص٣٤ .

[٤] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، (مادة عتر) ، الالوسي : بلوغ الأرب ، ج٢ ص٢٨٩ ص٢٨٩

[٥] مسلم ، ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القرشي النيسابوري (ت ٢٦١هـ) : صحيح مسلم مسلم ، بشرح النووي ، تحقيق عبد الله احمد ابو زينة ، دار الشعب (القاهرة د. ت) ج٣ ، ص٤٥٧-٤٥٨ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣، ص١٤٢ – ١٤٣ ابن تيمية مجد الدين ابن البركات عبد السلام الحراني ، (ت ٧٢٨ هـ) المنتقى من أخبار المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ط٢ ، دار الفكر ، (بيروت ، د ، ت) ج٢ ، ص٢٩٥ ؛ = الهندي علي الدين =المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ) ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال مؤسسة الرسالة (بيروت ، ١٩٧٩ م) ، ج٥ ، ص٢٣٠ .

[٦] الشعيرة : البدنة المهداة وسميت بذلك لانه كان يؤثر فيها بالعلامات والجمع شعائر، ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، (مادة شعر) .

[٧] الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج٢ ، ص٢٤٨ .

[٨] الازرقي، أخبار مكة ، ج١ ، ص١١ .

جـ . الحلـــــــق :

وهو أحد أركان الحج الذي لا يتم الا به ، ولم يكن كل حجاج مكة من وثنيين يحلق في مكة ، فالاوس والخزرج وغسان والمنزوة كانوا لا يحلقون الا عند صنم مناة فهم في حجهم مع الناس في كل المواقف الا الحلق لأنهم يرون تمام حجهم الا بحلق رؤوسهم عند معبودهم مناة [1] وقد ورد ما يؤيد ذلك في الشعر

إني حلفت يمين صدق برة   بمناة عند محل أل الخزرج

في حين كان آخرون يحلقون عند الاقيصر [2] في بلاد الشام وهم قضاعة ولخم وجذام وسائر أهل الشام وكان الرجل منهم عند حلق رأسه يلقي مع كل شعرة قرة (قبضة) من دقيق [3] ، فكان ناس من الضُّركاء (أي الفقراء البائسين) وفيهم ناس من اسد يأخذون ذلك الشعر بدقيقه فيرمون بالشعر و ينتفعون بالدقيق وانشد معاوية بن أبي معاوية في هجائهم :

الم ترجم ما أنجدت و ابن بجرة   مع الشعر في قص الملبد شارع

اذا قره جاءت ، يقول أصبها   سوى القمل ، أني من هوازن ضارعُ [4]

د. الوقوف بعرفة :

ذكرنا في موضوع (الطواف) أن الحمس لا يقفون بعرفة وتكون افاضتهم يوم الحج من المزدلفة والحلة والطلس من عرفة ، وإن اختلاف موقفهم كان مصدراً للجدل ، فكل منها ترى فعلها هو الصواب ، وفسر العلماء ذلك بأنه المقصود في

---

[1] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص٤٨ ؛ ابن الجوزي ،ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن البغدادي (ت ٥٩٧هـ) تلبيس ابليس ، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه إدارة الطباعة الميرية بمساندة بعض علماء الأزهر ، ط٢ ، مكتبة الشروق ،(بغداد ١٣٦٨هـ) ص٥٦ .

[2] الاقيصر : تصغير أقصر ، وهو اسم صنم قضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان ، يقع في مشارف الشام ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٣٨ .

[3] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص٤٨ ؛ الحموي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٣٨ .

[4] فكانت هوازن تنتابهم في ذلك إلا بان ، فان ادركه قبل إن يلقي القرة مع الشعر : أعطنيه ! ! فاني من هوازن ضارع . ابن الكلبي الأصنام ، ص ٤٨ .

قوله تعالى " الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث و لا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى وأتقون يا أولي الألباب " [1] يقصد به هنا الجدال بين الحلة والحمس [2] .

هـ . السعي بين الصفا و المروة :

الصفا هو في الأصل جبل أبي قبيس والمروة جبل قعيقعان [3] وكان الحجاج يسعون بين الصفا والمروة [4] الا أن ذلك السعي لم يكن ركنا أساسيا عند كل الحجاج ، فمنهم من رأى أن هذا السعي لا يدخل ضمن مناسك حجه ، وهؤلاء هم الذين كانوا يعبدون صنم مناة مثل قبائل الاوس والخزرج وغسان من الازد [5] في حين يذكر بعض المؤرخين : ان جميع الحلة لا يرون الصفا والمروة من الحج لذلك فان الأنصار عند حجهم مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) تحرجوا من السعي بين الصفا والمروة [6] فانزل الله سبحانه : " ان الصفا والمروة من شعائر

---

[1] سورة البقرة ، أية ، ١٩٧.

[2] الزرقاني ،محمد (ت ١١٢٢هـ) . شرح الزرقاني على موطأ الأمام مالك (دار القاهرة ، ١٩٣٦ م) ج٢ ، ص٣٣٨ .

[3] الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٧هـ) ، الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق إحسان عباس ، ط٢ ، دار السراج (بيروت ، ١٩٨٠ م) ، ص٣٦٢-٣٦٣ .

[4] الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج٢ ، ص٢٤٧ ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، ج٢ ، ص٢٨٨

[5] الازرقي ، اخبار مكة ، ج١ ، ص ؛ ابن حزم ، ابو محمد علي بن سعد الاندلسي (ت ٤٥٦هـ) جمهرة انساب العرب ؛ تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف (القاهرة ١٩٤٨ م) ص٤٥٨ .

[6] سورة البقرة ، اية ١٥٨ . هذه الآية نزلت في الأنصار ، فقد كانوا قبل يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها ويتحرجون من أن يطوفوا بالصفا والمروة . ينظر : سيد سابق ، فقه السنة ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، د ، ت) ، ج١ ، ص٧٦٠ .

الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيراً فان الله شاكر عليم " [١] .

و. التلبيات :

التلبيات جمع تلبية ، من شعائر الحج ، وأول من لبى هو النبي إبراهيم (عليه السلام) [٢] ومنذ أن اذن عليه السلام بالحج أخذ الناس يجيئون في وقت الحج وهم يلبون " لبيك اللهم لبيك " [٣] وبقيت تلبية النبي إبراهيم (عليه السلام) يتوارثها الأجيال حتى طرأ عليها بعض التغيير بعد دخول الشرك ، ويعد عمرو بن لحي الذي نسبت اليه المصادر تغيير دين إبراهيم هو الذي غير التلبية وأدخل عليها بعض مظاهر الشرك [٤] وبمرور الزمن ورسوخ الوثنية أصبح لكل قبيلة تلبية تلبية خاصة بها ، فكانت كل قبيلة اذا حجت وقف أبناؤها عند صنمها وصلوا عنده ثم لبوا حتى قدموا إلى مكة [٥].

---

[١] الاصفهاني ، الأغاني ، ج١٢ ، ص١٤؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج٢ ، ص٢٤٧ ، للمزيد حول الصفا والمروة ، ينظر : الازرقي أخبار مكة ، ج٢ ، ص١١٥ ؛ الفاكهي ابو عبد الله محمد بن اسحاق ، (ت٢٨٠ هـ) ، تاريخ مكة منشور في ضمن كتاب أخبار مكة المشرفة ، مكتبة خياط (بيروت د. ت) ج٢ ، ص ٥-٦ ؛ ابن حزم جمهرة أنساب ، ص٤٥٩ .

[٢] القسطلاني ، أبو محمد محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ، أدارة الطباعة المنيرية (بيروت ، د، ت) ج٩، ص١٧٢-١٧٣

[٣] الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص٤٤ .

[٤] الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص٨٧ ؛ السهيلي ، الانف ، ج١ ، ص١٠٢ ، ابن كثير السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٢٥ .

[٥] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٦ ، ص٨٠ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢١٧ ص٢١٧

وكانت تلك التلبيات تختلف من قبيلة إلى أخرى في حجهم [١] . إذ كانت تلك التلبيات مرآة لمطالب القبيلة الاجتماعية والاقتصادية وما تعانيه من مشكلات ووصف لرحلتهم لأداء الحج ومتاعبها وكانت تلك التلبيات وثنية الا أن في الفاظها ومعانيها ما يدل على التوحيد ويلاحظ انها تبدأ عادة بالتوحيد " لبيك اللهم لبيك " ثم يأتي بعد ذلك الإشراك [٢] .

وعلى الرغم من رسوخ الوثنية الا أن المجتمع العربي قبل الإسلام لم يكن يخلو من الذين تمسكوا بديانة إبراهيم (عليه السلام) التوحيدية ، ومنهم زيد بن عمرو بن نفيل[٣] الذي حاولت قريش منعة من دخول الحرم لموقفه من عبادة

[١] من تلبيات القبائل المختلفة ، ينظر : ابن إسحاق ، سيرة النبي ، ج١ ، ص٥١ ؛ قطرب ابو علي محمد بن المستنير (ت ٢٠٦هـ) ، الازمنة وتلبية الجاهلية ، تحقيق حنا جميل حداد مكتبة المنار (الاردن ، ١٩٨٥) ، ص١١٥-١٢٥ ، ابن الكلبي ، الاصنام ص١٨-١٩ ابن حبيب المحبر ، ص٣١١-٢١٨ ؛ ابن بكار ، ابو عبد الله الزبير(ت ٢٥٦هـ) الاخبار الموفقيات ، تحقيق ، سامر مكي العاني ، مطبعة العاني (بغداد ١٩٧٢ م) ، ص٦٢٦ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ٢٢٥ -٢٢٦ ، المعري ، ابو العلاء أحمد بن عبد الله (ت٤٤٩ هـ) رسالة الغفران ، تحقيق محمد عزت نصر الله ، دار أحياء التراث العربي (بيروت ، ١٩٦٨ م) ص٢٧٩ – ٢٨١ ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ٢٣٨/٢ ، علي ، جواد ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٥ ، مطبعة المجمع العلمي العراقي (بغداد ١٩٥٥) ص٩٦ ، البياتي ، عادل جاسم ، دراسات في الادب الجاهلي ، دار النشر المغربية (الدار البيضاء ، ١٩٨٦ م ،ج١ ، ص١٦٠-١٦٣ ، ج٢ ص١٧٧)

[٢] البياتي ، دراسات في الادب الجاهلي ، ج١ . ص١٦٣ .

[٣] زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى ... بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، كان على ديانة إبراهيم الخليل (الحنيفية) ، فاعتزل الأوثان ، ولم يدخل اليهودية والنصرانية ، فارق دين قومه . ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢٤٥ .

الأوثان وكان في موسم الحج يقف بعرفة يلبي " لبيك اللهم لبيك لا شريك لك ، ولا ندلك .... " ثم يفيض من عرفة ويقول " لبيك متعبدا مرقوقاً " [1] .

٤ - كيفية الحج قبل الإسلام :

تعد الأشهر الحرم المدة الوحيدة التي يتوقف فيها القتال لهذا يأمن الناس بها الانتقال في انحاء شبه الجزيرة العربية [2] لأنها مقدسة [1] والعرب لا يأتون

---

[1] ابن اسحاق ، السير والمغازي ، ص١١٦ ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، ج٣ ص١٢٣ – ١٢٤.

[2] ابن حبيب ، محمد بن أمين بن عمرو عمر الهاشمي (ت ٢٤٥هـ) أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام وأسماء من قتل من الشعراء (منشور في ضمن سلسلة نوادر المخطوطات) ،تحقيق عبد السلام هارون ، ط٢ ، مطبعة ونشر شركة مصطفى

فيها المحارم ولا يعتدي بعضهم على بعض [2] والأشهر الحرم أربعة هي رجب ، وذي القعدة ، وذي الحجة ، ومحرم [3] وربما كانت الأشهر الحرم هي الوحيدة الملائمة لقيام نشاط اقتصادي واجتماعي متمثل بالأسواق [4]

البابي الحلبي (مصر ١٩٧٣ م) ، ج٦ ، ص١٢٦ ؛ الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) البيان والتبيين ، دار الكتب العلمية (بيروت د. ت) ج٧ ، ص٥٢ –٥٤ البيروني ، محمد بن أحمد (ت ٤٤٨هـ) الآثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق ادور ساكو،(لايزيك ، ١٩٢٣ م) ص٣٢٥ .

(١) رضا ، فؤاد علي ، أم القرى مكة المكرمة ،مكتبة المعارف (بيروت ، ١٩٧٢ م) ص١٩٩ وهناك قبائل لم تكن تلتزم بتلك الهدنة أطلق عليهم اسم (المحلون) أما تلك التي تحترم قداسة الاشهر الحرم فقد سميت بـ (الذات المحرمون) ، ينظر : الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) الحيوان تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الكتاب العربي ، ط٣ (بيروت ، ١٩٦٩ م) ج٧ ، ص٢١٦ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ص٢٤٠ .

(٢) ابن حبيب ، المنمق ، ص٢٧٥ ؛ الازرقي، أخبار مكة ، ج١، ص١٩٢ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٨٣ ؛ السهيلي ، الروض الانف ، ج١ ص٦٣–٦٤ ، وهناك مدة أطول للاشهر الحرم عند بعض بطون العرب وهو ما يعرف (بالبسل) ينظر ، ابن إسحاق ، سيرة النبي ، ج١ ص٦٧ –٦٨ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ص١٥٠ ، الكلاعي ، ، الاكتفاء ج١ ص٢٩ .

(٤) الدوري ، عبد العزيز ، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، مطبعة المعارف (بغداد ١٩٤٩ م) ص٤١ ، ان ارتباط قيام الأسواق بموسم الحج يتضح من دورتها فهي تمنح على طول الطرق التجارية التي تربط أنحاء شبه الجزيرة العربية ابتداء من أقصى الشمال فسوق دومة الجندل ثم على طول ساحل الخليج العرب حتى تقام أسواق المشقر وصحار ودبا ثم الساحل الجنوبي لجزيرة العرب حتى سوق عدن والرابية وصنعاء ، ثم ساحل البحر الاحمر الشرقي إلى أعظم أسواق العرب عكاظ ومجنة وذي المجاز ولعل ترتيب الأسواق لم يكن عشوائياً وإنما كان العرب يسعون من خلال ذلك أن تكون قريبة من مكة في مواسم الحج ليتمكنوا من تأدية الحج بيسر ، وبذلك تجتمع المكاسب الاقتصادية والدينية معاً ، ينظر

والمهم من هذه الأسواق تلك التي يكون ظلها في إشراك المحرم وهي عكاظ [1] ومجنة [2] وذي المجاز [3] حتى أن قريشا قالت " لا تحضروا سوق عكاظ ومجنة وذي المجاز الا محرمين بالحج " [4]

وصف لنا الازرقي كيفية الحج قبل الإسلام فذكر: " فإذا رأوا هلال ذي الحجة انصرفوا الى ذي المجاز فأقاموا به ثماني ليال أسواقهم قائمة ، ثم يخرجون يوم التروية من ذي المجاز الى عرفة فيرتوون ذلك اليوم من الماء بذي المجاز وإنما سمي يوم التروية لترويتهم من الماء بذي المجاز ينادى بعضهم بعضاً ترووا من الماء لأنه لا ماء بعرفة ولا بالمزدلفة يومئذ ، وكان يوم القيامة أخر أسواقهم وإنما كان يحضر هذه المواسم بعكاظ ومجنة وذي المجاز التجار من كان يريد التجارة ومن لم تكن له تجارة ولا بيع فانه يخرج مع أهله متى أراد ومن كان من أهل مكة ممن لا يريد التجارة خرج من مكة يوم التروية فيترووا من الماء فتنزل الحمس أطراف الحرم من نمرة [5] يوم عرفة وتنزل الحلة عرفة فكان النبي (صلى الله عليه

يوسف خليفة ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي دار المعارف (مصر، ١٩٥٩ م) ، ص١٢٦ .

[1] عكاظ : اسم سوق من أسواق العرب قبل الإسلام يجتمعون فيه كل سنة يتفاخرون فيه وسمي عكاظاً لان العرب تجتمع في عكاظ بعضهم بعض بالفخار ، الحموي ، معجم البلدان ج٤، ص١٤٢ .

[2] مجنة : من أسواق العرب قبل الإسلام تقع بمر الظهران قرب جبل يقال له الأصفر بأسفل مكة ومدة انعقاده عشرة أيام في آخر ذي القعدة ، (الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ص٥٨-٥٩ .)

[3] ذي المجاز : موضع سوق بعرفة على ناحية كبكب عن يمين الامام ، ويقع على فرسخ من عرفة وتقام ثمانية أيام من ذي الحجة ، اذ يغادر الحجاج بعده في اليوم التاسع من عرفه وهو يوم التروية (الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٥٥-٥٨ .) .

[4] الازرقي، اخبار مكة ، ج١ ، ص١٨٧-١٨٨ .

[5] نمرة : ناحية بعرفة نزل بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل الحرم من طريق الطائف على طرف عرفة من نمرة على أحد عشر ميلاً ، وقيل نمرة الجبل الذي عليه انصاب الحرم

وسلم) في سنته التي دعا فيها بمكة قبل الهجرة لا يقف مع قريش والحمس في طرف الحرم وكان يقف مع الناس بعرفة .. وكانوا لا يتبايعون في يوم عرفة ولا أيام منى .. فإذا جاءوا عرفه أقاموا بها ، فتقف الحلة على الموقف عيشة ، وتقف الحمس على أنصاب الحرم من نمرة فاذا دفع الناس من عرفة وأفاضوا أفاضت الحمس أنصاب الحرم وأفاضت الحلة من عرفة حتى يلتقوا بمزدلفة جميعاً وكانوا يدفعون اذا طلعت الشمس للغروب وكانت على رؤوس الجبال كأنها عمائم الرجال في وجوههم فإذا كان هذا الوقت دفعت الحلة من عرفة ودفعت معها الحمس من انصاب الحرم حتى يأتوا جميعاً مزدلفة فيبيتون بها حتى إذا كانو في الغلس وقفت الحلة والحمس على قزح [1] فلا يزالون عليه حتى اذا طلعت الشمس وصارت على رؤوس الجبال كأنها عمائم الرجال في وجوههم دفعوا من مزدلفة وكانوا يقولون : اشرق ثبير كيما نغير أي اشرق بالشمس حتى ندفع من المزدلفة " [2] .

وعلى الرغم من أن (الازرقي) أعطى وصفاً للحج الوثني الا أنه توقف عند الإفاضة من المزدلفة وحاول الدكتور صالح احمد العلي إكماله معتمداً في ذلك على تفاسير بعض الآيات القرآنية المتعلقة بالحج ومن ترتيب مناسك الحج التي هي مناسك حج إبراهيم (عليه السلام) نفسها ولكنها حورت بتأثير الوثنية [3] بعد

على يمين الذي يخرج من المازمين يريد الموقف ، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ج٥ ، ص٣٠٥ .

[1] قزح : القرن الذي يقف الامام عنده بالمزدلفة عن يمين الامام ، وهو المقبرة وهو الموضع الذي كانت توقد نيران فيه قبل الإسلام ،وهو موقف قريش ، اذا كانت لا تقف بعرفة ينظر : الحموي : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٤١ .

[2] الازرقي، أخبار مكة ، ج١ ، ص١٨٧-١٨٨ .

[3] العلي ، صالح أحمد ، محاضرات في تاريخ العرب ، (د. م) ، (د. ت) ج١ ص٢١٨ وما بعدها ، كذلك ينظر كذلك : الدوري ، مقدمة ، ص٤٤ ؛ فروخ ، عمر تاريخ الجاهلية دار العلم للملايين ، (بيروت ، ١٩٦٤ م) ، ص١٦١ .

المزدلفة تنحر الذبائح وكانوا يرمون الجمار [١] ويقفون عند الجمرة يتفاخرون بأيامهم وافعالهم [٢] وكانوا قبل حج البيت يقفون عند اصنامهم يصلون ويلبون كل قبيلة تلبيتها ثم يتقدمون [٣] وكانوا يطوفون بالبيت سبع مرات ثم يمسحون الحجر الأسود ثم يسعون بين الصفا والمروة [٤] والأخير لم يكن عاماً عند كل الحجاج الوثنيين كما تقدم .

٥. الوظائف الدينية في مكة :

مكة مدينة قامت على أسس دينية ، لذا فان هذه الوظائف ولا سيما الوظائف الاولى التي ظهرت فيها ، ارتبطت بأسس نشأتها ، وكان لهذه الوظائف أثر واضح في موسم الحج حتى أصبحت جزءاً منه وركناً من أركانه قبل الإسلام وبعضها استمر بعد ظهور الإسلام ، وهذه الوظائف ، هي :

أ- السدانة (الحجابة) :

السدانة وظيفة مفردها سادن (اسم فاعل) ، وهو الشخص الذي يتولى خدمة الكعبة وبيت الأصنام [٥] والسدانة والحجابة مصطلحان مترادفان " أن الحاجب

---

[١] الجمار ، الحصيات التي يرمى بها في مكة ، وفي الحديث أن آدم (عليه السلام) رمي بمنى ، فأجمر أبليس بين يديه ينظر : ابن منظور ، ج٤ ، (مادة جمر)

[٢] الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج٢ ، ص٢٤٧ ؛ المكي ، سمط النجوم ، ج١ ، ص٢١٨ .

[٣] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٢٥ .

[٤] الالوسي ، بلوغ الأرب ، ج٢ ، ص٢٨٨ .

[٥] ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن الازدي البصري (ت٣٢١هـ)، جمهرة اللغة ، دار صادر (بيروت ، د. ت) ،ج٢، ص٢٦٦ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٣ ، ص٦٩

يحجب وأذنه لغيره والسادن يحجب وأذنه لنفسه " [1] و من مهمات السادن ،إن تكون بيده مفاتيح الكعبة [2] وكان السادن او الحاجب يجلس عند باب الكعبة يمنع من لا يرغب فيه دخول الكعبة [3] .

والسدانة أولى الوظائف التي ظهرت ، فبعد إبراهيم (عليه السلام) قام بهذه المهمة ابنه إسماعيل(عليه السلام) ثم ورثها ابنه نابت [4] وعلى الرغم من انتقال السيادة على مكة إلى قبيلة جرهم الا أن أمر الكعبة بقي بيد أبناء إسماعيل (عليه السلام) [5] ولما عادت ولاية البيت الى إياد قام بها وكيع بن سلمة بن اياد بن نزار نزار وبعد تمكن مضر من أمر مكة وانتصارها على إياد كان أمر البيت إلى أسد بن خزيمة وضبة [6] ثم جاءت خزاعة وأصبحت السدانة في بني غبشان وهم من خزاعة وزعيمهم عمرو بن الحارث الغبشاني [7].

وبعد خزاعة آل أمر الكعبة الى قصي وورثها من بعده أبنه عبد الدار ثم عثمان بن عبد الدار ثم ابنه عبد العزى وبقيت في ولده حتى انتهت الى عثمان بن طلحة [8] الذي شهد فتح مكة (سنة ٩هـ) ، وكانت الكعبة تفتح قبل الإسلام يومين يومين من كل أسبوع ذكر أنهما يومي الاثنين والخميس [1] .

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٣ ، (مادة سدن) .

(٢) المصدر نفسه ، ج١٣ ، (مادة سدن).

(٣) ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص١٧٤ .

(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١١٧ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٠ بلوغ الارب ، ج٢ ، ص٢٤٥٨ .

(٥) اليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٩٤ .

(٦) المكي ، سمط النجوم ، ج١ ، ص١٨٢ – ١٨٣ .

(٧) الفاسي ، العقد الثمين ، ج١ ، ص١٤٣ ، وقيل ان اول زعمائهم كان عمرو بن لحي ينظر : العسكري ، ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ، الأوائل ، مطبعة دار أمل (طنجة د ، ت) ص٤٩ .

(٨) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزيز بن عثمان بن عبد الدار بن قصي أسلم وهاجر مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص في هدنة الحديبية سنة ثمان وشهد فتح مكة

ب- الإجازة "الإفاضة" :

الإجازة من جاز وجزت الطريق أي سلكته وأجازه انقذه [٢] والافاضة تعني الزحف والدفع [٣] والكلمتان مترادفتان [٤] وقد وردت لفظة الإفاضة في القرآن الكريم كما في قوله : " ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم " [٥] ، والإجازة تعني " أن يجيزهم الى مغادرة المكان الى مكان آخر " [٦] .

وبعد أن أذن إبراهيم (عليه السلام) بالحج ظهرت هذه الوظيفة وصارت جزاءاً من مناسك الحج [٧] وبعد مغادرته تولى إسماعيل (عليه السلام) هذه الوظيفة

مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ودفع اليه الرسول مفتاح الكعبة " خذوها يا بني ابن طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم " وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم انتقل الى مكة وبقي بها حتى وفاته سنة (٤٢هـ /٦٦٢م) ، ينظر الزبيري ، ابو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب (ت ٢٣٦هـ) نسب قريش ، نشر وتصحيح ، أ . ليفي بروفنسال ، دار المعارف للطباعة والنشر (القاهرة ، ١٩٥٣ م) ج٧ ، ص٢٥٢ ، خليفة ابن خياط ابو عمرو (ت ٢٤٠هـ) الطباعة تحقيق سهيل زكار ، مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي (دمشق ١٩٦٦ م) ج١، ص٣٢ ، البخاري ، ابو عبد الله محمد ابن إسماعيل بن إبراهيم الجعفري (ت ٢٥٦هـ) ، التاريخ الكبير ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية (حيدر اباد ، ١٣٦١ هـ) ، ج٣ ، ص٢١١ .

[١] الازرقي، أخبار مكة ، ج١ ، ص١٧٤ .

[٢] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ، (مادة جوز) .

[٣] المصدر نفسه ، ج٥ ، (مادة جوز) .

[٤] عاقل ، نبيه ، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ، دار الفكر (دمشق ، ١٩٧٥ م)ط٣ ، ص٢٤٥ .

[٥] سورة البقرة ، ١٩٨-١٩٩ ، وينظر : الطبري ، جامع البيان ، ٢٨٥-٢٨٧، ٢٩١ .

[٦] الشريف ، مكة والمدينة ، ص١٨١ .

[٧] المصدر نفسه ،ص١٨١.

[1] ثم انتقلت مع سدانة الكعبة الى كل من تغلب على أمر مكة لأنها رمزاً للسيطرة على كل مكة حتى كان عهد خزاعة فآل أليها أمر الحجابة والسقاية ولمضر الإفاضة بالحجاج من عرفة الى منى [2] ونسيء الأشهر الحرم [3] .

وكانت هناك افاضتان من عرفة ومن المزدلفة (المشعر الحرام) [4] وكان الغوث بن مر بن طابخة بن الياس الملقب صوفة يلي الاجازة بالناس من عرفة [5] [5] أما الافاضة من المزدلفة فكانت وراثية في بني عدوان[1] [2]

---

[1] الازرقي، اخبار مكة ، ج١ ، ص٧٠-٧٢ .

[2] منى : سميت منى لأن جبريل (عليه السلام) حين أراد أن يفارق آدم (عليه السلام) قال له : تمنَّ ؟ قال : اتمنى الجنة فسميت منى لأمنيته ، وقيل سميت بمنى لما يمنى فيها من الدماء . الازرقي ، أخبار مكة ، ج٢ ، ص١٧٤ .

[3] المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٧٥ .

[4] المشعر الحرام : هو مزدلفة ، والمشعر المعلم والمشاعر المعالم التي ندب الله إليها وأمر بالقيام عليها ؛ ابن منظور ، لسان العرب ج٥ ، (مادة جوز) .

[5] ابن اسحاق ، سيرة النبي ، ج٢ ، ص٧٧-٧٨ ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ص١٢٥ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣ ؛ ص٨٧ ؛ السهيلي ، الروض الانف ، ج١ ص١٤٣-١٤٤ . ، وذكرت بعض المصادر انه لقب أيضاً ، ينظر الجاحظ ، الحيوان ، ج٧ ص٢١٥ ؛ المكي ، سمط النجوم ، ج١ ، ص٣١٨ .

بعد أن آل أمر مكة الى قصي اقر أل صفوان وعدوان والنسأة على ما كانوا عليه [٣] وكان قصي أول من أوقد النار على المزدلفة حتى يراها من رجع من عرفة [٤] .

جـ - النسيء :

النسيء ، نسأ الشيء أنساه والنسيء شهر كانت العرب تؤخره ليتمكنوا فيه من تحديد الأشهر الحرم [٥] .

وكانت هذه الوظيفة في بني كنانة ، فكان الحاج إذا صدروا من منى يخطب من بيده هذه الوظيفة إذ يقول : " أنا الذي لا أعاب ولا أحاب ولا يرد لي قضاء ؟ فيقولون : صدقت أنسئنا شهراً أي أخر عنا حرمة الحرم واجعلها في صفر وأحل لنا المحرم " [٦] ،

وكانت العرب قبل الإسلام تحدد بهذه الوظيفة الاشهر الحرم للحج وفقا لمصالحها والنسيء من الشوائب التي دخلت على مناسك الحج بعد حصول الانحراف والشرك الى الوثنية وهذا يعني ان بداية هذه الوظيفة في عهد خزاعة .

---

[١] بنو عدوان : قبيلة عربية لها بطون عدة ،منهم بنو خارجة ، بنو رايش ، بنو يشكر ، بنو رهم بن تاج . ينظر : ابن دريد ، الاشتقاق ، ج٢ ، ص٢٦٧ .

[٢] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٢٥، السهيلي ، الروض الانف ، ج١ ص١٤٦ ؛ الكلاعي ، الاكتفاء ، ج١ ، ص٧٧ ، ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج١، ص٩٥ ؛ الفاسي ، العقد الثمين ، ج١ ، ص١٣٩ .

[٣] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٢٧ ، ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٩٧ .

[٤] النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ) ، نهاية الأرب في فنون الادب ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٤ م) ، ج١ ، ص١٠٩ .

[٥] ابن منظور ، لسان العرب ،ج١ ، (مادة نسأ) .

[٦] ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، (مادة نسأ) .

كان الدافع وراء النسيء أن العرب عادة تعتمد على الأشهر القمرية في حياتها وهذا بعد أن كانت أيام الحج تكون في مواسم مختلفة من السنة وهذا الأمر يعرقل التجارة إذا كان موسمه في غير وقت جني المحاصيل لهذا كانت العرب تؤخر الحج يوماً [1] ليصادف موسم الحج في فصل الربيع فضلاً عن أن هذا التأخير يتفق ورغبتهم في شن الغارات واخذ الثأر [2] .

واختلفت المصادر في أول أمر النسيء وفيمن كان أول الأمر [3] وكان النسأة يلقبون بالقلامس [4] وآخرهم الذي عاصر ظهور الإسلام ابو ثمامة جنادة ابن عوف بن أمية بن قلع بن عباد بن حذيفة [5] .

وعلى الرغم من تلاعبهم بالشهور عن طريق النسيء الا أن العرب حافظوا على مواعيد أيام التروية وعرفة ويوم النحر بمواعيدها في شهر ذي الحجة فيكون يوم النحر هو اليوم العاشر من الشهر الذي حجوا فيه [6] . وكان النسيء يمثل إغالاً بالكفر لقوله تعالى: (إنما النَّسيءُ زَيادةٌ في الكُفْر يُضَلُّ بِهِ الذينَ كفروا يُحلّونه عاماً وَيُحرمونه عَاماً ليواطئوا عدةَ ما حَرّمَ الله) [7] .

---

(1) السهيلي : الروض الانف ، ج١ ، ص٦٤ ،

(2) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٦٤ ؛ الفاسي العقد الثمين ، ج١ ، ص٤١٠ .

(3) ابن إسحاق ، سيرة النبي ، ج١ ، ص٢٨ –٢٩ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص١٥٧ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٢٤ ؛ ابن حزم ، جمهرة انساب ص٤٦٠ ، ابن عبد البر ، الانباء ، ص٧٧ ؛ البكري ، ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الاندلسي (ت ٤٨٧هـ) سمط اللالي في شرح امالي القالي ، تحقيق عبد العزيز الميمني (د. م. ، ١٩٣٦ م) ص٩ –١٠ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج١ ، ص١٥٦ –١٦٦ المكي سمط النجوم ، ج١ ، ص٢٢٠ .

(4) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٠٨ ؛ البكري ، سمط اللالي ، ج١ ، ص١٠ .

(5) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٤٦ ؛ اليعقوبي ، المصدر نفسه ،ج٢ ، ص .

(6) ابن حبيب ، المنمق ، ص٢٧٤ ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج٢ ، ص٢٤٨ .

(7) سورة التوبة ، آية ٣٧.

د- السقاية :

هي حياض كانت توضع بفناء الكعبة ، في عهد قصي ، ويسقي فيها الماء العذب من الآبار على الإبل ويسقاه الحاج " [١]

وكانت لهذه الوظيفة أهمية كبيرة في مكة لأن الماء فيها عزيز جداً لندرته فضلاً عن اعتماد الناس على مياه الآبار خارج الحرم [٢] لذا كانت مهمة صاحب السقاية عسيرة ، وكان عليه حفر الآبار فقصي حفر بئر العجول وبئر عند الردم الأعلى [٣] وبعده جاء ابنه عبد مناف الذي يحمل الماء الماء على الإبل في المزاود والقرب لسقاية الحاج [٤] وحفر عبد شمس بن عبد مناف بئر الطوي[٥] ثم انتقلت الى هشام بن عبد مناف الذي حفر بئر بدر [٦] [٧] وبعده انتقلت إلى عبد المطلب الذي يلقب بالفيض [٨] وهو وهو الذي أعاد حفر زمزم[٩] [١] وبعد عبد المطلب انتقلت السقاية الى ابنه أبي طالب ثم آل أمرها الى العباس[٢] [٣] الذي يلقب بالحجيج [٤]

---

[١] الازرقي، أخبار مكة ، ج١ ، ص٨٠ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٧٣

[٢] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٤٤ ؛ الازرقي، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٨٣ .

[٣] الازرقي، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٨٣ .

[٤] ابن سعد ، الطبقات ج١ ، ص٧٨ ، الازرقي، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٨٣.

[٥] ابن اسحاق ، سيرة النبي ، ج٢ ، ص٩٦ ؛ المكي ، سمط النجوم ، ج١ ، ص٢٠٦ .

[٦] بئر بدر : بئر حفره هاشم بن عبد مناف عند المستند خطم الخندق على فم شعب أبي طالب ينظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٤٤ .

[٧] ابن إسحاق ، سيرة النبي ، ج٢ ، ص٩٦ ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ص١٤٤ الازرقي، أخبار مكة ، ج١ ، ص١١٣ .

[٨] ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٨١ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢١٦ الكتاني ، عبد الحي ، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ، دار الكتاب العربي (بيروت د. ت) ج١، ص١١٣ .

[٩] زمزم : البئر المبارك المشهورة ، سميت بزمزم لكثرة مائها . الحموي ، معجم البلدان ج٣ ج٣ ، ص١٤٧ .

هـ – الرفادة :

والرفادة يعني الإعانة [٥] شيء كانت قريش تترافد به في الجاهلية يخرج كل إنسان مالاً بقدر طاقته فيجمعون من ذلك مالاً عظيماً أيام الموسم فيشترون به للحجيج الضعفاء من الطعام والزبيب ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضي أيام موسم الحج ، لذلك كانت الرفادة تسمى ، العطاء والصلة والإعانة [٦] .

ظهرت هذه الوظيفة في عهد خزاعة ويعد عمرو بن لحي اول من أطعم الحاج بمكة [٧] ويعد أن ملك قصي السيادة على مكة اهتم بها [٨] ، إذ كانت قريش تخرج من أموالها في كل موسم وتدفعه إليه ليعد به الطعام للحجيج الفقراء فكان ينحر لهم الذبائح في طريق مكة [٩]

---

[١] الزهري ، محمد بن مسلم بن عيد الله بن شهاب (ت ١٢٤ هـ) المغازي النبوية تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر (دمشق ، ١٩٨١ م) ص٣٩ ؛ ابن اسحاق ، سيرة النبي ج٢ ص٩٦ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٨٣-٨٥ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج١ ص٢١٦ –٢١٨ .

[٢] العباس بن عبد المطلب ، للمزيد ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص١٠.

[٣] الازرقي، أخبار مكة ، ج١ ، ص٨٤ ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، ج١ ، ص٥٧ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٧٣ ؛ القرشي ، جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين بن ابي بكر علي المخزومي (ت ٩٦٠هـ) الجامع اللطيف في فضل مكة واهلها وبناء البيت الشريف ، مكتبة الثقافة ط٣ ، (مكة المكرمة ، ١٩٧م) ص١٦ .

[٤] الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص٥٤٤ .

[٥] ابن منظور : لسان العرب ،ج٣، (مادة رفد) .

[٦] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ص١٦٢– ١٦٣ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج٢ ، ص٢٥٥ .

[٧] الازرقي، أخبار مكة ، ج١ ، ص١٥٥ .

[٨] ابن هشام ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٣٧ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٧٣ .

[٩] الازرقي، أخبار مكة ، ج١، ص١٥٥ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي، ج١ ، ص٢٠٤ ؛ القرشي ، الجامع اللطيف ، ص١١٥ .

وبعد قصي الزم الرفادة ابنه عبد مناف ثم هاشم بن عبد مناف [1] وبعده قام قام بها المطلب بن عبد مناف ثم عادت إلى ابن أخيه عبد المطلب بن هاشم ثم أبي طالب الذي أدرك الإسلام ثم أخذها العباس وظلت في أولاده [2] وقد ساهم أغنياء مكة الى جانب قصي في إطعام الحجيج [3] .

و-عمارة المسجد :

كان العباس بن عبد المطلب القائم بهذه الوظيفة [4] ويبدو من ارتباط هذه الوظيفة باسم العباس انها قريبة من العهد الإسلامي ، ولعلها نتيجة التطور الذي أصاب الوظائف الدينية في مكة ، نتيجة تحمسهم وتبدلهم في دينهم ،والمبالغة في تعظيم الحرم [5]

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٤٤ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٦٨؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢١٣ ؛ صفوت ، احمد زكي ، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، ج١ ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت ، ١٩٨٥ م) ج١ ، ص٧٤ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ،ج ١، ص١٥٠ .

(٣) ابن حبيب ، المنمق ، ص٤٦٥ ؛ ابن بكار ، ابو عبد الله الزبير (ت ٢٥٦ هـ) ، جمهرة نسب قريش واخبارها ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار العروبة (القاهرة ١٣١٨هـ) ج١ ، ص٤٦٨ -٤٦٩ ؛ ابن قتيبة ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ) الشعر والشعراء (طبقات الشعراء)، مطبعة بريل (ليدن د. ت) ص٤٠٩ ؛ ثعلب ، أبو العباس احمد بن يحيى (ت٢٩١هـ) مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون دار المعارف (مصر د. ت) ج٤ ، ص١٦٨ .

(٤) الازرقي ، اخبار مكة ، ج١،ص١١٤.

(٥) أشار القرآن الكريم الى هذه الوظيفة فقال تعالى : " أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين " التوبة : ١٩ ؛ ينظر الطبري ، جامع البيان ، ج١٠ ، ص٩٤.

ثانياً : التجارة عند العرب قبل الإسلام :

تمهيد :

إن علاقات مهمة قد نشأت بين سكان وادي الرافدين وبين أقسام مهمة من جزيرة العرب منذ اقدم الازمان ، واقدم ذكر على ما نعلم حتى الان لبعض القبائل العربية باسم العرب قد جاءنا من زمن الملك الاشوري (شليمنصر) الثالث في اخبار حربه في بلاد الشام عند موقعه (القرقار) ٨٥٣ ق . م ، وكثر ورود كلمة العرب في المصادر المسمارية منذ ذلك التاريخ ، ومما يقال عن العرب المذكورين بهذا الاسم في تلك المصادر أنهم كانوا – جلهم – من سكان بادية الشام أي بوادي جزيرة العرب الشمالية وجاءت تلك الكلمة بصيغ وان اختلفت إلا إنها تشير الى اشتقاقها من مادة واحدة نذكر اشهرها بالتعريب اللاتيني **Urbi , Arubu ,**

Aribi , Arbi والنسبة اليها Arbaya , Aarbioa باضافة ياء النسبة الاشورية المماثلة الى العربية [١].

وجاءت كلمة العرب بصيغة (Arabaya) في نقوش دارا في جبل بهستون والكلمة تشير فـي الأغلب الى البدو المتنقلين أو سكان البوادي [٢] وكان ظهور العرب بسبب اكتمال بنائهم السياسي ، اما وجودهم الاجتماعي فأنه يسبق ذلك بكثير .

اما ورود كلمة العرب في المآثر العربيـة فلا نستطيع إن نبت بـالزمن الذي سمى فيه العرب انفسهم بهذه التسمية ، والذي عليه كثير من الثقات هو إن بلاد العرب عرفت منذ الجاهلية باسم جزيرة العرب ،وان اسم العرب استعمل فـي بلاد العرب نفسـها قبـل ظهـور الاسـلام كمـا يتبـين مـن الاشـعار الجاهليـة ، علمـا إن اصطلاح الجاهلية غير متفق على تحديد زمنه ووضع بعض المؤرخين المعاصرين بداية العهد الجاهلي في ٥٠٠ للميلاد ودام من ٥٠٠-٦٢٢م[٣].

من هذا البعد الاقتصادي والتجاري بين الدويلات العربيـة ومكـة تـأتي أهميـة هذه الدراسـة التـي حاولنـا فيهـا تسليط الضوء علـى أهميـة طريـق الحـج القديم بين مملكـة الحيـرة ومكـة ومـا شكله هذا الطريـق مـن بعد اقتصـادي لجميـع المنـاطق أو المحطات التي تمر بها القوافل وما ينتج عن ذلك من العناية بهذه المحطات وتوفير الحماية لها فضلا عن العلاقات بين أهل الحيرة ومكة أو بين الحجاز والعراق بشكل عام ، علمـا أن هذا الطريـق هو الطريـق الثـاني الـذي يـربط بـين مكـة والعراق بعد الطريق التجاري من البصرة (الأبله) إلى مكة .

وفي الوقت الذي شكلت فيه الطرق التجارية أهمية اقتصادية وتجاريـة بالغـة بمـا تـدر علـى قاطنيهـا مـن أربـاح كثيـرة مـن خـلال الأعمـال التجاريـة ، كـأن تكـون حراسة القوافل التجارية أو القيام بأعمال التحميل فضلا عن عمليات البيع والشراء

---

(١) مهران ، محمد بيومي ، الحضارات العربية القديمة ، ص٢٥٣ .

(٢) ينظر : جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج١ ، ص١٧.

(٣) باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج٢ ، ص١٨٩ .

لذلك شهدت الجزيرة العربية أحداثا كبيرة شكلت بعدا تاريخيا ، سواء أكانت هذه الأحداث خارجية أم داخلية ، ولاسيما نحن نعرف طبيعة الحياة السائدة في شبه الجزيرة من طغيان الحياة القبلية بأعرافها وتقاليدها ، وما تبع ذلك من حروب وتحالفات بين القبائل زرعت العداوة والأحقاد حتى بات بالإمكان نشوب الحروب لأسباب يسيرة ربما استمر بعضها لسنوات طويلة .

وكان لمكة علاقات واتصالات تجارية مع جميع مناطق شبه جزيرة العرب ولاسيما مع الحيرة .

وقد برزت قوى سياسية كثيرة في شبه جزيرة العرب رافقها بروز دويلات عربية كبيرة في الأقسام الشمالية والجنوبية . استطاعت هذه الدويلات أن تصنع تاريخها فكان لها شأن كبير ولاسيما ان تلك الدويلات وخاصة الشمالية عاشت أو شاهدت الصراع السياسي الكبير بين الإمبراطورية الساسانية والإمبراطورية البيزنطية الامر الذي دفع هذه الدويلات إلى إن يكون لها موقعها السياسي الثابت تجاه هاتين القوتين فضلاً عن الأثر الذي فرضته تلك القوى على مسيرة حياة هذه الدويلات اعني (الأثر السياسي والعسكري للدولتين البيزنطية والساسانية) في محاولة لزج تلك الدويلات العربية باستغلال ولائها في الصراع الدموي السائد بينهما ومن ثم صارت جميع تلك الدويلات على الرغم مما وصلت إليه من قوة ،ولاسيما دويلة (الغساسنة والحيرة) ومن باع طويل ضحية للقوى العظمى المتنازعة آنذاك .

شهدت الحياة العربية نوع من التقدم الحضاري لاسيما التجاري في شبه الجزيرة أبان نشوء تلك الدويلات العربية ، وتعد الحيرة المدينة والمملكة من أبرزها بالنظر لاتساع مساحتها فضلاً عن قوتها العسكرية وسيطرتها على القبائل العربية في العراق متمثلاً بحكامها من (تنوخ وال لخم) وبما وصلت إليه من خلال علاقتها بالدولة الساسانية فضلاً عن بعدها عن بلاد الشام جعلها هذا كله بعيدة عن الجيوش الرومانية على الرغم من الصراعات الكبيرة التي خاضتها ضد دولة الغساسنة بالتحريض من أصدقائهم الساسانيين والرومانيين على السواء .

وكان لاتساع الحيرة وصعود نجمها أثره في ، علاقاتها مع مناطق مختلفة من شبه جزيرة العرب ولاسيما مكة وبما شكلته هذه المنطقة من اثر سياسي وديني فقد كانت ومازالت كعبة العرب يأمها الناس من كل فج عميق ،وبما أدته هذه المنطقة بفضل موقعها وأهميتها من دور في جلب أنظار العرب إليها ، فكانت لها علاقاتها مع بلاد اليمن ومع الشام . وكانت لرحلاتها أهمية خاصة حتى جاء ذكرها في القرآن الكريم (لإِيلافِ قُرَيشٍ * إيلافِهِم رِحلَةَ الشِتاءِ وَالصَيفِ * فَلَيعبُدُوا رَبَّ هَذَا البَيتِ *الذي أطعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّن خَوفٍ) [1]

وتعد التجارة بما لها من تداخلات (اجتماعية ،سياسية ، دينية)عند العرب في شبه جزيرة العرب قبل الإسلام ، من الموارد الأساسية في تشكيل حياتهم الاقتصادية [2]

وتشمل التجارة : الاتجار داخل جزيرة العرب ، أي تعامل أبناء بلاد العرب بعضهم مع بعض ،والاتجار مع الخارج أي مع الدول المجاورة مثل الهند وأفريقيا والفرس والروم والتجارة تكاد تكون الحرفة الوحيدة عند العرب التي لم ينظر العربي إليها والى المشتغل بها نظرة استهجان وازدراء ، بل تعد عندهم من اشرف الحرف قدراً ومنزلة [3].

وللتجارة عند العرب مقومات أساسية لها إذ شكلت الطيوب والتوابل التي تنبت في جنوبي شبه الجزيرة لتجد طريقها براً وبحراً الى مصر وسورية ، ثم من الشواطئ السورية عبر البحر الأبيض المتوسط ، الى الشواطئ الأوربية في بلاد اليونان القديمة ، في حين كان للموقع الجغرافي المتوسط لشبه الجزيرة أهميته الكبيرة إذ تمر بها الخطوط التجارية التي تخترقها من الشمال الى الجنوب ومن

---

[1] سورة قريش ، ايه (١-٤) .

[2] يحيى ،لطفي عبد الوهاب ، العرب في العصور القديمة ، ط٢ ، مطبعة المعرفة الجامعية (الاسكندرية ، ١٩٨٦م) ، ص٣٠٦.

[3] ينظر : جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج٧، ص٢٢٧.

البحر الأحمر حتى موانئه الشمالية [1]وهكذا كان الملوك تجارا يبيعون ويشترون ،وكان رؤساء المعبد تجاراً يتاجرون بما يقدم اليهم [2] .

وللتجارة أهمية كبيرة عند العرب ،إذ كان لموقع بلاد العرب الجغرافي المتوسط بين بلاد اعظم الدول ففي شمالها الشرقي بلاد فارس وفي شمالها الغربي بلاد الروم ومصر والى غربها الجنوبي وراء البحر بلاد الحبشة ، وفي جنوبها البحر الهندي الذي يفصلها عن بلاد الهند [3] وما ترتب عليه من مرور التجارة من الشرق الى الغرب عبر أراضيها ،ظاهرة استرعت اهتمام المؤرخين الكلاسيكيين في العصر اليوناني والروماني ، إذ تحدث الجغرافي اليونان سترابو (Strabo) عن غنى المنطقة العربية الجنوبية ، فكان غناها من الأسباب التي دفعت أغسطس الى شن حملته على هذه المنطقة في سنة (٢٤ ق.م) [4].

---

[1] يحيى ، العرب في العصور القديمة ، ص٣٠٧.

[2] مهران ، الحضارات العربية القديمة ، ص٢٨٤.

[3] الافغاني ،اسواق العرب ، ص١٥.

[4] نقلاً عن مهران ،تاريخ العرب القديم ، ص٣١٠-٣١٣؛ ويشير التاريخ الروماني إلى : ان الرومان بعد ان استولوا على ارض كنانة بعون من الانباط استطاع يوليوس قيصر . ان يقبض على ناصية الأمور في الاسكندرية عام(٤٧ ق.م) ، فبدأ الرومان يفكرون في الشيء نفسه بالنسبة الى بلاد العرب ، وهكذا كان مشروع حملة يوليوس جاليوس عام ٢٣ ق.م للاستيلاء على بلاد اليمن ،لكثرة خيراتها ولإحتكارها طرق النقل التجاري بين العالم وليجعل البحر الأحمر بحراً رومانياً ، فضلاً عن القضاء على المنافسة العربية الخطيرة التي كان الملاحون الروم يحسبون لها الف حساب عند اجتيازهم باب المندب ، وحين ترسو سفنهم على بعض الموانئ في تلك المناطق ينظر : جواد علي ، المفصل ج٧، ص٤٢؛ ولو تم المشروع على نحو ما حلم به اكتافيوف اغسطس (٣١ ق.م .٤٠ م) لكان حكام روما قد بلغوا العربية الجنوبية ،وربما سواحل افريقية ، الا ان سوء تقدير الرومان له واستهانتهم بطبيعة بلاد العرب ،وعدم معرفتهم قساوة الطبيعة هناك ، وعدم تمكن الجيوش الرومانية النظامية من المواجهة فيها، وتحمل العطش والحر الشديدين احبطت هذه الظروف وأدت هذه إلى خيبة المشروع منذ اللحظة الأولى ،فكانت انتكاسة شديدة في هيبة روما ، وفي

وقد وردت أخبار كثيرة تشير الى وجود الفاظ ذات معانٍ تجارية تتعلق بالبيع والشراء والامتلاك والعقود، مما يدل على ان العرب الجنوبيين كانوا قوماً تجاراً ، يجنون من التجارة أرباحاً طائلة ، فكانوا يبيعون ويشترون ويصدرون ويستوردون في الداخل والخارج ،ويقصدون الأسواق الشهيرة القريبة منهم كسوق صحار والمشقر[1]. كما يقيمون الأسواق في بلادهم في المواسم او في أيام معينة من الأسبوع للبيع والشراء كسوق عدن والمشقر [2].

والتجارة هي (ش ت ي ط) (شتيط) في لهجة قتبان وقد وردت هذه اللفظة في عدد من النصوص القتبانية ، في أوامر أصدرها ملوك قتبان لتنظيم التجارة وتنظيم الجباية ، ومنها نص أصدره الملك (شهر هلال بن يدع اب) في تنظيم التجارة وفي كيفية الاتجار .وقد نشر على شكل اعلان او مرسوم ملكي موجه من الملك إلى التجار من أهل قتبان [3] جاء فيه (و من يتجر تجارة بتمنع ويخارج تمنع فعليه ان يقدم عربوناً إلى تمنع وان يكون مقيماً في بشمر ، وان اثر قتبان محلاً لا تجارة ، وأراد ان يتجول ليشتري فعليه ان يشتري من مدينة بشمر) [4].

وهذا يعني ان هناك شروطاً يجب ان يلزم بها التجار الأغراب الوافدين الى قتبان ، للاتجار فيها سواء من حيث مكان إقامتهم ام مكان ممارستهم لتجارتهم أم

مشاريعها التي أرادت ان تنفذها في شبه الجزيرة العربية ينظر :احمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، (القاهرة ،١٩٦٣م) ، ص١٤١.

[1] المشقر : حصن بين نجران والبحرين يقال انه من بناء طسم وهو على تل عال ويقابل حصن بن سدوس ، البلدان ، ج٨، ص٢٧٠؛ الافغاني ، أسواق العرب ، ص٢٤٠.

[2] الافغاني ، المصدر نفسه ، ص٢٤١-٢٦٩. للتفاصيل عن التجارة في اليمن القديم . ينظر : جواد مطر الحمد ، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم ، دار الثقافة العربية (الشارقة ، ٢٠٠٢م) ، ص٤٢٢-٥٨١ .

[3] علي ، المفصل ،ج٧، ص٣٢١.

[4] المرجع نفسه ، ص٢٣١.

الرسوم المطلوب تأديتها الى الدارة المختصة ،والشيء نفسه نجده في الحجاز حيث ظهر أكثر من مركز تجاري ، أشهرها مكة ثم يثرب والطائف [١][٢].

ففي مكة نجد قبيلة قريش ، وقد نشطت نشاطاً ملحوظاً ومستمراً في المعاملات التجارية سواء فيما بين القريشين أنفسهم ام مع شعوب أخرى مثل البيزنطيين والفرس والأحباش ،إذ اصبح لديهم من تجاربهم في هذا المجال عدد من القواعد والأصول التي شكلت عرفاً تجارياً [٣].

والعربية الجنوبية في كتب اليونان والرومان وفي التوراة بلاد غنية ذات خيرات وثروات وتجارات وأموال وقوافلها تخترق جزيرة العرب إلى بلاد الشام والعراق ، وفي بلادها الذهب والفضة والحجارة الكريمة ، تتاجر مع الخارج فتربح بتجارتها هذه كثيراً [٤].

وقد كان هناك عدد من الطرق البرية والبحرية التي تنقل تجارة العرب بعض هذه الطرق يبدأ من المنطقة الجنوبية الغربية والتجارة عند العرب قسمين : تجارة برية وأخرى بحرية .

التجارة البرية :

تعد التجارة البرية عماد تجارة العرب القدماء ، ولاسيما الحقبة التي سبقت ظهور الإسلام ، فقد كانت القوافل عماد هذه التجارة إذ كان الملوك وسادات القبائل والأشراف يرسلون تجارتهم بقوافل الى مواضع اتجارهم فتبيع وتشتري ما تحتاج اليه من سلع تجارية لتبيعها في مكان اخر بثمن غال ، والتجارة البرية . إما تجارة

---

(١) مهران ، الحضارة العربية القديمة ، ص٢٨٥.

(٢) ينظر : الملاحق خارطة رقم ١ .

(٣) يحيى ، العرب في العصور القديمة ، ص٣١٢.

(٤) علي ، المفصل ، ج٧، ص٢٣٣.

داخلية الى داخل البلاد وإما تجارة خارجية كانت تتم مع بلاد الشام والعراق أي خارج حدود جزيرة العرب [1].

وقد كانت هذه التجارة تتبع اتجاهات رئيسة للطرق البرية منها طرق موازية تقريباً للبحر الأحمر من أقصى جنوب شبه الجزيرة الى بلاد الشام وشواطئها في الشمال ...

وتبدأ هذه الطرق من قتبان في الركن الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة وحضرموت الواقعة إلى شرقها ، وسبأ من ناحية الشمال و تمنع تبدأ طرق القوافل الرئيسة نحو الشمال مخترقة الحدود الشمالية لمنطقة سبأ لتتخذ بعد ذلك شكل ممر عبر أراضي المعينين لتصل بعدها إلى مكة .

وكان العرب الجنوبيون يتاجرون مع بلاد الشام فيرسلون أليها قوافلهم مارة بالحجاز الى أسواق بلاد الشام بالطرق البرية ، التي مايزال الناس يسلكونها وقد عثر على كتابة يذكر فيها الإله (عثر) الذي يتقرب به أصحاب هذا النقش تشكراً لهذا الإله ، لانه نجاهما مع قافلتهما من الحرب التي كانت قد وقعت بين مصر وماذي فوصلا معها سالمين الى مدينة (قرنو) عاصمة معين [2].

وتعد البتراء اهم عقدة طرق يمر بها التجارة المعينون والسبئيون ومنها يتجه نحو البحر الميت لمن يريد الاتجار مع بلاد الشام وطريق اخر ينتهي بغزة حسبما ذكره بلينوس (٢٣-٧٥م) [3].

وقد كانت قوافل سبأ تسير من العربية الجنوبية الى فلسطين ، اذ يشير جواد علي الى ان السبئيين كانوا يسيطرون على العربية الغربية حتى بلغت حدود مملكتهم ارض فلسطين نتيجة سياسة حكومة سبأ بشأن التوسع التجاري ،وهذا التوسع يقتضي السيطرة على الطرق التجارية ، لذلك عملت على السيطرة على

---

[1] علي ، المفصل ج٧، ص٢٣٢.

[2] علي ، المفصل ، ج٧ ، ص٢٣٦.

[3] نقلاً عن يحى ، العرب في العصور القديمة ، ص٣١٥.

الطرق المؤدية الى بلاد الشام ،ولهذه الطرق أهمية كبيرة بالنسبة لأهالى اليمن والعربية الجنوبية [١][٢].

الطرق التجارية :

أ.طرق القوافل البرية :

التجارة وسيلة مهمة للتاجر الذي يسعى إلى الربح وهي أفضل بكثير من رحلاته التي يقوم بها في مسالك الصحراء لمبادلة حاصلاته بحاصلات الزراع المستقرين فضلاً عن ذلك ان البدو يمكنهم عبور الصحراء في قوافل ذات أعداد كبيرة ، تضمن الحماية والسلامة من الغارات [٣] .

ومن خلال ذلك تكاملت الأطراف لإنشاء تجارة رابحة بين الإقليم والهلال الخصيب من ناحية ، وجنوب غرب شبه الجزيرة العربية وجنوبها ومصر ودول شرق البحر المتوسط من ناحية أخرى [٤].

ولقد كان هناك مركزان تخرج منهما الطرق :جرها على الخليج العربي ومدن الساحل الجنوبي الغربي [٥]

ب.طرق التجارة البحرية:

لا ريب في ان بلاد العرب تحيط بها المياه من جهات عدة وهذا ساعدها على قيام تجارة بحرية نشطة ولاسيما أنها تقع بين بحرين هما البحر الأحمر من

---

[١] علي ، المفصل ، ج٧، ص٢٤١.

[٢] ينظر : الملاحق خارطة رقم ٢.

[٣] جمال حمدان ، أنماط من البيئات ، (القاهرة ، ١٩٧٦م) ، ص٩٩.

[٤] مهران ، الحضارات العربية القديمة ، ص٢٨٩.

[٥] المرجع نفسه ، ص٢٩٠–٢٩١.

الغرب والخليج العربي من الشرق ، وبينهما يمتد المحيط الهندي ليستمر بعد ذلك شرقاً ، كذلك فان الرياح الموسمية التي تسود المنطقة كانت عاملاً مساعداً في حركة الملاحين هذا الى أن نهري دجلة والفرات في شمال الخليج العربي ونهر النيل غرب البحر الأحمر بإمكانهما في مجال النقل أن يشكلان امتدادين لهذا الموقع التجاري الوسيط [١]

غير ان هناك صعوبات عدة كانت تقف أمام عرب شبه الجزيرة في الحقب الأولى تحول دون إمكانية الانتفاع بهذه الإمكانات ، فشواطئ البحر الأحمر غير آمنه ولاسيما في القسم الشمالي من حيث الشعب المرجانية التي لا تسمح بوجود موانئ ترسو عليها السفن [٢].

ان العرب كانوا يملكون سفناً في البحر الأحمر وفي البحر العربي وفي الخليج العربي الا ان سفنهم لم تكن فخمة ولهذا لم تتمكن من مجابهة السفن الرومانية واليونانية التي نزلت تلك البحار [٣].

وكان أهل جرها (Gerrha) على ساحل الإحساء ، من أنشط الناس في التجارة ، إذ يتاجرون في البر و البحر ويتاجرون مع الهند وسواحل إيران الجنوبية ، كما كانوا يتاجرون مع العربية الجنوبية والعراق [٤]،ولهم تجارة مهمة مع (باريجاره) على خليج (كمباي) في الهند ، تحمل سفنهم السلع العربية ثم تعود محملة بالنحاس وأنواع مختلفة من الأخشاب ولعل استيراد هذه السلعة الأخيرة أدى الى نوع من النشاط في بناء السفن التي كانت الأخشاب الصالحة لبنائها غير موجودة في شبه الجزيرة العربية [٥].

---

[١] المرجع نفسه ، ص٢٩٢.

[٢] يحيى ، العرب في العصور القديمة،ص٣٢٥.

[٣] علي ، المفصل ، ج٧، ص٢٦٥.

[٤] المرجع نفسه ، ص٢٧٠.

[٥] حوراني ، جورج فضلوا ، العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ترجمة :السيد يعقوب بكر (القاهرة ، ١٩٥٨ م) ، ص٦١-٦٢.

ويذكر بليني ثلاث مدن وموانئ أخرى ذات نشاط تجاري بحري ، هي جرها والحيلة (قرب رأس الخيمة) وهمنة ، واطافة ، كموانئ على الجانب الشرقي لشبه الجزيرة العربية [١].

في الوقت الذي أشار فيه بليني الى وجود جاليات يونانية على سواحل بلاد العرب في مواقع غير بعيدة عن موضع (Atterace) الذي هو عدن ، إشارة إلى وجود مستعمرات يونانية على سواحل جزيرة العرب أنشئت قبل أيامه لضبط الأمن من البحارة ، وللاتجار مع العرب ويسط نفوذ الروم عليها [٢].

وقد شهد القرن الذي سبق ظهور الإسلام نشاطاً تجارياً للبحرية العربية وتدهوراً اقتصادياً للإمبراطورية الرومانية ، كما هبط فيه النشاط التجاري اليوناني في البحر إذ أصبحت جزيرة سيلان همزة الوصل بين تجارة الصين وتجارة الشرق الأدنى، إليها يصل التجار الصينيون ليفرغوا تجارتهم فيها ومنها يبحر بهذه التجارة ، تجارة من فارس والحبشة [٣].

وكان لمكة صلات قوية بالحبشة عن طريق البحر الأحمر ولابد من أنهم يستعملون البحر في نقل متاجرهم عن طريق ميناء الشعيبة [٤].

١. التجارة في الحيرة :

شكلت مدينة الحيرة الوسط التجاري بين بلاد فارس ومدن شبه جزيرة العرب ، اذ كانت تستلم البضائع وتوصلها الى أسواق العرب ، كما ان ملوك اللخمينيين

---

[١] المرجع نفسه ، ص٦٢؛ مهران ،العرب و الدولة في العصور القديمة (الرياض ١٩٧٦م) ، ص٣٢٣-٣٢٤.

[٢] نقلاً عن علي ، المفصل ، ج٧، ص٢٧٧.

[٣] يحيى ، العرب في العصور القديمة ، ص٣٣٢.

[٤] شريف ، مكة والمدينة ، ص٢٠٧.

كانوا يرسلون تجارتهم الى أسواق مكة كل عام تحت حماية بعض رؤساء القبائل العربية [١] ، إذ يروى ان قريشا تعلمت الكتابة من أهل الحيرة [٢] .

وبعد اضطراب الأحوال السياسية في بلاد الحيرة ، وكثرة اعتداءات القبائل على تجارة الفرس ، حتى على تجارة المناذرة أنفسهم [٣] ، توقفت تجارة قريش قد توقفت لحقبة طويلة بعد سقوط الحيرة [٤] .

وكان أحتكار الفرس للتجارة الشرقية وفرضهم ضرائب باهضة على القوافل السبب في دفع الرومان إلى ترويج البضاعة المكية [٥] .

إن للتجارة أثراً كبيراً في العلاقة بين الحيرة ومكة ، التي تلتقي على أصول الحكم القبلي بقيادة مكة وعلى السياسة المكية مع القبائل العربية المحيطة بها [٦].

[٦].

وقد شهد النصف الثاني من القرن السادس الميلادي تبدلاً أساسياً في العلاقات بين القبائل في شمال الجزيرة وبين الحيرة ، ونتيجة لانكسار قوات الحيرة في المعارك التي تخوضها هذه القبائل أن تقوضت هيبة حكام الحيرة في نظر هذه القبائل ، مما أدى منح امتياز حراسة القوافل لبعض رؤساء العشائر إلى إثارة الحسد والخلاف بين القبائل ، وأدى إلى التصادم فيما بينها ، ثم قامت القبائل الساخطة بالثورة ضد الحيرة ، ولهذا كثرت ألإغارة على قوافل الحكام ، وصارت

---

[١] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص٣٥٩ .

[٢] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٩٠ .

[٣] شريف ، مكة والمدينة ، ص١٦٤ .

[٤] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص٢٩١ .

[٥] شريف ، مكة والمدينة ، ص١٦٤.

[٦] كستر ، الحيرة ومكة وصلتها بالقبائل العربية ، ترجمة يحيى الجبوري ، دار الحرية للطباعة للطباعة ، (بغداد ، ١٩٧٦ م) ، ص٤٠.

طرق التجارة غير آمنة ، وقد بدأ حكام الحيرة يفقدون السيطرة على الطرق التجارية وتضاءلت هيبتهم [١] .

كما تشير الروايات التاريخية إلى شعور أمراء الحيرة بتدهور الإمبراطورية الفارسية في أواخر ذلك القرن ، مما دفع النعمان آخر أمراء الحيرة إلى توثيق العلاقة مع زعماء بعض القبائل ، فقد روى عنه أنه قال : " إنما أنا رجل منكم ، وإنما ملكت وعززت وما يتخوف من ناحيتك " [٢] .

وكان لموقع الحيرة على الضفة اليمنى من نهر الفرات في أطراف البادية اثره في ازدهار تجارتها ، فهي تمتد الى منخفض بحر النجف الذي يرتبط بالخليج العربي عن طريق نهر الفرات ، وكانت بعض أنهاره تصل إلى مدينة الحيرة ولاسيما نهر الحيرة ، ونهر يوسف ، ونهر كافر ، وتتجمع هذه الأنهار لتصب في بحر النجف وتصل إليه السفن البحرية القادمة من الفرات [٣] .

ويروى أن نهر كافر كان يسمى نهر الحيرة ، وقيل أسم قنطرته ، وفيه يقول المتلمس :

وألقيتها بالثني من بطن كافر   كذلك أقنو كل قط مضلل

رضيت لها بالماء لما رأيتها   يجول بها التيار في كل جدول [٤]

وهذا الموقع أعطى الحيرة أهمية كبيرة لتحركات القبائل العربية بين شبه الجزيرة العربية وسواد العراق ، الأمر الذي ساعد على انتعاشها سياسيا واقتصاديا ، ولكي يسهل أمر نقل البضائع والسلع من بلد الى آخر لابد من وجود طرق للمواصلات يتم عن طريقها نقل البضائع من منطقة الى اخرى ، فكانت طريق

---

[١] المرجع نفسه ، ص٤١.

[٢] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج١ ، ص١٦٩.

[٣] العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص٧٣ .

[٤] الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٣١ .

الحيرة ، إذ ان سهولة هذا الطريق وقلة العوارض فيه وتوفر المياه والوجود السكاني على طول الطريق ، جعلها الأفضل للتجارة [١] .

وذكر نكلسن ان السفن التجارية القادمة من المحيط الهندي تأتي الى الحيرة عن طريق الفرات وتفرغ حمولتها هناك [٢] ، وكان الحيريون ينقلون بضائعهم ب بالقوافل التجارية التي تعرف باللطائم [*] ، ويقود هذه القوافل عادة من الذين يتصفون بالشجاعة والذكاء والحسب والنسب [٣] ، وان يكون معروفا بين القبائل وكثيرا ما كان يلجا الى تقديم الهدايا لرؤساء القبائل لكي يضمن سلامة مرور قافلته [٤] ، وبسبب هذا الاهتمام الواسع من ملوك الحيرة أصبح لها دور كبير في تجارتها البرية كما هو الحال في تجارتها المائية إذ طافوا مياه الخليج العربي وسواحل بلاد العرب وشبه الجزيرة العربية والبحرين ووصلوا الى الهند حاملين منتجات العراق وما جلب إليها من الشام والروم كالحديد والنحاس والقصدير جالبين معهم الحرير والاستبرق والقرنفل والصمغ والصدف والعاج والعطور ودهن البان فأصبحت الحيرة مركزا لتجارة النقل بين الهند ودول ذلك العهد [٥] .

---

[١] خليفه ، يوسف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص١٢٥ .

[٢] تاريخ الادب العربي ، ص٨٠-٨١ .

[*] اللطيمة ، وهي قافلة كانت تحمل تجارة يرسلها ملوك الحيرة الى الاسواق وقد عرفت بانها العير الذي يحمل الطيب . الزبيدي ، تاج العروس ، ج٩، ص٦ ؛ علي ، المفصل ، ج٣ ص٢٧٧ .

[٣] يروى ان النعمان بن المنذر رفض ان يجير قافلته التجارية المعروفة باللطيمة الى رافع بن قيس (البراض) لانه كان خليع قومه وكان عند النعمان مستجيرا . ينظر : ابن حبيب ، المحبر ، ص١٩٥-١٩٦ .

[٤] كستر ، الحيرة ومكة ، ص٣٦ .

[٥] غنيمة ، الحيرة ، ص٩١ ؛ وينظر : العلي ، محاضرات ، ص٣٦-٣٧ .

ولم تقتصر ممارسة النشاط التجاري على فئة التجار وحدهم بل اسهم بعض ملوك الحيرة بهذا النشاط ، فقد روي ان النعمان بن المنذر كان يبعث في كل سنة بلطيمة (قافلة) الى سوق عكاظ ليبيعها ويشتري بثمنها الادم والحرير والوكاء والحذاء والبرود من القصب والوشي والمسير العدني واليماني [١] .

وكانت للحيرة علاقات تجارية مع الشام ، ولم تتأثر هذه العلاقات بالعمليات الحربية التي كثيرا ما كانت تنشب بين المناذرة والغساسنة [٢] فقد ذكر ان للنعمان ابن المنذر علاقات تجارية مع كبار تجار الشام مثل التاجر سرجون بن توفيل [٣]

وحقق التجار الحيريون أرباحاً كبيرة نتيجة تحول العملات الذهبية الى دراهم فضية وبالعكس [٤] وبذلك عدت حرفة التجارة من اشرف الحرف واعلاها قدرا ومنزلة[٥] ، والدليل على انتعاش هذا النشاط وازدهاره كثرة العاملين فيه لذا قيل انك لا ترى بلدا في الأرض ليس فيه حيري [٦] .

٢. التجارة في مكة :

كان أهل مكة من ابرع التجار ومن أنشطهم ، إذ استفاد أهل مكة من الوضع السيىء الذي طرأ على بلاد اليمن بعد وصول الأحباش أليها [٧].

---

[١] الافغاني ، اسواق العرب ، ص٢٧٩ .

[٢] علي ، المناذرة دراسة سياسية حضارية ، ص٧٥ .

[٣] غنيمة ، الحيرة ، ص٩٢ .

[٤] محمد ، عبد الرحمن فهمي ، النقود العربية ماضيها وحاضرها ، ط القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص٢٣.

[٥] الخضري ، محمد ، محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية ، (مصر ، ١٩٦٩م)، ج١ ص٢٤ .

[٦] العلي ، محاضرات ، ص٧٥ .

[٧] كان الوجود الحبشي في بلاد اليمن يعود الى سنة ٥٢٥ م إذ كان السميفع اشوع سام اشوع نائبا للملك الحبشي ، وتختلف المصادر في كيفية وصول أبرهة الى بلاد اليمن ،

وأصبحت مكة منذ ان آل أمرها الى قريش على أيام قصي بن كلاب نحو (٤٤٠م) مركزاً للحياة الدينية والاقتصادية في شبه الجزيرة العربية بسبب وجود الكعبة المشرفة [١].

ونتيجة انحسار المد الحبشي وانتهاء عهده ، انحسر كل نفوذ سياسي او عسكري كان لحكومات اليمن في الحجاز او على بعض القبائل العربية ،ووجدت قريش نفسها حرة مستقلة وفي وضع يمكنها من استغلال مواهبها في التجارة فقامت بمهمة الوسيط في نقل تجارة أهل اليمن إلى أسواق فلسطين وتجارة بلاد الشام الى اليمن [٢] .

وقد وصف الإخباريون أهل مكة بترفعهم عن البخل والشح فقد وصفهم الجاحظ (ومن العجب ان كسبهم لما قل من قبل تركهم الغزو ومالوا الى الإيلاف[٣] والجهاد لم يعتريهم من بخل التجار قليل ولا كثير والبخل خلقه في

الذي سمي بملك سبأ وذو ريدان ، بحسب نص بلازر ، وبقي الاحتلال الحبشي حتى ثورة سيف بن يزن الحميري ، الذي فر أبوه الى ملك الحيرة عمرو بن هند ، بعد ان انتزع منه أبرهة وزوجه ريحانة بنت علقمة وأم ولده سيف ، ثم أولدها أبرهة ولده مسروق وابنته ينظر : الطبري ، ج٢، ص١٣٠؛ ابن الأثير ، ج١، ص٤٣٣؛ في حين تذهب روايات الى ان سيف قد توجه الى بيزنطة وحاول اقناع قيصرها ، إرسال حملة تقاتل الى جانب اليمنيين ، الا انه اخفق في ذلك ينظر الدينوري، الأخبار الطوال = =ص٦٣؛ توجه بعدها الى بلاد فارس ، ويبدو انه لجأ الى النعمان بن المنذر حاكم الحيرة حتى يقدمه الى كسرى انو شروان (٥٣١-٥٧٤م) ؛ ابن خلدون ،ج٢، ص٦٣ ؛ ثم استطاع العرب بعد مساعدة الفرس في تحرير بلادهم من الاحتلال الحبشي ؛ ينظر: الطبري ، تاريخ ، ج٢،ص١٤٠-١٤٢؛ تاريخ الخميس ، ص٢١٨.

[١] مهران ،الحضارة العربية القديمة ، ص٢٩٦.

[٢] علي ، المفصل ، ج٧ ، ص٢٨٥ ؛ مهران ، المصدر نفسه ، ص٢٩٦ .

[٣] الإيلاف . الأنس وعدم الوحشة إيجاب الألف يحسن التدبير ، يقال آلف بألف الفا ، ولفه يؤلفه ايلافا ، اذ جعله يألف ، الإيلاف والإيلاف في الآية الكريمة عهود كانت بين قريش

الطباع ، فأعطوا الشعراء كما يعطي الملوك ، ووقروا الاضياف ، ووصلوا الأرحام وقاموا بنوائب زوار البيت ، فكان احدهم يحبس الحية الانطاع ، فيأكل منها القائم والقاعد والداخل والراكب) [1]

وقد نسب الجاحظ ميل قريش الى التجارة واشتغالهم بها إلى تحمسهم في دينهم وتشددهم في الدين فقال :" قريش من بين جميع العرب دانوا بالتحمس والتشديد في الدين فتركوا الغزو كرهاً للسبي واستحلال الأموال واستحسان العفو فلما تركوا الغزو لم تبق بمكة سوى التجارة فضربوا في البلاد الى قيصر بالروم والى النجاشي بالحبشة و الى المقوقس في مصر وصاروا بأجمعهم تجاراً خلطاء [2] وقد بلغت شهرة القريشيين في التجارة ومهارتهم فيها ، الى ان يذهب بعض المؤرخين الى القول إن قريشاً إنما سميت كذلك لأحترافها التجارة [3]

لان التقريش إنما هو التجارة والاكتساب، وذكرت رحلاتهم التجارية في القرآن الكريم في قوله تعالى (لإيلاف قُريش إيلافهم رِحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)[4].

وتذكر المصادر التاريخية ان الإيلاف بدأ نحو ٥٠٠ م ونسب إلى بني هاشم رهط النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك ان قريشاً تجار لا تتجاوز نجارتهم مكه

وملوك العجم . القرطبي : تفسير القرطبي ، ج٢ ، ص٢٠٠-٢٠٥ ، الطبري : تفسير الطبري ،ج٣ ، ص٣٥-٣٠٩ .

[1] كتاب البلدان ، نشره الدكتور صالح أحمد العلي ، مستله من مجلة الآداب لسنة ١٩٧٠ ص٤٦٨ .

[2] اليعقوبي ، البلدان ، ص ٤٧٢.

[3] مهران ، الحضارة العربية ، ص٢٩٨.

[4] سورة قريش :الآية : ١.٤؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج ٣٠ ، ص ٣٠٥- ٣٠٩؛ الالوسي ، تفسير روح المعاني ، ج٣، ص٢٣٨-٢٤١.

حتى سافر هاشم بن عبد مناف الى بلاد الشام ، وعقد لهم عقوداً تجارية وضمن لهم الأمان مع قيصر الرومان [١] .

ويظهر من سورة قريش ، ان قريشاً كانت لها رحلتان في السنة رحلة الشتاء الى اليمن ورحلة الصيف الى بلاد الشام ، هما رحلتان تجاريتان لأغراض البيع والشراء ،وقد صارت مكة ذلك العهد مركزاً مالياً خطيراً في الحجاز [٢].

وعلى أي حال فان أحوال مكة السياسية والاقتصادية والجغرافية قد جعلت منها مدينة عربية لجميع العرب فلم تكن كسروية او قيصرية او نجاشية .

وأشرك أهل مكة سادات القبائل معهم في الاتجار تأليفاً لقلوبهم وحماية لتجارتهم وقوافلهم ، وأنهم سدنة البيت الحرام وكانوا يعطوهم نصيبهم من الارباح مما جعل سادات القبائل يفيدون الى مكة ويعقدون مع تجارها الاتفاقيات وبذلك توسعت تجارة مكة وازدادت رؤوس أموال قريش [٣] .

وكان أهل مكة تجاراً محايدين وعلاقتهم حسنة بالروم والفرس ، وكان من مصلحتهم الوقوف على الحياد والاستفادة من الموانئ القريبة منهم في التجارة مع الحبشة [٤] .

وهكذا اتسعت تجارة قريش فضلاً عن القبائل العربية الأخرى وكان لها اثر في أسواق العرب الموسمية ، ولعل من أشهر أسواق قريش في الداخل سوق دومة الجندل [٥] .

وكان التجار يفدون إليها من أنحاء نجد والحجاز وبلاد الشام ، وسوق حبشه في تهامة ، وسوق بدر وكانت من مواسم العرب تقام كل عام للتجارة وسوق

---

[١] الطبري ،تاريخ ، ج٢ ، ص٢٥٠-٢٥٢ ؛ ابن هشام ، السيرة ، ج١،ص١٤٥- ١٤٦.

[٢] علي ، المفصل ، ج٧، ص٢٩٠.

[٣] العقاد ، عباس محمود ، طوالع البعثة النبوية ، دار الهلال ، (القاهرة ، ١٩٦٨م) ص١٣٥.

[٤] شريف ، مكة والمدينة ، ص٢٠٨ .

[٥] الافغاني ، اسواق العرب ، ص٢٧٩.

بنـي قينقـاع فـي يثرب ، إذ تتركز التجـارة اليهوديـة وسوق الرابيـة فـي حضر مـوت وسوق صحار في عمان وهي سوق دولية في العالم القديم على ان أهم أسواق قريش بعد مكة إنما كانت أسواق عكاظ ومجنة وذي المجاز [1] .

وقد رتب العرب لهذه الأسواق مواعيد تنتهي عند الحج اذ كانوا يقيمون عكاظ من أول ذي القعدة حتى منتصفه فينتقلون الى مجنة حتى يتم الشهر ثم إلى ذي المجاز إلى يوم التروية وهو ثامن ذي الحجة إذ يخرجون إلى عرفه وهنا تتوقف تجارتهم تقديساً لأيام الحج في عرفه وما زالوا على تحرجهم هذا حتى ظهر الإسلام فأباح لهم التجارة في الحج[2] .

السيول في منطقة مكة :

تذكر المصادر التاريخية عدداً من السيول التي اجتاحت مكة في أيام الجاهلية وفي العصر الإسلامي ، وهذا يدل على مقدار الأثر الذي يخلفه في تلك البقعة المقدسة ، حتى ان بعضهم يؤرخ بالحادثة المهمة التي رافقت حدوث سيل معين كقوله : " أيام سيل أم نهشل " الذي أقتلع مقام النبي إبراهيم (عليه السلام) ، وذهب به حتى وجد في أسفل الكعبة ، وكان هذا السيل في أيام الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، وهو أول السيول في زمن الإسلام حدث في سنة (١٧ هجرية / ٦٣٨ميلادية) .

وتشير المصادر إلى حدوث تسعة وعشرين سيلاً ، منها أثنان في الجاهلية هما سيل فارة ، إذ دخل الماء إلى الحرم وأحاط بالكعبة وتسبب في فقدان عدد من الأرواح فضلاً عن جرف الأشجار، مما حدا بخزاعة إلى بناء سدود (تحصينات) حول الكعبة ، وسيل أبا الجارود ، إذ هدمت الكعبة في مدة سدانة جرهم .

---

[1] مهران ، الحضارة العربية القديمة ، ص ٣٠٥ .

[2] عيسى ، احمد عبد الرحمن ، من جلالات سورة قريش ،(الرياض ، ١٩٧٧م)، ص١١٦

أما الـ(٢٧) سيلاً الباقية فهي في مدة العصر الإسلامي ، بدأت بسيل أم نهشل سنة ١٧هـ وانتهت بآخر سيل سنة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م [١][٢].

(١) حديد ، احمد سعيد ، السيول في منطقة مكة المكرمة ، المجلة التاريخية ، من أصدارات الجمعية العراقية لتاريخ والآثار ، العدد ٣ ، سنة ١٩٧٤م ، ص٣٤٢ ،

(٢) ينظر : الملاحق ، صورة رقم ١ .

تمهيد :

يعد طريق الحج البري القديم من الطرق المهمة في تاريخ العرب قبل الإسلام ولاسيما انه كان يعد من الطرق التجارية المهمة التي امتدت بين حاضرتين مهمتين عند العرب هما الحيرة ومكة . بسبب ما كان بينهما من اتصال تجاري وثيق بل واتصال ثقافي فمن الحيرة حمل الخط العربي إلى مكة على رواية أهل الأخبار[1] .

وقد سمي طريق العراق التجاري من الحيرة إلى مكة بـ(المِثْقَب) [2][3] ، يقال سلكوا المثقب ، أي مضوا إلى مكة . وقيل سمي بذلك لان بعض ملوك حمير بعث رجلاً يقال له مثقب على رأس جيش كبير الى الصين ، فسلك ذلك الطريق فسمي نسبة إليه [4] . وقيل محجة العراق ، لأن كل موضع للمباني والمرور عن الأشياء محجوج في هذه الجزيرة [5] .

وهوطريق بري يخترق شبه الجزيرة العربية عرضاً ابتداءً من مكة وانتهاءً بوادي الرافدين ودليلنا التاريخي عليه هو إبرام القرشيين لأتفاق مع الامبراطورية الفارسية لغرض تأمين تجارة القرشيين في المناطق الواقعة تحت سيطرة الفرس وفيه إشارة الى وجود هذا الطريق ، وفي الواقع أن هناك آثاراً ما تزال باقية حتى الآن للطريق بين ووادي الرافدين ،وعند حائل في وسط المسافة تقريباً يتفرع

---

(1) علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام . ط٢ دار العلم للملايين ،(بيروت ١٩٧٨) ح٧ ص٣٣٥

(2) المثقب ، من (ثقب) طريق بعينه وثقيب لغة تعني أول ما ظهر . أو هي نسبة الى رجل ثاقب الرأي . ابن منظور ، لسان العرب ، دار الحديث ، (القاهرة ، د- ت) ،ج١ مادة (ثقب) ؛ وقيل أنه طريق بين اليمامة والكوفة . المرجع نفسه ، ج١ ، مادة (ثقب) .

(3) علي ، المفصل ، ج٧ ، ص٣٤١ .

(4) الزبيدي ، تاج العروس ، ج١ ، مادة ثقب . الهمداني ، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٥٠- ٣٦٠هـ) ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، دار الشؤون الثقافية ،(بغداد ، ١٩٨٩ م) ، ص١٧٣ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ص٢٠٦ .

(5) الهمداني ، المصدر نفسه ، ص٢٩٩ .

الطريق الى فرعين أحدهما يصل الى مصب الفرات ماراً بموقع " بُرَيْه" والآخر يصل الى بابل ماراً بعدد من المواقع أو ماراً بقربها مثل " السِّفن" و " فيد " .وقد أصبح هذا الفرع الأخير طريقاً رئيساً للحج والتجارة في العصر الإسلامي تحت اسم "درب زبيدة".

على أنه كان موجوداً ومستخدماً قبل ظهور الإسلام ،ففي (فيد) توجد اثار يطلق عليها الان اسم " خرائب قصر حراش " يعتقد انها تشكل موقع مدينة كانت قائمة في عصر ما قبل الإسلام . وأما " السِّفن" فهي تقع في وادٍ صغير في سفح جبل أجا الى الشمال الشرقي من حائل ، وقد اكتشفت بها آثار أحواض وقنوات مائية قديمة كانت تستخدم لتصريف مياه الوادي وسقي المزارع ، ويستدل من النقوش الموجودة على جبل أجا (الذي تقع عند سفحه) على ان الموقع يعود تاريخه الى القرن الخامس ق.م ومثل هذا الوادي بمزارعه وأحواضه وقنواته دليل استقرار يشير الى انه موقع صالح لأن يكون محطاً من محاط طرق القوافل في العصر القديم .

وأقدم ذكر ورد عن هذا الطريق يعود الى عهد بلينيوس الذي كتب في أواسط القرن الاول الميلادي [١]

ولغرض الوقوف على أهم محطات الطريق ومواقعها وتسلسلتها ، لابد لنا من استعراض ما أورده المؤرخون من تسلسل محطات الطريق والمسافة بين محطة وأخرى ، فقد ورد عند الحربي المتوفى سنة ٢٨٥ هـ ، وابن رستة المتوفى سنة ٢٩٠ هـ ، واليعقوبي المتوفى ٢٩٢ هـ ، وابن خرداذبه المتوفى سنة ٣٠٠ هـ ،وقدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧ هـ ،والهمذاني المتوفى سنة ٣٥٠-٣٦٠ هـ ،والمقدسي المتوفى سنة ٣٨٧ هـ ، ويذكر الحربي إن محطات الطريق هي :

من القاع – زبالة ١٨ ميلاً – التنانير (لم يذكر المسافة) – الشقوق ١٧ ميلا بطان ٢٢ ميلا – الثعلبية ٢٢ ميلا –الخزيمية ٢٣ ميلا – بطن الاغر لم يذكر المسافة – الاجفر ٢٠ ميلا – فيد ٢٧ ميلا – توز ٢٤ ميلا – سميراء ١٥

---

[١] يحيى ، العرب في العصور القديمة ، ص٣١٨-٣١٩.

ميلا – الحاجر ٢٣ ميلا – جبل قرورى لم يذكر المسافة – معدن النقرة ٢٧ ميلا – مغيثة الماوان ٢٦ ميلا – الربذة ٢٠ ميلا – السليلة ٢٣ ميلا – العمق ١٨ ميلا – معدن بني سليم ٢٢ ميلا – الافيعة ٢٦ ميلا – المسلح ١٦ ميلا – الغمرة ١٧ ميلا – ذات عرق ٢٠ ميلا – بستان ابن معمر لم يذكر المسافة – مكة ، وهو بذلك يذكر ٢٦ محطة ولم يذكر مسافات قسم منها (١) .

اما ابن رسته فانه يذكر المحطات الاتية :

من الحيرة الى القادسية ١٥ ميلا – العذيب ٦ اميال – المغيثة ٢٤ ميلا – القرعاء ٣٢ ميلا – الطرف لم يذكر المسافة – واقصة ٢٤ ميلا – العقبة ٢٩ ميلا – القاع ٢٤ ميلا – زبالة ٢٤ ميلا – التنانير –الشقوق ٢١ ميلا – البطان ٢٩ ميلا – المهلبية لم يذكر المسافة – الاجفر ٢٤ ميلا – فيد ٣٦ ميلا –توز ٣١ ميلا – سميراء ٢٠ ميلا – العباسية لم يذكر المسافة – الحاجز ٣٤ ميلا –قروري لم يذكر المسافة – معدن النقرة ٣٤ ميلا – مغيثة الماوان ٣٤ ميلا –الربذة ٢٤ ميلا – السليلة ٢٣ ميلا – العمق ٢١ ميلا – معدن بني سليم ١٩ ميلا – افيعية ٣٢ميلا – المسلح ٢٨ ميلا – القصر لم يذكر المسافة – الغمرة ١٨ ميلا – ارطاس لم يذكر المسافة – ذات عرق ٢٦ ميلا – بستان ابن معمر ٢٢ ميلا – مكة ٢٢ ميلا وهو بذلك يذكر ٤٣ محطة ولم يذكر مسافات قسم منها أيضاً (٢) .

ويذكر اليعقوبي المحطات الآتية :

من الحيرة الى القادسية ١٥ ميلا – المغيثة ٣٢ ميلا –القرعاء ٢٤ ميلا واقصة ٢٩ ميلا – العقبة ١٤ ميلا – القاع ٢٤ ميلا – زبالة ٢١ ميلا – الشقوق ٢٩ ميلا البطان ٢٩ ميلا – الثعلبية ٣٢ ميلا ، زرود ٢٠ ميلاً ، الاجفر لم يذكر المسافة فيد ٣١ ميلا ، توز لم يذكر المسافة – سميراء لم يذكر المسافة

---

(١) الحربي ، إبراهيم بن إسحاق (ت٢٨٥هـ) ، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة تحقيق حمد الجاسر ، دار اليمامة ، (الرياض ، ١٩٦٩م) ، ص٢٨٤ .

(٢) ابن رستة ، أبو علي أحمد بن عمر (ت ٢٩٠هـ) ، الاعلاق النفيسة ، دار أحياء التراث العربي ، (بيروت ، ١٩٨٨م) ، ص١٥٩.

– الحاجر لم يذكر لمسافة – النقرة ٣٣ ميلاً – مغيثة الماوان ٢٤ ميلا –الربذة ٢٦ ميلا – السليلة ٢١ ميلا – العمق ٢٤ ميلاً – معدن بني سليم ٣٢ ميلاً – الغمرة لم يذكر المسافة – ذات عرق ٢٢ ميلا ،بستان ابن عامر ٢٤ ميلاً . مكة (١) (٢).

ويذكر ابن خرداذبة المحطات الاتية :

من الحيرة الى القادسية ١٥ ميلا – العذيب ٦ اميال – وادي السباع . لم يذكر المسافة ، المغيثة ٢٤ ميلا –القرعاء ٣٢ ميلا – الطرف لم يذكر المسافة – واقصة ٢٤ ميلا – العقبة ٢٩ ميلا – القاع ٢٤ ميلا – زبالة ٢٤ ميلا – التنانير الشقوق ٢١ ميلا – البطان ٢٩ ميلا – المهلبية لم يذكر المسافة – الاجفر ٢٤ ميلا فيد ٣٦ ميلا وهي نقطة نصف الطريق – توز ٣١ ميلا – سميراء ٢٠ ميلا – العباسية لم يذكر المسافة – الحاجر ٣٣ ميلا – قروري لم يذكر المسافة – معدن (النقرة) ٣٤ ميلا – مغيثة الماوان ٣٣ ميلا – الربذة ٢٤ ميلا – السليلة ٢٠ ميلا العمق ٢١ ميلا –افيعية ٣٢ميلا – المسلح ٢٨ ميلا ميقات أهل العراق . القصر لم يذكر المسافة . الغمرة ١٨ ميلاً ذات عرق ٢٦ ميلاً وهو بذلك يذكر ٣٧ محطة ولم يذكر مسافات بعضها ايضاً (٣) .

أما قدامة بن جعفر فيذكر المحطات الآتية :

من الحيرة الى القادسية ١٥ ميلا – العذيب ٦ اميال – المغيثة ١٤ ميلا – القرعاء ٣٢ ميلا – واقصة ٢٤ ميلا – العقبة ٢٩ ميلا – القاع ٢٤ ميلا – زبالة ٢٤ ميلا –الشقوق ١٨ ميلا – قبر العبادي ٢٩ ميلا – الثعلبية ٢٩ ميلا – الخزيمية ٣٣ ميلا –الاجفر ٢٤ ميلا – فيد ٣٦ ميلا –توز ٣٣ ميلا – سميراء ١٦ ميلا – الحاجر ٢٣ ميلا – معدن النقرة ٢٧ ميلا – مغيثة الماوان ٢٧ ميلا

---

(١) اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت ٢٩٢هـ) ، البلدان ، مطبعة بريل (ليدن ، ١٨٩١م) ، ص٧٥ .

(٢) ينظر الملاحق ، خارطة رقم ٣

(٣) ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ) المسالك والممالك ، دار أحياء التراث العربي ، (بيروت ، ١٩٨٨م) ، ص١٢٧.

– معدن بني سليم ١٩ ميلا – العمق ٦١ ميلا –– افيعة ٣٢ميلا – المسلح ٣٤ ميلا – الغمرة ١٨ ميلا – ذات عرق ٢٦ ميلا – مكة ،وهو بذلك يذكر ٢٥ محطة ذكر مسافاتها كلها [١] .

أما الهمذاني فيذكر المحطات الآتية :

من الحيرة الى القادسية ١٤ ميلا – المغيثة ٣٦ ميلا –القرعاء ٢٥ ميلا – واقصة ٢٢ ميلا – العقبة ٢٥ميلا – القاع٢٠ ميلا – زبالة ١٨ ميلا – الشقوق ١٩ ميلا – البطان ٢٢ ميلا – الخزيمية ٢٨ ميلا – الاجفر ٢٠ ميلا – فيد ٢٨ ميلا –توز ٢٤ ميلا – سميراء ٢٥ ميلا –الحاجز ٢٣ ميلا – معدن النقرة ٢٧ ميلا – العسيلة ٢٦ ميلا – بطن نخلة ٢٨ ميلا – الطرف ٢٠ ميلا – المدينة ٢٠ ميلا – السليلة ٢٣ ميلا – الروحاء ٢٤ ميلا – الرويثة ١٣ ميلا – العرج ٢٤ ميلا – السقيا ١٤ ميلا – الابواء ١٩ ميلا – الجحفة ٢٣ ميلا – قديد ٢٤ ميلا – عسفان ٢٣ ميلا – ٢٣ ميلا – مكة ١٣ ميلا ، وهو بذلك يذكر ٣٠ محطة [٢]

ويذكر المقدسي – المحطات الاتية :

القادسية لم يذكر المسافة – زبالة لم يذكر المسافة – الشقوق ٢١ ميلا – البطان ٢٩ ميلا – الثعلبية ٢٩ ميلا – الخزيمية ٣٢ ميلا – الاجفر ٣٤ ميلا – فيد ٣٦ ميلا –توز ٣١ ميلا – سميراء ٢٠ ميلا – الحاجز ٣٣ ميلا – معدن النقرة ٣٤ ميلا – المغيثة ٣٣ ميلا –الربذة ٢٤ ميلا – السليلة ٢٦ميلا – معدن بني سليم ٢٤٩ ميلا –العمق ٢١ ميلا – الافيعية ٣٢ميلا – المسلح ٣٤ ميلا – غمرة ١٨ ميلا – مكة [٣]، وهو بذلك يذكر (٢٠) محطة للطريق ، ومن هذا كله يمكن عمل الجدول [٤] :

---

[١] قدامة ، بن جعفر الكاتب (٣٣٧هـ) ،الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق محمد حسين الزبيدي ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٨١م) ، ص٧٥

[٢] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٨٠.

[٣] المقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري (ت ٣٨٧هـ) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٢ ، مطبعة بريل ، (ليدن ، ١٩٠٩م) ، ص١٠٧ .

[٤] ينظر : الملاحق ، جدول رقم ١ .

ومما ذكرناه يتضح التفاوت في ذكر عدد محطات الطريق وربما يعود إهمال ذكر بعض المحطات إلى كونها صغيرة أوثانوية وليست رئيسة للقوافل من ناحية ما تقدم من خدمات وأرواء ، أو ربما أندثر بعضها بعد أن ترك ؟ ولاسيما أن هذا الوصف هو لكتاب من العصر الإسلامي عاش أربعة منهم في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري (الحربي ، ، ابن رسته ، اليعقوبي ، ابن خرداذبة) وثلاثة منهم عاشوا في القرن الرابع الهجري (ابن قدامة ، ، الهمذاني المقدسي) .

ومن خلال استعراضنا لما أورده الجغرافيون أو البلدانيون بأن المحطات التي ذكرها اليعقوبي (المتوفى ٢٩٢هـ)تمثل قاسماً مشتركاً بين ما ذكره سواه من المؤرخين سواء من سبقه أم من خلفه ، ولذا اعتمدت ترتيب المحطات كما أوردها اليعقوبي على النحو الآتي :

أولاً : الحيرة :

عمد الفرس الساسانيون ، كما عمد الروم البيزنطيون إلى أن يقيموا حاجزاً بينهم وبين بعض القبائل العربية التي كانت تقطن مناطق شمالي الجزيرة العربية فظهرت دولة الغساسنة في بلاد الشام ودولة المناذرة في العراق عاصمتها (الحيرة) ، وكانوا يدعمونهم ملياً ومعنوياً ، وفي الوقت نفسه شكلا حداً عسكرياً مانعاً لتقدم أي من الدولتين نحو الأخرى [١].

---

[١] شلبي ، أحمد التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ط٦ ، مكتبة النهضة ، (القاهرة ، ١٩٧٤م) ، ج١ ،ص١١٢ . كان العرب منذ قديم الزمان يهاجرون الى تخوم شبه الجزيرة العربية الشرقية حتى اذا ما وصلوا الى وادي الفرات اقاموا في ربوعه ، وفي أوائل القرن الثالث الميلادي وأبان الاضطرابات التي أعقبت سقوط الأسرة البارثية وقيام الأسرة الساسانية في نحو عام ٢٢٦ م تحت زعامة اردشير بن بابك بن ساسان وفدت قبائل عربية جديدة من قبائل تنوخ اليمنية وسكنت في المنطقة الخصبة الواقعة الى الغرب من الفرات . وما ان يمضي حين من الدهر حتى تحولت الخيام الى مدينة عرفت (بالحيرة) ، أصبحت فيما بعد امارة الحيرة ، وراء الفرات عند منعطفة نحو دجلة ، واقترابه منه على بعد خمسين كيلو متر التي أصبحت بمثابة حصن للملك الفارسي حيال العرب الرحل ينظر

وقد ختلفت الآراء حول تسمية الحيرة كما هو شأنهم في أكثر أسماء المدن القديمة ، واغلب الأقوال لا تستند الى نصوص قديمة ولا إلى اثر محفوظ [١].

فيذكر الحموي أنه اسم مشتق من الحيرة ، لأن تبعاً لما أقبل بجيوشه ضل فتحير في هذا الموضع ، أو أنه من الحير بمعنى الحمى والملجأ كما نقول القيعة من القاع [٢] . وفي رواية أخرى ان تبان اسعد ابو كرب كان قد خرج من اليمن يريد الأنبار في غزوته الثانية ، انتهى إلى موضع يقال له الحيرة خلف هناك مالك بن فهم بن غنم بن دوس على أثقاله وتخلف معه عدد من أصحابه في نحو أثنى عشر ألفاً تحيروا في هذا الموضع فسمي الحيرة [٣] .

وفي رواية ان تبعاً الأكبر قصد خراسان وخلف عدداً من جنده بذلك الموضع وقال لهم حيروا به أي أقيموا به [٤] .

ويذكر جواد علي انها من كلمات بني ارم وأنها (حرتا) (Hirta) (Herta) (Harata) (حيرتا) ، (حيرتو) ومعناها المخيم والمعسكر وانها تقابل في العبرانية كلمة (حاصير) (Haser) وان (حيرتا) ، (حيرتو) في التواريخ السريانية تقابل المعسكر عند المؤرخين الإسلاميين [٥] وهي بمعنى الحصن [٦] .

، كريستنس ارثر ، إيران في عهد الساسانيين ،ترجمة يحيى الخشاب ،مراجعة عبد الوهاب عزام ، الإدارة العامة للثقافة ، (القاهرة ، ١٩٥٧م) ، ص٨٢.

[١] البكري ، معجم ماا ستعجم ، ج٢، ص١٠٩؛ مهران ، محمد بيومي ، دراسات في تاريخ العرب القديم ،دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية (د.ت) ، ص٥٧٨.

[٢] الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٠٢.

[٣] الحموي ،المصدر نفسه ،ج٣،ص٢٠٢.

[٤] بلاشير ، ريجيسر ، تاريخ الادب العربي ، العصر الجاهلي ، ترجمة ، إبراهيم كيلاني (بيروت ، ١٩٥٦) ، ص٨٥؛ علي ، المفصل ، ج٣،ص١٥٦.

[٥] علي ، المفصل ،ج٣، ص١٥٦.

[٦] غنيمة ، يوسف رزق الله ، الحيرة المدينة والمملكة العربية ،مطبعة دنكور الحديثة (بغداد ١٩٣٦م) ، ص١١.

وفي رواية سميت بالحيرة نسبة الى الحير الذي يعني الحصن الذي بناه الملك الكلداني بختنصر أي نبوخذنصر (٦٠٢-٥٦٢ق.م) في منطقة النجف في الوقت الحاضر [١]

ومنهم من نسب تسميتها الى الأردوان ملك النبط فقد روى الحموي " سار اردشير الى الاردوان ملك النبط وقد اختلفوا عليه وشاغبه ملك من ملوك النبط يقال له (بابا) فاستعان كل واحد منهما بمن يليه من العرب فسمي ذلك الحير الحيرة " [٢] .

على ان يوسف غنيمة يذكر ان الحيرة الآرامية والحير العربي إنما هي من اصل سامي واحد ذلك ان المضرب والمعسكر والحمى إنما هي ألفاظ يدل اصلها على معنى واحد [٣].

وعرفت الحيرة بمدينة العرب [٤] وقيل الحيرة الروحاء [٥] ، قال عاصم بن عمرو[٦] :

صبحنا الحيرة الروحاء خيلاً	وَرجْلاً فوق أثباج الركاب
حضرنا في نواحيها قصوراً	مشرفة كأضراس الكلاب[٧]

---

[١] الطبري ،ابو جعفر ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دارالمعارف ، (القاهرة ، ١٩٦٥)، ج١، ص٥٥٨؛ الحموي، معجم البلدان ، ج٣، ص٢٠٢.

[٢] الحموي ،معجم البلدان ، ج٣،ص٢٠٢؛زيدان جرجي ، تاريخ العرب قبل الإسلام ،بيروت ١٩٧٩،ص٦٦.

[٣] غنيمة ، الحيرة ، ص١١ .

[٤] علي ،المفصل ، ج٣،ص ١٥٦.

[٥] الحموي ، معجم البلدان ،ج٢،ص٣٢٨ .

[٦] عاصم بن عمرو : لم نقف على ترجمة له .

[٧] الحموي ، المصدر نفسه ، ج٣،ص٢٠٢.

وذكـرها الجـاحظ " أرض بـاردة فـي الشـتاء وفـي الصـيف ينزعـون سـتور بيوتهم كافة أطراف السمائم لها " [1] وقد وصفت الحيرة بالبيضاء لحسن عمارتها [2] .

كـان مكـان الحيـرة مـن أطيـب الـبلاد " وارقـه هـواء واخفـه مـاء وأغـذاه تربـة واصـفاه جـوا قـد تعـالى عـن عمـق الاريـاف واتضـع عـن حزونـة الغـائط .واتصـل بالمزارع والجنان والمتاجر العظام لأنها كانت من ظهر البرية على مرفأ سفن البحر من الصين والهند وغيرهما " [3] قال أبو دؤاد يصفها [4]:

ودار يقـــول لهـــا الرائـــدون ويـــل ام دار الحـــذاقي دارا

فلمـــا وضـــعنا بهـــا بيتنـــا نتجنـــا جـــواراً وصـــدنا حمـــارا

ويـــات الظلـــيم مكـــان الفصـــيل يســـمع منـــه بليـــل عـــرارا [5]

واقتـرن اسـم الحيـرة بأسـماء بعـض ملوكهـا فقبـل حيـرة النعمـان [6] . تقـع مدينـة الحيرة في جنوبي الكوفة على بعد ثلاثة أميال [1] .

---

[1] الجاحظ ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) ، البلدان ،نشره الدكتور صالح أحمد العلي مجلة كلية الآداب ، مطبعة الحكومة ، (بغداد ، ١٩٧٠م) ، ص ٥٠٦.

[2] الحموي ، معجم البلدان ،ج٢، ص٣٢٨.

[3] البكري ، معجم ما استعجم ، ج٢، ص١١٠.

[4] أبو دؤاد : جارية بن الحجاج ، أحد بني برد بن دعمي بن أياد بن نزار ، شاعر قديم من شعراء العرب قبل الإسلام ، كان وصافاً للخيل وأكثر أشعاره في وصفها . الاصفهاني ، الأغاني ، ج١٦ ، ص٢٩٤.

[5] البكري ، معجم ما استعجم ، ج٢ ، ص١٠٩– ١١٠.

[6] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،ج١، ص٦١٠؛ علي ، المفصل ، ج٣،ص١٥٦.

وتاريخ إنشاء الحيرة مجهول ، فلم يعثر المؤرخون على أي نص تاريخي مدون يتضمن ما يشير ألى زمن إنشائها ، وأقدم كتاب يتضمن اسم الحيرة (حيرتا) نص يرجع إلى شهر أيلول من سنة (٤٤٣) من التاريخ السلوقي الموافق لشهر سبتمبر من سنة (١٣٢) [٢] ، ونستنتج من هذا النص أن الحيرة أقيمت في عصر سابق للعصر الساساني .

ولا يعرف مؤسس الحيرة ولهذا تضاربت آراء المؤرخين في معرفة الحاكم او الشخص الذي بناها فنسب العرب بناءها الى نبوخذ نصر [٣] .

وقالوا انها خربت بعد موته وانتقل عربها الى الانبار وبقيت على هذه الحال حتى هاجرت القبائل العربية من اليمن لأسباب غير معروفة [٤] .

يفهم من الروايات أن الحيرة من المدن القديمة ، وقد سكنتها قبائل عربية مهاجرة من شبه الجزيرة العربية منها (مذحج وحمير وطيء وكلب وتميم) إلى طف الفرات وغربيه ، إلا انهم كانوا بادية يسكنون بيوت الشعر ولا ينزلون بيوت المدر ، وكانت منازلهم فيما بين الأنبار والحيرة فكانوا يسمون عرب الضاحية ، وأول من ملك منهم أبو جذيمة الأبرش وكان منزله مما يلي الأنبار [٥].

فكان هؤلاء الشريحة الأولى من سكان دولة الحيرة ، أما الشريحة الثانية فهم العباد سكان الحيرة نفسها (أي المدينة) ابتنوا فيها وهم قبائل شتى تعبدوا لملوكها وأقاموا هناك [٦] ويذكرانهم كانوا على الديانة النصرانية والنسبة إليهم

---

(١) الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٠١.

(٢) سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ الدولة العربية ، دار النهضة العربية ، (بيروت ١٩٧١م) ، ص١٦٠.

(٣) الحموي ، معجم البلدان ، ج٢،ص٣٢٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج١ ص٦١٣؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج١، ص٦١

(٤) الحموي ، المصدر نفسه ، ج٣،ص٢٠٣.

(٥) الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٢.

(٦) غنيمة ، الحيرة ، ص١٦ . حمزة ،ص٦٦ ؛ علي ،المفصل ،ج٣، ص١٧١.

عبادي [١] ويذكر أن سبب تسميتهم بالعباد أنهم لما قاتلهم الملك الساساني سابور الأكبر اتخذوا شعاراً لهم بـ(آل عباد الله) [٢] . والشريحة الأخيرة وهم الأحلاف فهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيها ولم يكونوا في الأصل لا من تنوخ ولا من العباد ودانو لـ (اردشير) [٣] .

ومن اهل الحيرة بنو مرين النصارى الذين ينسبون الى لخم وهم من الأشراف [٤] العبادين وكانت ديارهم بين دير هند والكوفة .

كما كان بينهم جماعة من النبط [٥] ، وقد كان لعرب الحيرة لهجة من اللسان العربي يتحدثون بها [٦] فيها هجنة ، وسبب ذلك يعود الى اختلاط هؤلاء العرب بمن كان يفد عليهم من النبط وممن كانوا يثيرون الأحداث فيلتجئون الى هذا المكان [٧] ، وكانوا يستخدمون الخط السرياني (الآرامية الشرقية) . ولعلهم في هذا يشبهون الأنباط والتدمريين الذين كانوا يتكلمون العربية ويكتبون بالآرامية الغربية [٨]

وكان أهل الحيرة إما وثنيون يعبدون ألأصنام ، أو صابئة يعبدون الكواكب أو مجوس يعبدون النار أو نصارى ويهود ، ومن أصنام الحيرة صنمان يعرفان بالضيزنين ، كان جذيمة يستسقي ويستنصر بهما على العدو ، وصنم آخر يقال له سيد كانوا يحلفون به ويقولون (حق سيد) ، وكان منهم من يعبد العزى

---

[١] ابن دريد ، الاشتقاق ،ج٢،ص؛ ابن القفطي ، تاريخ الحكماء ،ص١٩٩

[٢] الاصفهاني ، الاغاني ، ج١١،ص١٥٦.

[٣] المصدر نفسه، ج٨ ، ص٦٢؛ علي ، المفصل ، ج٣، ص١٦٦.

[٤] الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٠ .

[٥] المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٦٢؛ علي ، المفصل ، ج٣ ، ص١٦٦ .

[٦] المصدر نفسه ،ج٢، ص٢٠.

[٧] الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ٣٣١ ؛ علي ،المفصل ،ج٣،ص١٧٢.

[٨] مهران ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص٥٨٠.

ويتقرب أليها بالذبائح ، وعرفت الحيرة عبادة القمر ، أما الزندقة فقد كان مركزها الحيرة ومنها انتقلت إلى قريش [١] .

وكانت أول سلطة في الحيرة واضحة المعالم هي في عهد عمرو بن عدي(٢٦٨-٢٨٨م)، وامتدت هذه السلطة لتشمل ادارة كل شؤون المنطقة ومنها التجارية وطرقها ، واستمرت هذه السلطة حتى ظهور الإسلام [٢] .

الحياة الاجتماعية في الحيرة قبل الإسلام.

عناصر السكان :

الحياة الاجتماعية في الحيرة كانت متأثرة الى حد كبير بطبيعة تكوين المجتمع الحضري العربي ، الذي ترجع أصوله الى المجتمع البدوي ولا سيما ان الحيرة تقع على حافة بادية السماوة ، وهي منطقة تسكن فيها قبائل عربية متنقلة ، لذلك فان التركيبة الاجتماعية لعرب الحيرة تقوم على القبيلة والأسرة فلم يستطع المجتمع الحيري ان يتجاوز هذه القيم القبلية على الرغم من اشتغال

---

[١] سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ج١ ، ص٢٢٦ – ٢٢٧ .

[٢] الحسيني ، خالد موسى عبد ، الحياة الاجتماعية في الحيرة في عهد دولة المناذرة رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة (الكوفة ، ١٩٩٦م) ص١٥ .

أغلبية سكانه بالتجارة وأعمال المجتمع الحضري . ويمكن وصف التركيبة السكانية لمجتمع الحيرة بما يأتي :

أولا . العرب :

سكنت الحيرة قبائل عربية مختلفة ، كان أبرزهم اللخميون ، إذ غلبت عليهم القيم الاجتماعية العربية ، كالانتساب للقبيلة والتعصب لها ، فضلاً عن الاعتزاز بالعائلة وصلة الرحم ، والتمسك بالفضائل العربية في مجالات الحياة كافة [١] وقد قسم الاخباريون عرب الحيرة على ثلاثة فئات :

أ. تنوخ :

ويقصد بهم القبائل العربية التي تشكل النسبة العظمى من سكان الحيرة وهم سكنوا المضال وبيوت الشعر والوبر في غربي الفرات فيما بين الحيرة والأنبار فما فوقها [٢] ، وكانوا يسمون عرب الضاحية [٣] .

وللاخباريين آراء في تفسير كلمة (تنوخ) ، فذكروا أن عدد من القبائل العربية خرجت من ارض الجزيرة العربية (تهامة) بسبب حروب وقعت بينهم وأحداث حدثت فيهم ، فتشتتوا واقبلت منهم قبائل حتى نزلت البحرين ، وكان بها جماعة من الازد سكنوها منذ عهد عمران بن عمرو من بقايا بني عامر وهو ماء السماء بن حارثة ، الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد [٤]

---

[١] الملاح ، هاشم يحيى ، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط ٢ (الموصل، ١٩٩٤م) ، ص٢٤٤ .

[٢] الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٤٣ .

[٣] الطبري ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٦١٢ ؛ العلي ، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ص٧٤ .

[٤] ابن حزم ، جهرة الانساب ، ص٣٣١ .

واستقرت هذه القبائل في البحرين (تنوخت) ، ومنها : قبيلة قضاعة بزعامة مالك وعمرو ابناء فهم بن تيم الله بن اسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان ابن عمران بن الحافي بن قضاعة [١]

وقد دعا مالك بن زهير بن عمرو بن فهم بن قضاعة ، جذيمة بن مالك ابن فهم بن غنم بن دوس الازدي الى التنوخ معه وزوجه اخته لميس ابنة زهير، فتنوخ جذيمة ومن معه من الازد مع مالك بن زهير ، وضم الازد وقضاعة حلفا دون سائر تنوخ ، وانضم كذلك الى حلف تنوخ بطون من نمارة بن لخم [٢] .

وتذهب بعض المصادر الى ان هذه القبائل العربية قد اتخذت من البحرين محطة أولى بعد انهيار سد مأرب ومنها انتقلت الى مدينة الحيرة [٣] .

وقبائل الازد بزعامة مالك وعمرو بن فهم بن غنم بن دوس وخرجوا إلى الانبار ، كذلك قبائل اياد بزعامة غطفان بن عمرو بن الطمثان وزهير بن الحارث وصبح بن صبيح ومن معهم من عشائرهم وحلفائهم ، وقبائل قضاعة بزعامة مالك وعمرو ابناء فهم بن تيم الله ومالك بن زهير بن فهم بن تيم الله الذين خرجوا إلى الانبار كذلك .

وقد خلف في الحيرة قوما اختلطوا بهم وغزا تبع في حمير حتى نزل الحيرة من اهل عدن [٤] فتجمع فيها جمع من القبائل العربية من مذحج وحمير وطي واسد وكلب وتميم[٥].

وذكر حمزة الاصفهاني ان تنوخ حي من أحياء الازد هاجروا من اليمن الى العراق ، وقد تحالفوا مع قبائل عربية أخرى كانت تقطن البحرين [١] .

---

[١] تذبذب نسب قضاعة بين عدنان وحمير ، ابن حزم ، جمهرة الانساب ص٣٧٩ الجبوري ، منذر ، أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي ، ط بغداد ، ١٩٨٦م ص٢٥-٢٦ .

[٢] معجم البلدان ، ج٢ ص٣٣٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص٢٦١ الحموي.

[٣] الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك الأرض ، ص٨٣ .

[٤] الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٦١٢ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٣٠

[٥] الحموي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٣٠ ؛ العلي ، معالم العراق العمرانية ، ص٢٠ .

ويرى الدكتور جواد علي ان تنوخ اسم قبيلة عربية يمنية ورد ذكرها في جغرافية بطليموس تحت اسم (Tnanuitae) من جملة القبائل العربية الأخرى الموجودة فيها [٢] .

ويتضح ان اسم تنوخ ضم عدد من القبائل العربية كان اقرب إلى حلف سياسي جمع قبائل عربية قحطانية جنوبية وقبائل عدنانية شمالية نزحت من البحرين الى العراق على شكل موجات في المنطقة الواقعة ما بين الحيرة والانبار [٣] .

ب. العباد :

قبائل عربية سكنوا الحيرة وابتنوا فيها [٤] ويعرفهم الخوارزمي بانهم خدم الملوك فكان كل من يسكن المدر بالحيرة يسمى العباد [٥] ، قيل إنهم بطن في جديلة من لخم [٦] ، وذكر اخر انهم من بني عبد القيس بن اقصى بن دعمي بن جذيلة بن اسد بن ربيعة [٧] ، او انهم نسبوا الى اب لهم [٨] ، ويذكر احد المؤرخين انهم ينسبون إلى : عبد المسيح وعبد كلال وعبد الله وعبد ياليل [٩] وفي رأي آخر انهم بطون من قبائل عربية ، اجتمعوا على النصرانية والنسبة اليهم

---

[١] تاريخ سني ملوك الارض ، ص٨٣ .

[٢] علي ، المفصل ، ج٣ ، ص١٦٩ .

[٣] البكر ، دراسات ، ص٤٣٦-٤٣٧ .

[٤] الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص٤٣ .

[٥] الخوارزمي ، ابو عبد الله بن محمد (ت ٤٠٧ هـ) ، مفاتيح العلوم ، (القاهرة ١٣٤٢هـ) ، ص٧٧ .

[٦] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج٣ ، ص٤٠١ .

[٧] السهيلي ، الروض الانف ، ج١ ص٨٦.

[٨] ابو البقاء ، هبة الله الحلي ، المناقب المزيدية في اخبار الملوك الاسدية ، تحقيق صالح موسى درادكه ومحمد عبد القادر خريسات ، (عمان ، ١٩٨٤م) ، ج١ ص١٠٨ .

[٩] السهيلي ، الروض الانف ، ج١ ، ص٨٦ .

عبادي [١] ، ومنهم اسرة عدي بن زيد بن فهم من تميم ، وبنو مرينا من لخم وبنو بقيلة من الازد ، فقد شملت هذه التسمية هؤلاء وهم من قبائل مختلفة [٢] .

ويظهر ان العباد بطون مختلفة من قبائل عربية جمعت بينهم وحدة الدين ووحدة الوطن ، اذ ان هذه التسمية أطلقت على نصارى الحيرة لتمييزهم عن غيرهم من سكان المدينة الوثنيين ، بل عن بقية نصارى العرب من غير اهل الحيرة [٣] .

.

ج. الاحلاف :

وهم جماعات التحقوا بأهل الحيرة من العباد أو هم من لم يكن من تنوخ (أهل الوبر) ، نزلوا بالقرب من العباد ومن ثم تحالفوا معهم [٤] ، وهم من أحياء كثيرة ، منهم بنو لحيان من بني الحارث من كعب ، وغسان ... ومنهم قوم من عبد القيس بن افصى من الاوس بن عمرو بن عامر وبنو حية من طي وهم رهط إياس بن قبيصة ، الذي استعمله كسرى بالحيرة بعد النعمان الاصغر ، ومن حنيفة بن لخم ، ومن نمير بن عامر ، وأهل بيت من اسيد بن خزيمة يقال لهم بنو شجرة ، وقيل انه دخل فيهم قوم من بني قريش من ولد عبد الله الاعرج بن عبد شمس بن عبد مناف ، يقال لهم بنو العميني ، وقريش تنكر ذلك ويقولون ان عبد الله الاعرج لم يعقب [٥] .

وذكر ان اسم الاحلاف كان يجمع قوما من اربعة عشر حيا بالحيرة [٦] ويقع تحت اسم الأحلاف كل القبائل التي تدين بالولاء للمناذرة .[٧] .

---

[١] الزبيدي ، تاج العروس ، ج٨ ، ص٣٣٨ ؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، ص١١ .

[٢] علي ، المفصل ، ج٣ ، ص١٧٠ .

[٣] المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٧٠ .

[٤] الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص٤٣ ؛ الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك الارض ص٨٦ .

[٥] ابو البقاء ، المناقب المزيدية، ج١ ، ص١٠٩ .

[٦] المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١٠٩ .

[٧] كستر ، الحيرة ومكة ، ص٢٠ ؛ العلي ، محاضرات ، ص٧٤ .

ثانياً . النبط :

الأنباط من الأقوام التي سكنت الحيرة ، وقد اختلف المؤرخون في اصل هذه التسمية ، فذكروا انهم جيل من العجم ينزلون البطائح في سواد العراق يمتهنون الزراعة ، وسموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء ، وسمي أولاد شيت أنباطاً لأنهم نزلوا هناك ، ثم استعمل في أعوام الناس وأخلاطهم [١] ومنهم من ذكر أنهم من بقايا الكلدانيين والبابليين والاراميين في العراق الذين يتكلمون اللغة الارامية وقد عرفت بلادهم عند الكتاب النصارى باسم (بيت ارمايا) أي ديار الاراميين [٢]

اما أصحاب مملكة الأنباط فهم أقدم عهد من نبط الإخباريين [٣] ، وعن علاقتهم بدولة الأنباط (قبل ١٦٩ ق.م – ١٠٦م) التي عاصمتها البتراء على وادي موسى جنوب البحر الميت ، فهو موضوع لم يحسم بعد ويحتاج إلى ادلة للإجابة على كثير من الأسئلة المطروحة [٤] .

ثالثا . الجاليات الأخرى :

سكن مدينة الحيرة جاليات غير عربية وهذا ناتج عن سيطرة الدولة الساسانية على العراق فكان بعض الفرس قد استوطنوا الحيرة واختلطوا بأهلها كالفرق العسكرية الفارسية الموجودة في الحيرة التي استخدمها ملوك المناذرة .

وهناك من سكن الحيرة لأجل التجارة إذ كانت تتمتع هذه المدينة بموقع اقتصادي كبير ، لورود السفن التجارية الصغيرة الحجم الآتية عن طريق بحر النجف ، او القوافل البرية التي تقطع الصحراء بين الجزيرة العربية والشام الى مدينة الحيرة [٥] وفي منطقة الحيرة جالية يهودية صغيرة منعزلة ليس لها موقع

---

[١] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٧ ، ص٤١١.

[٢] غنيمة ، الحيرة ، ص١٨ .

[٣] العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص٧٥ ؛ علي ، المفصل ، ج٣ ، ص١٧٢ .

[٤] للتفاصيل عن دولة الانباط . ينظر : عباس ، احسان ، تاريخ دولة الانباط ، ط عمان ١٩٨٧ ؛ الحسيني ، الحياة الاجتماعية في الحيرة في عهد دولة المناذرة ، ص٣٦ .

[٥] العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص٣٦ .

اجتماعي كبير في هذا المجتمع [١] الذي يعتنق اغلبيته الوثنية وكذلك اعتنق بعض منهم النصرانية . ولم يكن لليهود تأثير ديني في هذا المجتمع وربما كان لهم أعمال استغلوا فيها مدينة الحيرة لتسيير مصالحهم الاقتصادية ، وقد انصب عملهم على صناعة الخمور وبيعها في حانات خاصة بهم [٢] . وتشير بعض المصادر الى انهم استقروا في الحيرة بعد السبي البابلي (٥٨٦ق.م) على يد الملك الكلداني بختنصر الثاني [٣] .

تقاليد السكان وعاداتهم :

لسكان الحيرة صفات وعادات كثيرة شانها شان العادات والتقاليد العربية وبعضها كان نتيجة التأثير والتأثر بالمجتمعات المجاورة . ومن هذه العادات :

أ. الكرم:

والكرم من الصفات التي كانت شائعة ، إذ كانت تفد الوفود والشخصيات العربية الى الحيرة طمعاً في كرم ملوكها وسخاء أهلها [٤] ، فقد كان الضيف يقيم

---

[١] المرجع نفسه ، ص٧٥ .

[٢] العمري ، ابن فضل الله ، مسالك الابصار في ممالك الأمصار ، تحقيق ، احمد زكي باشا (القاهرة ، ١٩٢٤م) ، ج١ ، ص٣٩١ .

[٣] باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ص٥٤٨ .

[٤] الاصمعي ، ابو سعيد عبد الملك ، (ت٢١٦هـ) ، الاصمعيات ، ط٢ ، تحقيق ، احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، (مصر ، ١٩٦٤م)، ص١٤ .

ثلاثة ايام ثم يسأل عن حاجته [١] ، وكان صاحب المنزل يقوم بتقديم الشراب والطعام للضيف [٢] ، ولاسيما ان ملوك الحيرة كانوا ينزلون ضيوفهم منازل بحسب أقدارهم ، فالوجهاء والتجار منهم كانت تنصب لهم قبة من ادم حمراء [٣] ، تقديرا لمنزلتهم .

ب. الشجاعة :

والشجاعة من صفات العرب عامة ، وقد برزت هذه الخصلة المشهورة لديهم نتيجة لكثرة الحروب والمواقف مع بعضهم البعض ، أو مع جيرانهم[٤] .

ت. الوفاء :

الوفاء بالعهد وكراهية النكث به وكراهية الغدر وهي صفات متلازمة في خلق الإنسان العربي ، فكانوا اذ ارادوا عهدا او ميثاقا وضعوا اليد باليد[٥] واشتد نكرانهم على من يغدر بالعهد فهذا شاعر يقول :

غدرت بامر كنت انت دعوتنا   اليه ، وبئس الشيمة الغدر بالعهد

فضلاً عن حماية المستجير والدفاع عنه [٦] .

ومن اعراف السكان الأخذ بالثار جريا على العادات العربية القديمة ، الا ان اهل الحيرة غالوا كثيرا في التمسك فيه بشكل يفوق القبائل العربية في مجتمع العرب قبل الإسلام [٧] .

وكانت الدية ، طريقة متبعة شأنها شأن القبائل العربية الأخرى ، كوسيلة لحسم النزاع بين القبيلتين المتحاربتين ، إذ كانت دية الملوك اعلى الديات [١] .

---

[١] ابو البقاء ، المناقب المزيدية،ج٢ ، ص٥٠٦ .

[٢] غنيمة ، الحيرة ، ص٩٦ .

[٣] القاسمي ، ظافر ، الحياة الاجتماعية عند العرب ، (بيروت ، ١٩٧٨م) ، ص١٥٣ .

[٤] الخطيب ، بشرح محمد علي ، الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الاسلام ، (بغداد ١٩٧٧م)، ص٧٥ .

[٥] غنيمة ، الحيرة ، ص٩٧ .

[٦] ابو البقاء ، المناقب المزيدية ، ج٢ ، ص٤٥٥ .

[٧] ابراهيم ، محمد ابو الفضل ، ايام العرب في الجاهلية ، (بيروت ، ١٩٦١م) ، ص٩٩ .

ومن تقاليدهم ايفاء النذور ، إذ كانوا لا يشربون الخمر ولا ياكلون اللحم ولا يغتسلون حتى يتم لهم الامر [٢] .

اما التحية عندهم ، فكانوا يحيون بعضهم عم صباحا ، وانعم صباحا في عامة الناس ، وابيت اللعن ، واصلح الله الملك ،كانت خاصة للملوك [٣] .

الأسرة والمرأة :

تعد الأسرة اللبنة الأولى في البناء الاجتماعي ، والمرأة هي المسؤولة عن النشأة والتربية لابنائها ، وبما ان المجتمع الحيري لا يختلف عن المجتمعات العربية الأخرى ، فنرى نساء فيه قد اصبح لهن مقام رفيع ، حتى ان بعض ملوك الحيرة ينتسبون الى امهاتهم فالمنذر الثالث بن أمرؤ القيس (٥١٢-٥٥٤م) ، عرف باسم المنذر بن ماء السماء ، وماء السماء ، لقب امه ماوية بنت عوف بن هلال بن ربيعة ، وقد سميت (بماء السماء) لجمالها وحسنها [٤] ، وكذلك الملك عمرو بن المنذر (٥٥٤-٥٦٩م) نسب الى أمه هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار احد ملوك دولة كندة (٤٩٠-٥٢٨م) [٥] . وهذا له دلالة على سمو مكانة المرأة في المجتمع الحيري .

وقد أدت المرأة دوراً كبيراً في حياة المجتمع وبناء الأسرة فكانت مربية فاضلة لأولادها وسيدة ناجحة لإدارة شؤون منزلها [٦] .

وقد اعتادت بعض النساء الحيريات على إرسال أطفالهن إلى مربيات او مرضعات [٧] .

---

[١] علي ، المفصل ، ج٣ ، ص٢٧٨ .

[٢] ابو البقاء ، المناقب المزيدية ، ج٢ ، ص٤٥٠ ؛ غنيمة ، الحيرة ، ص١١٢ .

[٣] المسعودي ، مروج الذهب ، ج١، ص٥٤ .

[٤] الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص١٠٤ ؛ الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك الأرض ، ص٩١-٩٣

[٥] ابن قتيبة ، المعارف ، ص٦٤٨ ؛ الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص١٠٤ .

[٦] الهاشمي ، علي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، (بيروت ، ١٩٦١م)، ص١٥٣ .

[٧] ابو البقاء ، المناقب المزيدية ، ج٢، ص٣٧٨ .

شاركت المرأة في نشاطات المجتمع وفعالياته ، فكان منهن الشاعرات اللاتي ينشدن في المعارك لإثارة حماسة المقاتلين ، منهن هند بنت النعمان بن المنذر [١] .

وقد نالت المرأة احتراماً خاصاً في المجتمع الحيري ، إذ كانت هناك قوانين أعطت لها حقوقها ، كحرية التملك ، فقد أشارت بعض النصوص الى امتلاك هند بنت النعمان ديرا بظاهر الحيرة عرف باسمها [٢] .

واهتم شعراء الحيرة بالمرأة ، إذ وصفوا جمالها وصفاتها كالعطف والحنان والوفاء [٣] ، حتى عد سبي النساء من المشكلات الكبيرة التي كانت تثير أبناء المجتمع إذ انها تشكل جزءا من وجودهم وكرامتهم [٤] .

وهناك بعض العادات والتقاليد السائدة في هذا المجتمع منها تعدد الزوجات [٥] وزواج البنات في سن مبكر [٦] . واقامة حفلات الزفاف في هذه المناسبات إذ إذ يقضون ليلتهم في الغناء والرقص وسط الاهازيج ، فضلا عن إقامة ولائم العرس التي تقدم فيها أنواع المأكولات والشراب تبعا لثراء العريس [٧] .

الزينة :

---

(١) عزيزة ، ماجد ، هند بنت النعمان بن المنذر ، مجلة بين النهرين ، عدد ٤٣ ، (بغداد ١٩٨٣م)، ص٢٦٧-٢٦٩ .

(٢) الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص٤٥١ .

(٣) الحوفي ، احمد محمد ، الغزل في الشعر الجاهلي ، (بيروت ، ١٩٦١م) ص١٩٣وص٢٤١ .

(٤) ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٠٢-٢٠٤ .

(٥) غنيمة ، الحيرة ، ص١٠٢ ؛ شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ص١٧٩ .

(٦) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢، ص١٢٢.

(٧) علي ، إبراهيم محمد ، المناذرة دراسة سياسية حضارية ٢٦٨-٦٠٢م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، ١٩٨٢م ، ص٩٠ .

العناية بالمظهر الخارجي للإنسان ، حالة حضارية لكل مجتمع وهذه تتفاوت من مجتمع إلى آخر ، تبعا للمستوى الحضاري واهل الحيرة شأنهم شأن غيرهم ، ميالون الى الزينة بحكم مدنيتهم ، وكان للمرأة النصيب الاوفر في هذا الجانب ولاسيما الاهتمام بالشعر وترتيبه [1] ، فقد كان بعض الرجال يرتب شعره على شكل ضفائر ، فيذكر ان المنذر بن امريء القيس (ابن ماء السماء) عرف بـ (ذي القرنين) لضفيرتين كانتا في شعره [2] .

الملابس :

تعد ملابس السكان من الموضوعات الصعبة ، لعدم القدرة على الحصول على نماذج منها من خلال التنقيبات الاثارية التي اجريت في الحيرة ، وليس لنا إلا ما ذكرته الروايات التاريخية عن شهرة الحيرة في صناعة النسيج على مستوى بلاد العرب [3] .

وملابس السكان تختلف باختلاف منازلهم وأقدارهم وأماكنهم [4] ومنها الثوب الحيري الشهير والشرعبية والسيراء واليملق [5] ، والدخدار [6] والملابس

---

[1] الحوفي ، الغزل في الشعر الجاهلي ، ص٦٠ .

[2] الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص١٠٤ .

[3] غنيمة ، الحيرة ، ص٨٢ .

[4] ابو البقاء ، المناقب المزيدية، ج١، ص٢٥٩ .

[5] اليملق ، الثوب الذي يلبس فوق الثياب . الجواليقي ، ابو منصور موهوب بن احمد (ت٤٦٥هـ) ، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ط٨ ، تحقيق ، احمد محمد شاكر (مصر ، ١٩٦٩م) ، ص٤٠١ .

[6] الدخدار ، الثوب المصون ، وهو أعجمي معرب أصله تخت دار ، الجواليقي ، المصدر نفسه ، ص١٨٩.

الصوفية ، وقد لبست بعض النسوة في المجتمع الحيري الحرير والدمقس [١] حتى وصف الشعراء هذه الملابس في شعرهم فقد ذكر ذلك الشاعر المنخل اليشكري (ت٥٩٧م) [٢] بقوله :

الكاعب الحسناء ترفل   في الدمقس وفي الحرير [٣]

وقد اعتاد بعض الملوك تقديم الملابس كهدايا لبعض الأفراد الذين لهم علاقة بهم عن طريق الخدمة او للشعراء والمداحين ومنها اثواب الرضا وهي جباب اطواقها من الذهب [٤] .

ولبس رجال الحيرة العمائم التي كانت تغطي رؤوسهم [٥] في حين استخدمت
المرأة العباءة والحجاب ويدعى الخمار او النصيف [٦] .

الأطعمة :

---

[١] الدمقس ، القز الابيض وما يجري مجراه في البياض . الجواليقي ، المصدر نفسه ص١٩٩.

[٢] المنخل اليشكري : المنخل بن مسعود بن أفلت بن عمرو بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل ، شاعر مقل وكان النعمان بن المنذر ملك الحيرة قد اتهمه بامرأته المتجردة . الأصفهاني ، الاغاني ، ج٢١ ، ص٣ .

[٣] الاصمعي ، الاصمعيات ، ص٦٠ .

[٤] غنيمة ، الحيرة ، ٨٣ .

[٥] غنيمة ، الحيرة ، ص٨٣ .

[٦] سقط النصيف ، سقط الغطاء او الحجاب ، اتقتنا ، احترست بيدها . ديوان النابغة ص١٠٧ .

الحيرة مدينة متحضرة آنذاك ، إذ كانت الولائم والدعوات والبذخ في الموائد والأطعمة من الأمور التي زاد الاهتمام بها ، وكانت تتوقف غالبا على الأحوال الاجتماعية وعلى مدى الحضارة التي وصل إليها الناس .

فقد اهتم أهل الحيرة بموائد الطعام وإعدادها وما تضمنته من أكلات عربية او ما اخذ عن الأمم المجاورة . ومن أطعمتهم ، المضيرة [١] ، والهلام [٢] والسكباج ، وفيهم ولع بأكل الكما الذي يكثر في سهولهم ولحوم الابل والعسل والتمر والالبان والاقط ، وخبز الرقاق فضلا عن أنواع من الحلويات كالفالوذج والزلابيا [٣][٤] .

الاعياد :

لاهل الحيرة عادات خاصة في الاعياد ، إذ كان النصارى منهم يذهبون الى كنائسهم التي زينوها بأنوار القناديل [٥] ، فقد ذكر ان النعمان بن المنذر كان يركب في كل عيد ومعه أهل بيته خاصة بموكب عليهم حلل الديباج المذهبة وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب وفي أوساطهم الزنانير المفصصة بالجوهر وبين أيديهم اعلام فوقها صلبان ... [٦]. ومن أعيادهم عيد الفصح [٧] وعيد السباسب [١] وفي هذا العيد يحيون بعضهم بالرياحين [٢] .

---

[١] المضيرة ، وهو طعام يعمل من اللحم المطبوخ باللبن .

[٢] الهلام ، مرق السكباج المبرد المصفى من الدهن ، والسكباج ، لحم يطبخ بخل . ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢ ، ١١٢ .

[٣] الفالوذج ، وهو من الحلويات التي تصنع من اللوز والعسل والطحين.

[٤] غنيمة ، الحيرة ، ص١٠٤ .

[٥] شيخو ، النصرانية وآدابها ، ج٢، ص٢١٦ .

[٦] البكري ، معجم ما استعجم ، ج٢، ص٥٩٥ .

[٧] وهو العيد الكبير عندهم يعملونه يوم الفطر من صومهم الاربعيني ، يزعمون فيه ان المسيح قام فيه بعد ان صلب بثلاثة ايام ، وخلص ادم من الجحيم ، وأقام في الأرض أربعين يوما اخرها يوم الخميس ثم صعد الى السماء القلقشندي ، صبح الاعشى ج٢، ص٤٥٤ .

العمارة والبناء:

كان للحيرة طراز خاص في البناء والعمارة ، فكان فيها القصور والاديرة والكنائس ، وسمي هذا بالطراز الحيري ، إذ كان معظم بنائهم يبدأ من الصدر وهو لجلوس الملك والكمان ميمنة وميسرة ويكون في البيتين الذين هما الكمان من يقرب للملك من خواصه ، وفي اليمين منها خزانة الكسوة وفي الشمال ما احتيج اليه من الشراب ، وكان امام البنيان رواق قد عم فضاؤه ، والصدر والكمين على هذا الرواق [٣] .

بلغ فن العمارة درجة عالية من الاتقان في الصنعة ، إذ استعملوا اللبن والآجر والمرمر والجص والقرميد في البناء [٤] وتفننوا في البناء وزخرفته [٥] فاشتهرت الحيرة بقصورها ، كان اشهرها قصر الخورنق [*] الذي ينسب بناؤه الى النعمان بن امروء القيس [٦] .

أما القصر الآخر الذي اقترن اسمه بالخورنق فهو السدير [*] ، وينسب بناؤه كذلك الى النعمان بن امرئ القيس [١] . وقد حدد موقع هذا القصر مواجها

---

[١] ويسمونه السعانين ، ويقال الشعانين ، والسباسب الأغصان يريدون بها سعف النخيل الذي قطعه اليهود يوم استقبلوا المسيح في دخوله القدس ، شيخو ، النصرانية وآدابها ، ج٢ ص٢١٥ .

[٢] الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢، ص٣٣٨ .

[٣] المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤، ص٤ .

[٤] مديرية الاثار العامة ، النشاط الاثاري في العراق ، بغداد ، ١٩٥٩م ، ص١٧ .

[٥] رجب ، عمارة البيت العراقي ، ص٣٣ .

[*] الخورنق ، ذكر على انه لفظ عربي مشتق من الخرنق – معناه الصغير من الأرانب وذكر آخر على انه فارسي معرب أصله (خرنكاه او خرنقاه) وهو مجلس الاكل والشراب للملك . ينظر ، ابن منظور ، لسان العرب، ج ١٠، ص٧٩ ؛ الحموي ، معجم البلدان =ج٣ ، ص٤٨٢ . ويقع بظهر الحيرة على الطريق الذي يربط بين النجف والحيرة ويطل على منطقة بحر النجف من جهة وعلى الصحراء من جهة اخرى إذ كانت الزهور والشقائق . الحكيم ، الخورنق والسدير ص٢١٣وص٢٢١

[٦] الحكيم ، المرجع نفسه ، ص٢١٣وص٢٢١ .

لقصر الخورنق من جهة البادية ، فالخورنق يقع على ضفاف بحر النجف ، والسدير يقابله عبر البحر [٢] .

ومن قصور الحيرة الأخرى القصر الأبيض [٣] ، ويذكر الاصفهاني انه لجابر ابن شمعون أسقف الحيرة [٤] بينما يرى ياقوت انه ابيض النعمان [٥] ، اما ابن الفقيه فيقول انه في طريق الحيرة لبني عمار بن عبد المسيح [٦] ، ويحدد الدكتور صالح العلي موقعه قرب الغرين من جهة النجف [٧] ، واتضح لنا من الروايات التاريخية ان هناك قصورا بيضاء اللون وكثيرة وفي اماكن متفرقة ولأشخاص متنفذين منها .

١. قصر العدسيين
٢. قصر بني بقيلة
٣. قصر الفرس

الاديرة والكنائس :

كان لانتشار الديانة المسيحية في الحيرة أثر في إدخال طراز جديد في البناء ، فقد شيدت كثير من المنشآت المسيحية المتمثلة بالاديرة والكنائس فكانت اماكن للعبادة والعلم ومركز لنشر الديانة المسيحية [٨] . وقد اشتهرت الحيرة

---

[*] ذكر ان السدير لفظة عربية لان العرب نظرت لسواد النخيل حتى سدرت فيه أعينهم وذكر آخر الى انه من الألفاظ الفارسية المعربة ، وهو في الأصل (سه دير) أي ثلاث قباب متداخلة . الجواليقي ، المعرب ، ص٢٣٦ .

[١] حمزة الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك الأرض ، ص٨٨ .

[٢] العلي ، معالم العراق العمرانية ، ص٢٥ .

[٣] الحموي ، معجم البلدان ، ج٤، ص٣٥٤ .

[٤] الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢، ص١١٥ .

[٥] الحموي ، معجم البلدان ، ج٤، ص٣٥٤ .

[٦] مختصر كتاب البلدان ، ص٨٣ .

[٧] معالم العراق العمرانية ، ص٢٥ .

[٨] غنيمة ، الحيرة ، ص٤٢-١٤٣ .

بأديرتها الكثيرة وبكنائسها المتعددة [1] ، منها ديارات الأساقفة بظاهر الكوفة ودير الأسكون وفيه هياكل ورهبان كثيرون ، يضيفون من ورد عليهم ، وهذا الدير له مشرعة مقابل الحيرة لها ماء ، إذا انقطع النهر ، كان منها شرب أهل الحيرة [2] .

.

ثانياً : القادسية [3] :

---

[1] عواد ، كوركيس ، ريازة الكنائس القديمة في العراق عند السريان المشارقة ، مجلة سومر م٣ ، ج١ ، بغداد ، ١٩٧٤م ، ص١٠٧ .

[2] الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ) ، الخزل والدال والدال بين الدور والدارات والديرة ، تحقيق يحيى زكريا عبارة ومحمد أديب حميدان (دمشق ، ١٩٩٨م) ، ج١ ، ص٢٦٧-٢٧١ .

[3] الحموي ؛ معجم البلدان ، ج٧، ص٦؛أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري ((ت٤٨٧) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ط١، تحقيق جمال طلبه دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٨٩م) ، ج٣، ص٢٩٠

سميت بالقادسية لأن قوماً من أهل فارس نزلوا بها وقيل سميت بالقادسية في العراق لان قوما" من أهل فارس نزلوا بها وقيل إن رجلاً من أهل هراة قدم على كسرى . فأنزله موضع القادسية [١] المسافة بينها وبين الحيرة خمسة عشر ميلا (٣٠كم) " [٢] [٣] ، وروى ابن منظور " ان القادسية دعا لها إبراهيم (عليه السلام) [٤] . وهي قرية بين الحيرة والعذيب [٥] .

وقيل إن الذي بناها مرزبان من مرازبة الفرس يقال له قادس فعرفت به [٦] .

وروى ابن عينية : أن النبي إبراهيم (عليه السلام) مر بالقادسية فرأى زهرتها فقال : قدست ، فسميت القادسية [٧] .

وثلاثي القادسية في اللغة (القَدس) وهي مادة جزرية (سامية) لها معان مادية ودينية وقد جاءت في النقوش المسندية القديمة (العربية الجنوبية) في النقش الموسوم (CIH541) السطر الثالث [ ] أسم بمعنى

---

[١] الحموي ؛ معجم البلدان ، ج٧، ص٦.

[٢] الميل ، وحدة قياس لأرض مترامية ليس لها حد معلوم . ابن منظور ، لسان العرب ج٨ (مادة ميل) والميل يساوي ٣/١ فرسخ أي يبلغ نحو ٢كم . ينظر ، فالتر هنتس ، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري . ترجمة ،. كامل العسلي (عمان –١٩٧٠) ص٩٥

[٣] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٥٩ ، قدامة ، الخراج وصناعة الكتابة ، (بغداد د – ت) ص٧٨

[٤] لسان العرب ، ج٧ (مادة قادس) .

[٥] المصدر نفسه ، ج٧ (مادة قادس) .

[٦] أبو البقاء ، المناقب المزيدية ، ص٢٠٧ .

[٧] ابن الفقيه ، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني ، مختصر كتاب البلدان ، دار أحياء التراث العربي ، (بيروت ، ١٩٨٨م) ، ص١٦٣ .

(مقدس القدوس) ، وفي السطر السادس والستين فعل بمعنى احتفال ديني (قداس) [١] .

كما وردت في النقوش اللحيانية والسريانية واللفظ بدلالاته الأدبية والروحية يعني القداسة والطهارة لذا سمي الله تعالى بـ(القدوس) وتأتي لفظة القداسة في الاكدية والعبرية على ما هو ضد القداسة أي (النجاسة) .

واللفظة جزرية (سامية) تعني الأرض المقدسة أو المطهرة وجاءت تسميتها من الحصن أو القصر الموجود فيها وهو (القديس) ويظهر إن له قدسية خاصة عند العرب لإعتقادهم أن النبي إبراهيم (عليه السلام) قد غسل رأسه هناك وان الموضع الذي غسل فيه رأسه بني عليه حصن و قصر أو معبد يتعبدون فيه ، إلا إن الناس أخذوا يبتعدون عنه شيئاً فشيئاً ولا سيما بعد انتشار النصرانية في منطقة الحيرة ، فاستغله الساسانيون بعد ذلك من حيث كونه مسلحاً (نقطة الحماية والسيطرة – حراسة) لصد غارات العرب عليهم [٢] ، ويمر فيها خندق قديم هو خندق (سابور) وهو في الأصل المجرى القديم لنهر الفرات [٣]

ثالثاً: العذيب :

---

(1) Beeston and Others ، Sabaic Dictionary , Louvain . 1982 , p. 104 .

(٢) الحمد ، جواد مطر ، موقع القادسية ، منشورات أتحاد المؤرخين العرب ، (بغداد ٢٠٠٠م) ، ص١٣ .

(٣) المرجع نفسه، ص٣٥ .

يذكر اليعقوبي ان المنزل الثاني للطريق ينتهي عند المغيثية [١] في حين يرى آخرون ، ان الطريق يبدأ من القادسية ثم العذيب [٢] والرأي الثاني هو أدق وفقا لما ذكره الحموي اذ قال : " العذيب : تصغير العذب وهو الماء الطيب وهو ماء بين القادسية والمغيثة ، بينه وبين القادسية أربعة أميال (٨ كم) والى المغيثة اثنان وثلاثون ميلا " (٦٤ كم) وهو واد لبني تميم ، نسبة إلى تميم بن عبد مناة بن آد بن طابخة بن الياس بن مضر [٣][٤] من منازل مسافر الحيرة وقيل هو حد السواد [٥] وهو وادٍ بظاهر الحيرة قال معن بن أوس [٦]

إذا هِ ي حَلتَ۫ كربلاء فلعلعا   فَجَوز الُعُذَيب دَونَها بالنَوابِحا . [٧]

والعذيب كانت مسلحة بين العرب وفارس في حد البرية وتضم جانبين متصلين من القادسية الى العذيب ، وفي الجانبين كليهما نخل . وإذا خرج منها المسافر دخل المفازة (الصحراء) ، وسميت بذلك طرف ارض العرب من العذبة [٨] ، إذ عد ابن قتيبة العذيب حداً لشبه جزيرة العرب مابين نجران [٩] والعذيب .

قال كثير عزة [١٠] :

---

[١] اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٥ .

[٢] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٥٩ . قدامة . الخراج ، ص٧٨ .، ابن خرداذبة المسالك والممالك ، ص١١٠

[٣] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص١٩٨-١٩٩ .

[٤] الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٩٢ .

[٥] المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٣٠٤

[٦] معن بن اوس ، بن نصر بن زياد بن اسعد .... بن طابخة بن الياس بن مضر ، شاعر مجيد من مخضرمي الجاهلية والإسلام . ينظر ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج١٢ ص٥٠ .

[٧] البكري ، معجم ما استعجم . ج٣ ، ص١٩٢

[٨] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٨ ، (مادة عذب)

[٩] ابن قتيبة ، المعارف ، ص٥٦٦ .

[١٠] كثير عزة : كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن مخلد ، من الشعراء العرب ، توفي في ولاية يزيد بن عبد الملك ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج٩ ، ص٤ .

خليلي أن أَم الحكيم تَحّملتْ وأخلت بخيمات الُغيب ظلالَ ها [1]

رابعاً: المغيثة [2] :

وهي بمعنى عذبة وهي إحدى مناهل الطريق مما يلي القادسية [3] التي تكثر فيها مياه الأمطار [4] والمسافة بينها وبين العذيب أربعة عشر ميلا" [5] (٢٨ كم). ويتوسط هذه المسافة وادي السباع ، من نواحي الحيرة وسمي بذلك لان أسماء بنت دريم بن القين بن أهود بن بهراء كان يقال لها ام الاسبع وولدها (بنو وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة يقال لهم السباع وهم كلب وأسد والذئب وثعلب وسرحان وبرك وهو الحرش ويقال له كركدن . وهي امرأة جميلة وبنوها يرعون حولها فهم بها رجل فقالت لعلك أسررت في نفسك مني شيئاً ؟ . فقال ، أجل . فقالت ، لئن لم تنته لاستصرخن عليك . فقال ، والله ما أرى بالوادي أحداً . فقالت له ، لو دعوت سباعة لمنعتني منك وأعانتني عليك . فقال ، أو تفهم السباع عنك ؟ قالت نعم . ثم رفعت صوتها يا كلب ... فجاؤوا يتعادون ويقولون ما خبرك يا أماه ؟ فقالت ضيفكم هذا

أحسنوا قراه ولم ترد ان تفصح عما في نفسها . ووادي السباع الذي قتل فيه الزبير بن العوام . بين البصرة ومكة بينه وبين البصرة خمسة أميال (١٠ كم)

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٨ ، (مادة عذب) .

[2] قدامة ، الخراج ، ص٧٨ ، الحموي . معجم البلدان ، ج٦ ، ص٣٠٤

[3] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٩ ،(مادة غوث) .

[4] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١٠ – ١١١

[5] قدامة ، الخراج ، ص٧٨ ، ابن خرداذبة ، المصدر نفسه ، ص١١٠-١١١

من نواحي الكوفة [1] والمغيثة أول مدينة خربت شرب أهلها من ماء المطر وهي لبني نبهان [2] [3] .

خامساً : القرعاء [4] :

قرع الرأس ، ذهاب الشعر من داء ، والقرعاء أرض غير مباركة (ملعونة) [5] لقلة نباتها ، على مسافة تقترب من أربعة وعشرين ميلاً [6] (٤٨ ٤٨ كم) منهل من مناهل طريق مكة [7] فيه آبار وبرك [8] وسميت بالقرعاء لقلة نباتها [9] وبين المغيثة والقرعاء موضع يسمى الزبيدية [10] نسبة إلى زبيد .... ويبدو أنه موضع قديم أو ظهر بعد ذلك ، وفيها مسجد سعد في العهد

---

[1] الزمخشري ، جار الله محمد بن عمرو بن محمد الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ) الجبال و الأمكنة والمياه ، تحقيق د. احمد عبد التواب عوض دار الفضيلة (الإمارات ، د – ت) ص٣١٩

[2] بنو نبهان ، ينسبون إلى نبهان ، سودان بن يزيد بن نهب بن عبد مناة بن المختلس بن ثوب بن كنانة بن مالك بن نبهان . ينظر ، ابن لأثير ، اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٨٠م) ، ج٣ ، ص٢٩٦ .

[3] الحموي ، معجم البلدان ، ج٨ ، ص٢٩٢

[4] اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٥

[5] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، (مادة قرع).

[6] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١١ ؛ قدامة ، الخراج ، ص٧٨ ؛ ابن رستة الاعلاق النفيسة ص١٥٩ .

[7] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، (مادة قرع) .

[8] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١١

[9] الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ص٣٢٥

[10] الزبيدية ، موضع بين المغيثة والعُذيب فيها قصر ومسجد عمرته زبيدة ام جعفر زوجة الرشيد وام الأمين فنسب إليها ينظر، الحموي ، معجم البلدان ، ج٤، ص٤٦٩

الإسلامي [١] والخبراء " والخبر موضع على ستة أميال (١٢كم) من مسجد سعد فيها بركة للخلفاء و بركة لام جعفر وبئران عذبتان ورشاؤهما خمسون ذراعاً وهما قليلتا الماء عذبتان وفيها على طريق الخارج " [٢] وفي القرعاء برك مائية وركايا لبني غدانة [٣] وكانت به وقعة بين بني دارم بن مالك [٤] وبني يربوع بسبب خلاف بينهم على الماء . فقتل رجل من بني غدانة (غدانة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وكان غدانة وكليب والعنز – يسمون العقداء تعاقدوا على أخيهم رياح وصار الأحمال مع بني رياح . يقال . له أبو بدر وأراد بنو دارم ان يدفعوا الدية فلم يقبل بنو يربوع بنو يربوع ، ينسبون إلى يربوع بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة بطن كبير من تميم) [٥]

---

[١] مسجد سعد ، على ستة أميال من الزبيدية بين القرعاء والمغيثة في طريق الحيرة فيه بركة وبئر رشاؤها خمس وثمانون قامة ماؤها غليظ تشربه الإبل قال ابن الكلبي (وكان لمالك وملكان ابني كنانة بساحل جده ، وبتلك الناحية صنم يقال له سعد وكان صخرة طويلة فأقبل رجل منهم بابل له ليوقفها عليه ، يتبرك بذلك فيها فلما أدناها منه نفرت منه فذهبت في كل وجه وتفرقت عنه فأسف وتناول حجراً فرماه به وقال لا بارك الله فيك إلاها انفرت علي ابلي ثم انصرف عنه وهو يقول ،

أتينا إلى سَعد ليجمعَ شملنا   فشتتنا سعدُ فلا نحنُ من سعد

وهل سعد الا صخرة بتنوفة   من الأرض لا تدعو لغّي ولا رشدِ

ينظر الحموي . معجم البلدان ، ج٣ ص ٢٢١ .

[٢] صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩ هـ) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ط ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار المعرفة (بيروت ١٩٥٤ م) ، ج١ ، ص٤٥٠ .

[٣] ابن حزم ، جمهرت انساب العرب ، ص٢٢٤ ؛ ابن الأثير ، اللباب في تهذيب الأنساب ج٢ ، ص٣٧٥ .

[٤] بنو دارم : دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تيم . ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص٢٢٩ .

[٥] ابن الأثير ، اللباب في تهذيب الأنساب ، ج٣ ، ص٤٠٩ .

فحدثت الحرب بينهما [١] .

خامسا : واقصة [٢] :

واقصة بمعنى دنا منه [٣] ، تبعد عن القرعاء أربعة وعشرين ميلا" [٤] (٤٨ كم) ، وهي منزل كثير الأهل فيه دور وقصور وأهلها من طيء[٥] [٦] وفي رواية هي ماء لبني كليب [٧] ، قال الحطيئة [٨]:

كما هاج الصبابة يوم مرت   عوامد نحو واقصة الحمول [٩]

وقد نسبت هذه التسمية الى واقصة وشراف [١٠] ابنتي عمرو بن معتق بن زمر من بني عبيل بن عوض بن ارم بن سام بن نوح (عليه السلام) [١١] وفي

---

[١] الحموي ، معجم البلدان ، ج٤، ص٣٢٥ .

[٢] اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٥ .

[٣] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٧ ، ص١٠٨

[٤] ابن خرداذبة . المسالك والممالك ، ص ١١١ ، ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٥٩

[٥] طيء : طي بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ونسبة طيء إلى الجد الأعلى . ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ٣٩٨ .

[٦] الحموي ، معجم البلدان ، ج٨ ، ص٤٣٩.

[٧] كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تيم . ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص٢٢٤ .

[٨] الحطيئة : جرول بن أوس بن مالك بن جوية بن مخزوم بن مالك .. بن مضر بن نزار ، والحطيئة لقب لُقب به ، من فحول الشعراء ومتقدميهم في المدح والهجاء . الاصفهاني الاغاني ، ج٢ ، ص١٣٠ .

[٩] البكري ، معجم ما استعجم ، ج٤ ، ص١٩٧ .

[١٠] شراف : منطقة بين واقصة والقرار على مسافة ثمانية أميال (١٦كم) من الأحساء ، فيها ثلاثة آبار . ينظر ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣٣١ .

[١١] الحموي ، معجم البلدان ، ج٨ ص٤٣٩ .

هذه الجادة منزل يسمى الطرف على بعد أربعة عشر ميلا" [1] (٢٨ كم) ، يقال لها واقصة الحزون [2] [3] .

سابعاً : العقبة [4] :

عقب كل شيء آخره ، وهو الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه [5] وقيل وقيل العقبة الدولة [6] ، قال المخبل [7]

لم تُعَتذْر منها مَدَامِع ذي ضالٍ ولا عُقَبُ ولا الرُخْم [8]

والمسافة بينها وبين واقصة تسعة وعشرون ميلا [9] (٥٨ كم) وهو ماء لبني عكرمة من بكر بن وائل بن بكر بن وائل [10]، وهي عقبة ضيقة طويلة . وهناك عقبة أخرى وراء نهر عيسى قريبة من نهر دجلة [11] .

---

[1] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٥٩ ، والطرف ناحية العراق له ذكر في المغازي الحموي المصدر نفسه ، ج٦ ص٢٥٨

[2] الحزون ، الأرض التي لا تعد طيبة من حيث فنائها وجبالها وقوافيها وخشنها ورمضها ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، (مادة حزن) .

[3] الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٤٠ .

[4] اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٥

[5] ابن منظور ،لسان العرب ، ج١، (مادة عقب)

[6] المصدر نفسه (مادة عقب)

[7] المصدر نفسه ، ج١، (مادة عقب)

[8] البكري ، معجم ما استعجم ، ج١ ، ص٢٤٤ .

[9] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١١ ؛ قدامة ، الخراج ، ص٧٨

[10] بني عكرمة ، ينسب هذا البطن إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي ابن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد . ينظر ، ابن قتيبة المعارف ، ص٩٢-٩٤ .

[11] الحموي ، معجم البلدان ، ج٦ ، ص٣٣٦

ثامناً : القاع [1] :

وتفصل بينها وبين العقبة مسافة أربعة وعشرين ميلا" [2] (٤٨ كم) وتقع في طريقها القبيبات ، ماء في منازل بني تميم [3] تبعد عن العقبة بأربعة عشر ميلا . قال إعرابي :

هل لنا في زماننا بالقبيبات مرْجِعٌ [4]

و تقع الجلحاء في هذه الجادة [5] على بعد ثلاثة عشر ميلا" [6] (٢٦ كم)) فيها برك وقباب خراب ، وفي غربيها بئر قليلة الماء عذبة رشاؤها نحو من خمسين قامة ومنها الى القاع ستة أميال [7] والقاع منزل ضيق قليل الماء والآبار والآبار [8] .

تاسعاً :زبالة [9] :

وزبالة ما في السقاء والإناء والبئر ، زبالة أي شيء [10] بينها وبيت القاع أربعة وعشرون ميلا" [11] (٤٨ كم) ، وقيل سميت بزبالة بنت مسعر من العمالقة نزلت موضعها . فسميت بها وهذه إشارة إلى قدمها [12] ، وزبالة قرية

---

[1] اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٥

[2] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٥٩ ؛ ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١١

[3] الحموي ، معجم البلدان ، ج٧، ص٢٠

[4] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١١

[5] الجلحاء ، موضع بين العقبة والقاع . الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ص٦٦

[6] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١١

[7] الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ص٦٦

[8] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٥٩

[9] اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٥ ؛ ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٥٩

[10] ابن منظور، لسان العرب ، ج٤ ، (مادة زبل) .

[11] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٥٩ ؛ ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ،ص١١١ ؛ قدامة ، الخراج ، ص٧٩

[12] الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٦٧ .

عامرة كثيرة الأهل والماء [1] وهي منهل من مناهل الطريق [2] فيها بركتان [3] وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية[4] ، ويرى البكري ان زبالة تقع بالقرب من زرود كما في قول الشماخ [5] حين يصف ناقته :

وراحت رواحاً من زرود فنازعت   زبالة جلباباً من الليل أخضر[6]

وفيها حصن وجامع لبني غاضرة من بني أسد [7]، ويوم زبالة من أيام العرب . وهذا يعني إن قبائل بني أسد كانت تسكن فيها منذ قبل الإسلام [8] ، واد كبير ومستنقع يوجد به الماء في الشتاء والصيف [9] .

ويفصل بين القاع وزبالة موضع في طريق مكة يدعى الجريبيسي [10]

على أربعة عشر ميلا" [1] (٢٨ كم) .

---

(1) اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٥ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، (مادة زبل).

(2) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص١٥٩ .

(3) ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج٢ ، ص٦٥٦ .

(4) الثعلبية : ينظر الصفحة ١٠٦ من الرسالة .

(5) الشماخ : الشماخ بن ضرار بن سنان بن أمية بن عمرو بن حبحاش بن بجالة ... بن بغيض بن ريت بن غطفان ، شاعر عربي قديم ، أدرك الإسلام . الاصفهاني ، الاغاني ج٩، ص١٥٤ .

(6) معجم ما استعجم ، ج٢ ، ص٢٨١

(7) بنو أسد : قبيلة عربية تنسب إلى أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، من بطونها المشهورة (بنو فقعس ، بنو الصيداء ، بنو نصر بن فعين) . ابن قتيبة المعارف ، ص٦٥ .

(8) ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٥٩ ؛ ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج٢ ص٦٥٦

(9) البكري ، معجم ما استعجم ، ج٢ ، ص٢٨١ .

(10) الجريبيسي : موقع بين القاع وزبالة في طريق مكة على ميلين (٤كم) . الحموي معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٣٢ .

عاشراَ : الشقوق [2] :

وهو منزل بطريق مكة [3] وفيها برك وآبار [4]، تبعد عن زبالة بمسافة واحد وعشرين ميلاً [5] (٤٢ كم) فيها كثير من الأعراب ، والماء من البرك لبني سلامة [6] وهذا يعني أنها غنية بالمياه لذلك كان الحاج يتخذها محطة استراحة وفيها حصن وجامع لبني غاضرة من بني أسد [7] تقع على هذه الجادة قرية تسمى بالتنانير[8] على بعد أربعة عشر ميلا" [9] (٢٨ كم).

الحادي عشر : بطان [10] :

والبطان الحزام الذي يلي البطن ، حزام الرجل [11] والمسافة بينها وبين زبالة تسعة وعشرون ميلاً (٥٨كم) منزل بطريق مكة [12] وهي من أماكن بني أسد [13] والماء فيها من البرك وفي وسط المسافة بين زبالة وبطان منزل بدرين [1]

---

(1) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١١ ، ابن رستة ، المصدر نفسه ، ص١٥٩ .

(2) اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٥ .

(3) الحموي . معجم البلدان ، ج٥ ، ص١٥٠ ، ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج٢ ص٨٠٦ .

(4) اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٥ .

(5) المصدر نفسه ، ص٧٥ ؛ ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٥٩ .

(6) المصدر نفسه ، ص٧٥ .

(7) الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٦٧ .

(8) ذات التنانير ، ارض بين الكوفة وبلاد غطفان قال الشاعر فما تمت حتى صاح بيني وبينهم بذات التنانير الصدى والعوارف . البكري ، معجم ما أستعجم ، ج١ ، ص٢٨٩

(9) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١١ .

(10) اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٥

(11) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، ص٤٤٦ .

(12) ابن خر داذبة ، المسالك والممالك ، ص١١١ .

(13) اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٥ ؛ ويتضح من ذلك ان المنطقة المحصورة من زبالة الى الشقوق وبطان تسيطر عليها قبائل بنو أسد.

على بعد أربعة عشر ميلاً (٢٨ كم) من بطان [٢] . ويروي البكري ان هذا المنزل تكثر فيه الحيوانات الغريبة ، ويزعم ان كبشاً تعرض الشاعر تأبط شراً [٣] فقتلها وجاء برأسها إلى قومه متأبطاً له فسمي بذلك ، وفي ذلك يقول :

ألا من مبلغ فتيان فهم بما لا قيت يوم رحى بطان

بأني قد لقيت الغول تهوي بقفرٍ كالصحيفة صحصحان[٤]

ثاني عشر :الثعلبية [٥]:

سميت بثعلبة بن عمرو بن مزيقيا بن عامر بن ماء السماء ، لما تفرقت الأزد بعد انهيار سد مأرب لحق ثعلبة بهذا الموضع فأقام به فسمي به ، فلما كثر ولده وقوي أمره رجع إلى نواحي يثرب فأجلى اليهود [٦] والثعلبية تعني ان يعدو الفرس عدو الكلب [٧] على مسافة تسعة وعشرين ميلاً [٨] (٥٨ كم) وتعد من منازل طريق مكة [٩]من الحيرة بعد الشقوق . وهو ثلثا الطريق واسفل منها ماء يقال له الضويجعه على جبل مشرف ، ثم توجد برك يقال لها برك حمد السبيل [١٠] وهي ماء لبني أسد . قالت ليلى الاخيلية [١]:

---

[١] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١١ .

[٢] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٠ .

[٣] تأبط شراً : ثابت بن جابر بن سفيان بن عميثل بن عدي بن مضر بن نزار ، وتأبط شراً لُقب به ، كان شاعراً فاتكاً . الاصفهاني ، الأغاني ، ج٢١ ، ١٩١ .

[٤] معجم ما استعجم ، ج١ ، ص٢٣٦ .

[٥] اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٥

[٦] الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٣ ، ص١١ .

[٧] ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، (مادة ثعلب) .

[٨] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ص١٦٠ ؛ قدامة ، الخراج ، ص٧٩ .

[٩] ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، ص٦٧٦ .

[١٠] الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٣ ، ص١١ .

عوابس تفرو الثعلبية ضُمرا   وهن شواح . بالشكيم الثواجر [٢]

والثعلبية مدينة مسورة [٣] ، وفيها حمامات وسوق أي انها عامرة، وتعد ثلث المسافة إلى مكة وهذا يعني ان الحاج المار يبقى فيها مدة لأخذ قسط من الراحة والتزود بما يحتاج اليه ، فهو لا يمر بها مروراً سريعاً كما هو الحال في المحطات الأخرى ، والماء من البرك [٤] قال عمرو بن شاس الاسدي [٥].

أتعرف منزلاً من أل ليلى   أبى بالثعلبية أن يريما [٦]

ويروي البكري ، انه لما خرجت أياد [٧] من تهامة [١] نزلوا ناحية نجد [٢] ثم ساروا قبيل العراق حتى نزلوا الشقيقة ، فتواثقوا هناك مع مرزبان من مرازبة

---

[١] ليلى الأخيلية : ليلى بنت عبد الله بن الرحال وقيل ابن الرحالة – بن شداد بن كعب بن معاوية وهو الأخيل ، من النساء المتقدمات في الشعر . الاصفهاني ، الأغاني ، ج١١ ص١٩٤ .

[٢] البكري ، معجم ما أُستعجم ، ج١ ، ص٣٠٨ .

[٣] يبدوا أنها كانت خاضعة للفرس (وحصن من حصونهم) ، البكري ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٠٩

[٤] ابن رستة . الاعلاق النفيسة ، ص١٦٠

[٥] عمرو بن شاس بن عبيد بن ثعلبة الاسدي ، شاعر مخضرم جاهلي إسلامي مكي ، ابا عرار ، ينظر الشعر والشعراء ج١ ، ص٣٣٨ ، الأصفهاني الأغاني . ج١١ ، ص٩٦-٢٠٣ ، الأعلام ، ج٥ ، ص٢٤٧ .

[٦] ديوان ليلى الأخيلية ، عني بجمعه إبراهيم خليل ، مكتبة النهضة ، (بغداد ، ١٩٦٧م)، ص ٣٤ .

[٧] إياد : من القبائل العربية العدنانية ينسبون إلى إياد بن معد بن عدنان . ابن قتيبة المعارف ، ص٦٣ .

الفرس ، وأتوا حتى أقاموا بالثعلبية ، فلما انقضى أمد العهد أجلتهم أياد عنها، ثم ساروا حتى نزلوا زُبالة ، فنفوا من حولها من الناس ثم ساروا حتى نزلوا الجبل من ارض السواد[٣] وهزموا هنالك جيشاً للفرس . ثم ساروا حتى نزلوا الجزيرة ونفوا قوماً من العماليق [٤] كانوا بها . ونزلوا الموصل وتكريت ، فلما ملك انو شروان [٥]، بعث إليهم ناساً من بكر بن وائل مع الفرس فهزموا ايادا ً ونفوهم الى قرية يقال لها الحريجية [٦]بينها وبين الحصنين فرسخان ، وقتلت أياد هناك اشد قتل وقبورهم بها إلى اليوم وسارت بقيتهم الى ارض الروم وبعضها الى حمص وهناك من يروي وجود قرية صغيرة تقع بين البطانية الى الثعلبية تدعى بالمهلبية [٧] على بعد أربعة عشر ميلا" (٢٨ كم) عن بطان [٨] .

ثالث عشر : الخزيمية [٩] :

---

[١] تهامة ، جزء من جزيرة العرب تساير البحرالأحمر من مكة والحجاز وتمتد من عرق البحر إلى اسياف البحر ، إلى الجحفة وذات عرق .ينظر : الحموي ، معجم البلدان ج٨ ص٣٦٩.

[٢] نجد ، قفاف الأرض وصلابها ، وما غلظ منها وما ارتفع ، كلما خرجنا عن تهامة فهو نجد .ينظر ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٨ ، ص٣٦٩.

[٣] أرض السواد : ارض العراق سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار لانه تاخم جزيرة العرب التي لا زرع فيها ولا شجر . الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٧٢

[٤] العماليق :ينسبون الى عمليق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح ، نزل بعضهم الحرم وبعضهم الشام ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢٧.

[٥] كسرى آنو شروان : من عظماء الفرس أصبح ملكاً على بلاد فارس بمساعدة الامبرطور البيزنطي (موريس) ينظر كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ص٤٢٨-٤٢٩.

[٦] الحريجية : لم نجد لها تعريف في كتب الجغرافيين العرب .

[٧] لم نجد لها ذكراً في كتب اللغة والمعاجم .

[٨] الاعلاق النفيسة ، ص١٦٠، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١١

[٩] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٠ ، قدامة ، الخراج ، ص٧٩ ، البلدان ، ص٧٥ ولا نعرف ما الذي كان يقصده اليعقوبي في تقسميه ذلك خلافا" لرأي الذين جاءوا بعده.

وتبعد عن الثعلبية بمسافة أثنين وثلاثين ميلا" [١] (٦٤كم) والخزيمية مدينة مسورة كانت تسمى زرود ، رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الحيرة، قال ابن الكلبي ، زرود والشقرة والربذة بنات يثرب بن قانية بن مهليل بن رقام بن عبيل ، اخي عوض بن ارم بن سام بن نوح (عليه السلام) [٢]وسميت بالخزيمية لان خزيمة بن صابر[٣] صير فيها ركباناً للأبار يستقي منه الإبل وربما لم يوجد في ركبها ماء فيوجد بقرب منه من محلة بني تميم ، و الموضع رمل احمر [٤] ، في حين نقل عن اليعقوبي بعد ذكر بطان وقبر العبادي قوله (وهذه أربعة الأماكن ويار بن أسد والثعلبية وهي مدينة عليها سور وزرود والأصفر منازل طي ثم مدينة حديثة) [٥]

وارى إن زرود هي غير الخزيمية وهي التي دعا فيها سعد بن أبي وقاص سنة (١٣هـ) القبائل العربية للتطوع، ونظم جيشه فيها ، ونستشف من القبائل المتطوعة في جيش سعد ان منطقة زر ود كانت تحيط بها قبائل بني اسد وتميم والرباب وان بني أسد أكثرهم ، فقد تطوع منهم سبعة آلاف ويوازيهم بنو تميم فكانوا العدد نفسه وأقلهم الرباب فكان ألف [٦].

وفي زرود بركة وقصر وحوض قالوا ان أول الرمال الشيحة ثم رمل الشقيق وهي خمسة جبال جبل زرود وجبل الغر ومزيع وهو اشدها وجبل الطريدة وهو أهونها حتى تبلغ حيال الحجاز ،وزرود ماء بين ديار بني عيسى وديار بني بريوع [٧] ويوم زرود من أيام العرب المشهورة بين بني تغلب ، قبيلة معروفة ،

---

[١] ابن رستة ، المصدر نفسه ، ص١٦٠، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١١

[٢] الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٧٤

[٣] خزيمة بن صابر ، لم نجد له ذكر في المصادر .

[٤] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٠ ، قدامة ، الخراج ، ص ٧٩

[٥] البلدان ، ص٧٥ .

[٦] الدرة ، محمود ، تاريخ العرب العسكري ، دار الكاتب العربي (بيروت ،١٩٦٤م)،ص٣٦٤.

[٧] البكري معجم ما استعجم ، ج٢ ، ص٢٨٣ .

تنسب إلى تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان [1] وبني يربوع [2] قال الشاعر :

ولقد احسن إلى زرود وطيئتي ... من غير ما جبلت علية زرود
ويشوقني عجب الحجاز وقد طغا ... ريف العراق وظله الممدود [3]

رابع عشر : الأجفر[4] :

والأجفر بئر واسعة لم تطأ ، موضع بين فيد والخزيمية[5]. بينهما مسافة أربعة وعشرين ميلا" [6] ٢٨ كم) وهي ماء لبني يربوع [1] انتزعته منهم بنو جذيمة [2][3] .

---

[1] ابن الأثير ، اللباب في تهذيب الأنساب ، ج١ ، ص٢١٨ .

[2] معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٧٤ ، زرود ماء بين ديار بني عيسى وديار بني بريوع البكري معجم ما استعجم ، ج٢ ، ص٢٨٣ .

[3] مهيار الديلمي ، ديوان مهيار ، ص٢٣ ؛ الحموي ، المعجم ، ج٤ ، ص٤٧٤ .

[4] الأجفر ، جمع جفر ، وهو البير الواسعة ، موضع بين فيد والخزيمية ، الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٩٠

[5] الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٩٠ ؛ ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج١ ص٣٠ ، الزمخشري ، الجبال والأمكنة والمياه ص٨٤

[6] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٠ ، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك

خامس عشر : فيــد [٤] :

وفيد بليدة في منتصف طريق مكة من الحيرة [٥] وفيد المدينة التي ينزلها عمال طريق مكة وأهلها من طيء ، وهي في سفح جبلهم المعروف بسلمى [٦][٧] أي انها منتصف الطريق بين مكة والحيرة ، وسميت بهذا الاسم لأن فيد بن سام أول من نزلها [٨]

وفيد منزل فيه إعراب يسكنون الخيم ، والماء فيه من البرك والآبار يجلب منها الطين الأبيض إلى بغداد الذي يستخدم في الغسل [٩] ، وهذا يعني إن تربتها نقية .قال زهير بن أبي سلمى :

ثم استمروا وقالوا أن مشريكم ماء بشرقى سلمى فيد اروكك[١٠]

وقال لبيد [١] :

---

[١] جذيمة ، نسبة إلى جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بم عمرو بن وديعة بن بكير بن أفصى بن عبد القيس ، بطن من بطون ربيعة بن نزار . ينظر ، ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب ، ج١ ، ص٢٦٦ .

[٢] ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج١ ، ص٣٠

[٣] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٠ .

[٤] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١٢ ، ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٠.

[٥] ابن خرداذبة ، المصدر نفسه ، ص١١٢ ، الزمخشري ، الجبال والأمكنة والمياه ص٢٦٠

[٦] جبل سلمى ، سمي باسم المرأة التي نزلته ، أحد جبلي طيء ، البكري ، معجم ما استعجم ج٣ ، ص٣٧

[٧] اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٦

[٨] الحموي ، معجم البلدان ، ج٦ ،ص٤٥١.

[٩] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٠

[١٠] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٧ ، مادة فيد

مدينة حلت بفيد وجاورت   ارض الحجاز فأين منك مرامها [٢]

وفـي هذه المدينـة يودع الحـاج أزوادهم ومـا يثقل مـن أمتعتهم عنـد أهلهـا فإذا رجعوا اخذوا أمتعتهم ، ووهبوا لمن أودعوها شيئا من ذلك وهم مؤونـة للحـاج في ذلك الموضع المنقطع ، ومعيشة أهلها من ادخار العلوفة طوال العام إلى ان يقدم الحـاج فيبيعونه عليهم [٣]

ويقسم سكان فيد إلى ثلاثة أثلاث ، ثلث للعمريين[٤] ، ثلث لآل أبى

سلمى من همدان [٥] وثلث لبنـي نبهان من طـيء [٦] ، ويقـع بين الاجفر وفيد على بعد عشرين ميلا" [٧] موضع يسمى بالقرائن فيه بركة وقصر [٨] .

---

[١] لبيد : بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن بكر بن هوازن ، من شعراء العرب المعدودين فيها والمخضرمين ، أدرك الإسلام . الاصفهاني ، الأغاني ، ج١٥ ، ص٢٩١ .

[٢] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٧ ،(مادة فيد).

[٣] الحموي ، معجم البلدان ، ج٦ ، ص٤٥١

[٤] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٧ ، (مادة فيد).

[٥] همدان ، نسبة إلى همدان ، واسمه أوسلة بن مالك بن زيد بن ربيعة أوسلة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .ينظر ، ابن الأثير اللباب في تهذيب الأنساب ، ج٣ ، ص٣٩١ .

[٦] الحموي ، معجم البلدان ،ج٦ ، ص٤٥١ .

[٧] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١٢ ، ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٠

[٨] الحموي ، معجم البلدان ، ج٧ ، ص٢٨ .

أولاً : تـــــوز [1] :

وتعني الطبيعة والخلق [2] ، والمسافة بين فيد وتوز تبلغ واحداً وثلاثين ميلا" [3] (٦٢كم) ، واليها ينسب حمى فيد [4] ، وتوز جبل يسمى المخروق لان في أعلاه خرقاً صار مثل باب الأفضاء [5] ، وهي منزل بطريق الحاج بعد فيد للقاصد إلى الحجاز من أراضي بني اسد[6] [7] وتشاركها فيها طي في الجاهلية [8]. قال أبو المسور :

فصَبَّحَنْ في السير أهل تُوز   منزلةٍ في القدر مثل الكوز
قليلة المـأدوم والمخبوز   شراً لعمري من بلاد الحوز[9]

---

[1] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٠.

[2] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ، (مادة توز) .

[3] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٠ .

[4] الحمى ، موضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعى ،ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ (مادة حما) .

[5] ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت٧٣٩ هـ) ، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ،تحقيق ، علي محمد البجاوي ،دار المعرفة (بيروت ،١٩٥٤ م) ،ج١، ص٢٨٠.

[6] اسد ، تنسب هذه القبيلة إلى اسد بن شريك بن مالك بن عمرو بن مالك بن فهم ، بطن من قبيلة الأزد . ينظر ، ابن الأثير ، اللباب في تهذيب الأنساب ، ج١ ، ص٥٣ .

[7] الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٦٤ . وقد ورد في أشعار كُلب فهو حما بلادهم قريب من المدينة بينها وبين عرب وقال الأعرابي :

سقى الله حياً بين صارة والحمى   حمى فيد صوب المدجناة المواطر

ينظر ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٨٦ .

[8] البكري ، معجم ما استعجم ، ج٣ ، ٢٨٣ .

[9] الحوز ، (خوزستان)ضرب بهم مثلاً ، طبع أهله بالشر حتى قال عنهم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) " وليس في ولد آدم شر من حوز ولم يكن منهم نجيب . ينظر الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٥٩ . ويبدو ان الشاعر حاول ان يربط بين الوضع الاقتصادي والاجتماعي الذي تعيشه هذ القرية وبين شر أهل الحوز.

وبـين فيـد وتـوز موضـع يسـمى بـالقرنتين [1] علـى بعـد سـبعة عشـر مـيلاً (٣٤كم) ، والقرنتين كانت فيها وقعـة بيـن كنانـة وغطفـان ، عرفت بيوم القرنتين [2] .ويذكر الحموي أن القرنتين موضع على بعد أحد عشر ميلاً (٢٢كم) من فيد للقاصد مكة [3]

ثانياً: سميراء [4] :

وسميراء بمعنـى المـد والقصر ، وهـي ضرب مـن الشـجر ، صـغار الـورق قصار الشوك [5] قيل سمي برجل من عاد يقال سميراء [6] وهي موضـع [7] حـوله جبال وفوهات سود [8] ربمـا يكون بقايا فوهات لبراكين ، وهـي من منـازل طريق حاج العراق على مسافة من مكة [9] ويبدو لسميراء تـأريخ كثير الأحداث لـم تشر المصادر إليه ونراه واضحاً في قول الشاعر مرة بن عياش الأسدي:

جَـَ تْ عن سَميراء الملوك وغادروا   بها شقّنّ لا يـٌ ضيف ولا يقري
هجين نمير طالباً ومجالــداً   بني كل زحاف الى عَرن القِدرِ

---

[1] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١٢ ؛ ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٠.

[2] القرنتين ، جاء ذكرها باسم القرنتين ، موضع على بعد احد عشر ميلاً من فيد للقاصد مكة الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٦٤

[3] الحموي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٤٦٤ .

[4] البكري ، معجم ما استعجم ، ج٣ ، ٣٠٩ .

[5] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، (مادة سمر) .

[6] الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص١٧٠ .

[7] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١٢ ، ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٠.

[8] الزمخشري ، الجبال والأمكنة والمياه ، ص١٧٠ .

[9] ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج٢ ، ص٧٤٠ .

فلو ان هذا الحّي من الِ مـالكٍ   إذا لم أَجَلّي عن عيالهما الخضر [١]

وذكر الحموي " الذين جلوا عن سميراء هم رهط العلاء بن حبيب بن أسامة من بنـي اسد " [٢] ، وسميراء مرحلة من مراحل الحيرة [٣] ، وهي تقع شمال وادي الرمـة [٤] وهي القريـة التـي عسكر فيها طلحـة بن خويلد الأسدي المدعي للنبوة ، وهذا يعني إنها مركز لطلحة وكانت أحد مراكز الردة .

ثالثاً : الحاجر [٥] :

وهو الجدار الذي يمسك الماء ، منبت الرمث ومجتمعه ومستداره بين الديار منزل في طريق مكة [٦] وأهلها من قيس[٧] وتنسب هذه القبيلـة إلى قيس عيلان ومن بطونها بنو عبس [٨] وقيل موضع في ديار بنـي تميم [٩] إذ يذكر البكري : " ان وائل بن صريم اليشكري خرج من اليمامة فقتلته بنو أسيد بن عمرو بن تميم وقد أخذوه أسيراً ، ثم غزاهم أخوه باعث بن صريم يوم حاجز وهو موضع بديارهم فقتل منهم مائة وقال :

سَائلْ أسيد هل ثأرتُ بَوائل   أم هـل أتيْتُهم بأمــرٍ مُبَرمِ

---

[١] الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٧٣ .

[٢] المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٧٣ .

[٣] الزمخشري ، الجبال والأمكنة والمياه ، ص١٧٠

[٤] ينظر : محمود الدرة ، تاريخ العرب العسكري ، دار الكاتب العربي (بيروت ،١٩٦٤م) ،ص٢٥٥.

[٥] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١٢ ، ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٠ وجاءت بلفظ الحاجز عند قدامة ، الخراج ، ص٧٦

[٦] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، (مادة حجر) .

[٧] بنو قيس ، تنسب هذه القبيلة إلى قيس بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . ينظر ، ابن حزم ، جمهرت انساب العرب ، ص٣١٤ .

[٨] اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٦

[٩] البكري ، معجم ما استعجم ، ج٢ ، ص٥٥ .

إذ أرسلوني مائحاً لدمائهم فملأتُ تلك الى العراقي بالـدم

وقيل (حاجراً) لقول ابن ميادة لعقبة بن كعب بن زهير بن ابى سلمى او لابنه ضرغام :

انى حلفتُ بَربّ َمكةَصادقاً لوْلا الحَياةَ ونِسْوَةُ بالحَاجر
لكَسَوْت عُقْبةَ خُدَّة مشهورةً ترد المدائنَ من كلامٍ عائرٍ[1]

وشهد هذا المنزل أحداث يوم حاجر[2] وفي الحاجر برك[3] قتل فيها حصن بن حذيفة بن بدر وذلك انه خرج في غزو من بني فزارة[4] ، فالتقوا في هذا الموضع مع غزي من بني عامر[5] فأنهزمت بنو عامر وقتلت ذريعاً فزارة فقتله وقال شاعرهم :

ياكُرزُ إنكَ قد فَتَكْتَ بفارسِ بطلٍ إذا هاب الكُماةُ مُجرَّبٍ[6]

رابعاً: النقرة[7] :

النقرة داء يأخذ الشاة فتموت منه[8] وتسمى معدن النقرة[9] فيها أبار وبرك ، والمسافة بينها وبين الحاجر تبلغ أربعة وثلاثين ميلاً[1](٦٨كم) وقيل سبعة وعشرين ميلا" [2] (٥٤كم) ومعدن النقرة في طريق المصعد الى مكة

---

[1] البكري ، معجم ما استعجم ، ج٢ ، ص٥٦
[2] اليعقوبي ، البلدان،ص٧٦ .
[3] قدامة ، الخراج ،ص٧٩.
[4] البكري ، معجم ما أستعجم ، ج٢ ، ص٥٦.
[5] المصدر نفسه ،ص٥٦ .
[6] قدامة ، الخراج ،ص٧٩ .
[7] اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٦ .
[8] ابن منظور ، لسان العرب ، (مادة نقر) .
[9] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١٢ .

من الحاجر فيه برك وثلاثة آبار في بلاد بني عبس [٣]، وماؤهن عذب ورشاؤهن ثلاثون ذراعاً [٤][٥] وهذه الابار هي ، بئر شرن بالمهدي وبئران تعرفان بالرشيد وابار صغار للأعراب تنزح عند كثرة الناس وماؤهن عذب ورشاؤهن ثلاثون ذراعاً وعندها تقترب الطريق فمن أراد مكة نزل المغيثة ومن أراد المدينة اخذ نحو العسيلة منزلها من منازل حاج الحيرة بين أضاخ[٦] وماوان ، قال أبو المسور :

فصبحت معدن سوق النقرة وما بأيديهما تحس فترة

في دوحة موصولـة ببكرةْ من بين حرف بازل وبكرة [٧]

ويذكر اليعقوبي أن النقرة ومعدن النقرة أهاليها أخلاط من قيس عيلان وغيرهم [٨]

وبعد معدن النقرة تفترق الجادة الى طريقين أحدهما نحو يثرب والآخر إلى مكة . فمن أراد يثرب أتجه نحو العسيلة [٩] [١٠] وهذا ليس موضوع بحثنا ومن أراد الطريق إلى مكة فيتجه إلى مغيثة الماوان .

---

[١] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١٢ ، ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٠

[٢] قدامة ، الخراج ، ص٨٠ .

[٣] البكري ، معجم ما استعجم ، ج٤ ، ص١٦٣ .

[٤] الذراع = ٤٩.٨٧٥ سم ، كل ٤٠٠ ذراع = ٢كم . ينظر هنتس ، المكاييل والأوزان الإسلامية ، ص٩٢ .

[٥] الحموي ، معجم البلدان ، ج٨ ، ص٣٩٨ ؛ الحموي ، المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٣٩٨

[٦] أضاخ ، من قرى اليمامة لبني نمير ، وأضاخ سوق وبها بناء وأهالي ، وهي معدن البرم ينظر ، الحموي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٧٢ .

[٧] الحموي ، المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٣٩٨ .

[٨] البلدان ، ص٧٦ .

[٩] العسيلة : ماء في جبل القنان شرقي سميراء . الحموي ن معجم البلدان ، ج٤ ص١٢٥.

[١٠] أبن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١٦٤ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج٨ ، ٣٩٨.

خامساً: مغيثة الماوان [1] :

والمسافة بين معدن النقرة ومغيثة الماوان ثلاثة وثلاثون ميلاً [2] (٦٦كم) وفي رواية سبعة وعشرون ميلاً [3] (٥٤كم).

وماوان وادٍ عليه الماء[4] من ديار بني محارب[5] [6]. وماء هذه المنطقة يميل إلى النزر ، على الرغم من وجود برك وأبار [7] وماوان وادٍ فيه ماء بين النقرة والربذة وكانت من منازل عبس من قيس عيلان [8]، قال ابو عمرو[9]:

شَربْنَ من ماوانَ ماءً مُراً ومِنْ مُغيثَ مِلهُ أو شرّاً[10]

سادساً : الربذة [11] :

[1] اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٦.

[2] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١٥، وقيل أربعة وثلاثون ، أبن رستة ، الأعلاق النفيسة ، ص١٦٢.

[3] قدامة ، الخراج ، ص٨١.

[4] البكري ، معجم ما استعجم ، ج٤ ، ص٥٧ .

[5] بنو محارب ،ينسبون إلى محارب بن فهر بن مالك بن مالك بن النضر بن كنانة ن أبو قريش . ابن قتيبة ، المعارف ، ص٦٧ .

[6] اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٦.

[7] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١٥.

[8] الحموي ،البلدان ، ج٧ ، ص١٩٨ ؛ البكري ، معجم ما أستعجم ، ج٤،ص٥٧.

[9] البكري ، معجم ما استعجم ، ج٤ ، ص٥٧ .

[10] عروه بن الورد ، ديوان عروه ، دار صادر ، (بيروت ، د.ت) ، ص٢٣.

[11] اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٦.

والريــذة تعنــي الشــدة والشــر [١] ، روى ابــن الكلبــي فــي ضــمن التــاريخ الأسطوري ، أن الربذة وزرود والشقرة بنـات يثرب بن قانيـة بن مهليل بن أرم بن عبيل بـن ارفخشـد بـن سـام بـن نـوح (عليـه السـلام) [٢] وهـي علـى بـعد أربعـة وعشرين ميلاً [٣](٨٤كم) والربذة منزل يقطنه عرب كثير فضلاً عن البرك والآبار [٤] والربذة في بلاد غطفان [٥] [٦].

وقيل حمى الربذة وأولها جبل حمى الربذة في غربي رحرحان[٧] وهو جبل كثير القنان(فتحات بركانية) ، وقنانه أسود بينهما فرج وأسفله سهلة ، أراضـي سـهلية تنمو فيها أعشاب البرية وهي لبني ثعلبة بن سعد [٨]. وهي المنطقة التـي كانـت فيهـا الحـرب بـين الأحـوص بـن جعفـر [٩]وأتباعـه وبـين بنـي دارم ، وفـيهم يومئـذ الحارث بن ظالم [١٠] وفي ذلك يقول جرير[١١]:

---

[١] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، (مادة ربذة) .

[٢] الحموي معجم البلدان ، ج٤،ص٣٨٨.

[٣] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١٥.

[٤] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٢.

[٥] البكري ، معجم ما أستعجم ، ج٢، ص٢٣٣ .

[٦] المنطقـة التـي دفن فيهـا ابـو ذر الغفـاري (رضـي الله عنـه) ، ابـن منظـور ، لسـان العرب ج٤، مادة ربذة .

[٧] رحرحـان :جبـل كثيـر القنـان غربـي الربـذة ، تكثـر زراعـة نباتـات الطريفـة فـي أسـفله ، وهـي لبنـي ثعلبة بن سعد . البكري ، معجم ما استعجم ، ج٢ ، ص٢٣٣ .

[٨] بنـو ثعلبـة : ينسبون الـى ثعلبـة بن سـعد بن قيس عيلان بن مضر بن نـزار بن معد بن عدنان، ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص٢٥٥.

[٩] بنو الأحوص : ينسبون الى الاحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعه ،ابن حزم ، المصدر نفسه ، ص٢٨٢.

[١٠] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٢.

[١١] جرير : جرير بن عطيـة بن حذيفـة بن بـدر بن سلمة بن زيد منـاة بن تيم ، وجرير مـن شعراء العرب المشهورين . الاصفهاني ، الاغاني ، ج٨،ص٣-٥.

وَيَــــة وادي رَحْرحَـــانَ زَفَفْـــتم فراراً (ولم تلووا) زفيف النِعائِم
تــركُتم أبــا القعقــاع فــي القِـدِّ مُوثقـاً وأى أخٍ لـــم تَسْـــلموا للاداهِـــمِ

وقال أيضاً [1]:

أتنسون يومي رحرحان فقد بـدا فـوارس قيس لا بسين السّنّورا
تـــركُتم بـــوَادي رَحْرحـــانَ نِسَــاءكم ويـوَم الصَّفَا لا قيـتُمُ الشَّعب أوْعـا

وتعد الربذة من القرى القديمة [2] . وفي المسافة الى (الربذة) منازل بنـي عمرو بـن الحـارث الهذليين [3] ، فيها أبـار علـى مسـافة تسـعة عشـر مـيلاً [4] ، والربذة قرية كانت عامرة في صدر الإسلام ، وكانت تسمى بخرقة الصائغ [5] .وهي في الوقت الحاضر تقع على الطريق الذي يصل فيد بحي طيء وهي قرية من قرى جبل شمر واقعة الـى شرقي جبل سلمى علـى الطريـق التـي توصل مدينـة يثـرب بالحيرة (طريق الحج) وعلى بعد ١٠٨ كم . ولعل موقع ضاكية في الوقت الحاضر هو موقع الربذة القديم .

ومن بعد الربذة عند متابعة الطريق التجاري ، نجد المؤرخين يختلفون في رسمه إذ روى بعضهم امتداد الطريق من الربـذة الـى السليلة [6] فـي حين عده

---

[1] البكري ،معجم ما استعجم ، ج٢،ص٢٣٤.

[2] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٢.

[3] الهذليين ، ينسبون إلـى هـذيل بـن مدركـة بـن اليـاس بـن مضـر . ينظـر ، ابـن قتيبـة المعارف ص٦٤ ؛ وأكثر أهل وادي نخلة بالقرب من مكة من هذيل . ينظر ، ابن الأثير اللباب في تهذيب الأنساب ، ج٣ ، ص٣٨٣ .

[4] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١٤

[5] الزبيدي ، تاج العروس ، ج٢، ص٥٦٣.

[6] اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٦، ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ،ص١٦٢.

آخرون من الربذة إلى معدن بني سليم [1] . وسنأخذ الرأي الأول في رسمنا للطريق على اعتبار القدم التاريخي .

سابعاً: السليلة [2] :

والسليلة بمعنى عِقبة او عُقبة [3] تبعد السليلة عن الربذة ستة وعشرين ميلاً [4] (٥٢كم)، والسليلة ماء لبني الحارث بن ثعلبة [5][6] ، كثيرة النخل وفي رواية موضع ماء لبني أسد [7] بأعلى ثادق (واد في ديار عقيل يفرغ في الرمة) [8] . قال النابغة الذبياني [9]

كأنّ رَحلي وقد زال النهارُ بنا بذي السَليل على مستأنسٍ وحدً[10]

وإنها من المناطق القليلة المياه على الرغم من وجود البرك والآبار [11] .

ثامناً : العمق [1] :

---

[1] ابن خرداذبة ، المسالك والمالك ، ص١١٥؛ قدامة ، الخراج ، ص٨٠.

[2] البكري ، معجم ما أستعجم ، ج١، ص١٣٦.

[3] الحموي : معجم البلدان ، ج٣، ص٢٤٣.

[4] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٣.

[5] بنو الحارث ، ينسبون الى ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .ينظر ، ابن حزم جمهرة انساب العرب ، ص٤٨١ .

[6] ابن عبد حق ، مراصد الاطلاع ، ج٢، ص٧٣٣.

[7] الحموي ، معجم البلدان ، ج٥، ص٣٦.

[8] الحموي ، المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٤٢٣.

[9] النابغة الذبياني : زياد بن معاوية بن خباب بن يربوع ... بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر ، يكنى ابا أمامة ، احد الشعراء الذين غض الشعر منهم ، من الطبقة الاولى المتقدمين على سائر الشعراء . الاصفهاني ، الاغاني ، ج١١،ص٣.

[10] الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٥.

[11] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٣.

والعمق يعني طرف المفازة [٢] على مسافة واحد وعشرين ميلاً (٤٢كم) منزل فيه أعراب [٣] . أرض لبني مزينة [٤] قال ابن الأعرابي [٥] :

كأنها بين شَرَوْري والعمق وقد كسَوْنَ الجلدِ نَضْحاً مَن عَرَق [٦]

قال ثابت ابو حسان :

جاءَت مُزَيْنةُ من عَمْقٍ لتفُزِعَنا فري مُزَيْنَ وفي أستاهَكَ الفُتُلُ

وقال عمرو بن معد كرب [٧]:

لما طلل بالعمق أصبح دارساً تبَدَّل أراماً وعيناً كوانينا

بمعترك شط الحبيا ترى به من القوم محروساً وآخر حارساً [٨]

وكانت بعمق بعض حروب بكر وتغلب [٩] الحرب التي استمرت أربعين سنة [١٠] ، يدل على ذلك قول الشاعر مهلهل بن ربيعة [١] :

---

[١] اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٦ ، أبن منظور ، لسان العرب ، ج٦ ، (مادة عمق) .

[٢] ابن منظور ، لسان العرب ، (مادة عمق) .

[٣] أبن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٣ .

[٤] مزينة ، وهم بنو عثمان وأوس وأبني عمرو بن أدد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص٤٨٠ ؛ القلقشندي صبح الأعشى ، ج١ ، ص٣٤٨ .

[٥] ابن الاعرابي : لم نجد له تعريفاً .

[٦] الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٥٤ .

[٧] عمرو بن معد كرب : عمرو بن معد يكرب بن عبد الله بن عمرو بن عُظْم بن زبيد بن كهلان ، فارس اليمن . الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٥ ، ص١٦٢ .

[٨] ديوان عمرو بن معد كرب ، ص١١٠-١١١ .

[٩] أبن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١٥ .

[١٠] أبن قتيبة ، المعارف ، ص٩٦ .

أُنادي بَركْب المَوْتِ للموتِ غَلسَوا فإنِ لاعَ العَمْق بالموت درت
ولما رأى العمــق قُدّامَهُ ولَما رأى عَمـراً والمُنفَيا [٢] [٣]

تاسعاً : معدن بنـي سليم [٤]:

بينها وبين العمق أربعة وعشرون ميلاً (٤٨كم) [٥] قرية قديمة كثيرة الأعراب ولاسيما من بني سليم [٦] في جبل فاران [٧] الذي ينسب الى فران بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، نزلوا على بني سليم فدخلوا فيهم وصاروا منهم [٨] ،ينتج في هذا الجبل الذهب والحديد [٩] ويعد أهم منجم في بلاد الحجاز [١٠] .

عاشراً :أفيعية [١١] :

---

[١] مهلهل بن ربيعة : عدي بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب ، ولقب مهلهلاً لطيب شعره ورقته ، وكان احد من غُني من العرب في شعره . الاصفهاني ، الاغاني ، ج٥،ص٤٨-٤٩.

[٢] أبن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١٥ .

[٣] عمراً والمنفيا : موضعان قبل العمق ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج٣ ، ٢٢٦ .

[٤] اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٦ .

[٥] أبن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١٥ .

[٦] أبن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٣ .

[٧] من اعمال المدينة على طريق نجد . الحموي ، معجم البلدان ، ج٨ ، ص٢٨٦ .

[٨] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ،ص٤٤٢.

[٩] كحالة ، عمر رضا، جغرافية شبه جزيرة العرب ، المطبعة الهاشمية (دمشق ، د- ث) ص٢٦ .

[١٠] مورتيس ، ب ، المعادن في البلاد العربية القديمة ، ترجمة أمين رويحة ؛ مجلة العرب ج٧ السنة الثانية ،الرياض ، (١٩٦٨ م) ، ص٥٨٥ ؛ أزهار محسن شذر ، قبيلة بني سليم ومكانتها في تاريخ العرب قبل الإسلام رسالة ماجستير ، كلية الآداب ،(بغداد ٢٠٠٢ م) ، ص١١٦.

[١١] اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٦ .

وتبعد عن معدن بني سليم اثنين وثلاثين ميلاً ، وفيها بركة وآبار [١] بضمنها وادي الكراع [٢] بين مكة ويثرب [٣] وأفيعية منزل من منازل بني عبس ، قال زهير بن جذيمة يرثي ابنه شاساً [٤] :

طال ليلي ببطن ذات الكراع إذ نعى فارس الجرادة ناع [٥]

والكراع من المنازل العامرة الكثيرة المياه_[٦] ويقع على هذا الطريق موضع يسمى الكيرانة [٧] .وفيها بركة في الوقت الحاضر تقع في منخفض بين جبل (افيعة) وجبل (أم الكيران) وتبعد مسافة عن " خليج الشق " تقدر بـ (٣١) كم من جهة الشمال الغربي ، ويوجد في هذا المنخفض بحيرة مربعة الشكل

---

[١] البكري ، معجم ما استعجم ، ج٣ ، ٢٢٦ ؛ عمراً والمنفيا ، موضعان قبل عمق ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٢٦ .

[٢] وادي الكراع ، والكراع طرفه وكراع الأرض ناحيتها . وادٍ أمام عسفان على ثمانية أميال جبل اسود في طرف الحرة . ينظر ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٧ ، ص١٢٤ .

[٣] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٧ ، (مادة كرع) .

[٤] زهير بن جذيمة ، من قبيلة عبس ، سيداً مطاعاً ، كانت هوازن تسميه رباً . ينظر الأصفهاني ، الأغاني ، ج١١ . ص٧٧ . وتشير هذه الرواية الى أن أبنه شاساً وفد الى بعض الملوك ، فرجع ومعه كثير من الهدايا ، فمر بأبيات من بني عامر بن صعصعة وأبيات من بني غني على ماء لبني عامر ، فأخذ شاس يغتسل ولم يراع قرب البيوت من الماء ، فناداه احد رجالهم بان يستتر ، فلم يحفل به شاس ثم ناداه مرة أخرى الا انه لم يعر له بالاً مما حدا بالأخير ان يرميه بسهم فقتله . ينظر ابو الفرج الاصفهاني الأغاني ، ج١١ ، ص٧٧.

[٥] الأصفهاني، الأغاني ، ج١١، ص٨٧ .

[٦] البكري ، معجم ما استعجم ، ج٤ ، ص١٤ .

[٧] الكيرانه ، وردت باسم كير عند ابن خرداذبة . ينظر : المسالك والممالك ، ص٤٩ .

(٤١×٤١) م ، وهي مليئة بالرمال حالياً ، ولا يلاحظ منها سوى جدرانها ولم يذكرها أي مكتشف من قبل [١]

حادي عشر : المسلح [٢] :

المسلح ، الثغر والمرقب يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطأهم على غفلة [٣] ، والمسافة بينها وبين أفيعية أربعة وثلاثون ميلاً (٦٨كم) كثيرة المياه[٤] والمسلح ميقات أهل العراق [٥] ، على أربعة منازل من مكة [٦] . وهي محطة حجاج تقع في وادٍ ضيق يحمل اسم وادي المسلح الذي هو امتداد لوادي عقيق ،وتحيطه تلال منخفضة لا يتجاوز ارتفاعها ٦م والمسلح تحوي خزان ماء كبير [٧]

ثاني عشر : الغمرة : [٨] :

والغمرة ماء كثير ، وقيل كثيرة السكان [٩] فيها برك وآبار على بعد ثمانية عشر ميلاً [١٠] والغمرة منهل من مناهل طريق مكة ومنزل من منازلها وهو يفصل

---

[١] Saad A.Al-Rashid . Darb Zubaydah Riyad university Libraries P.22.

[٢] اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٦ .

[٣] ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٤ (مادة سلح) .

[٤] قدامة ، الخراج ، ص٨٠ .

[٥] أبن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١٥ .

[٦] أبن منظور ، لسان العرب ، (مادة سلح) .

[٧] Saad A.Al-Rashid . Darb Zubaydah Riyad university Libraries P.23.

[٨] اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٦ ، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١٥ .

[٩] أبن منظور ، لسان العرب (مادة غمر) . .

[١٠] البكري ، معجم ما استعجم ، ج٣ ، ص٢٢٦ .

بين تهامة [١] ونجد [٢] ، من أعمال يثرب [٣] وهي بئر قديمة حفرها بنو سهم ، قال ذو الرمة [٤]:

تقضين من أعراف لُبنٍ وغَمرةٍ   فلما تَعرفْنَ اليمامة عن عُفْرِ [٥]

وقيل الغمرة جبل يدل على ذلك قول الشمردل بن شريك [٦]:

سقى جدثاً أعراف غمرة دونه   ببيشة ديمات الربيع هو أطله

وما فـــي حُب الأرض الا جوارها   صداه وقولُظَنَّ اني قائلهُ [٧]

وقال الشاعر:

نحن حفرنا الغمر للحجيج   تثج ماءً ايما ثجيج [٨]

---

[١] تهامة :الأراضي التي تقع خلف جبال السراة إلى اسياف البحر ، من بلاد الاشعريين وعك وكنانة ودونها إلى ذات عرق والجحفة ، ومن أرضها الغور ، غور تهامة وكنانة تجمع ذلك . الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٣٧ .

[٢] نجد : المنطقة المحصورة فيما بين جرش الى سواد الكوفة : البكري ، معجم ما استعجم ج١ ،ص١٧.

[٣] الحموي ، معجم البلدان ، ج٦ ، ص٣٩٦ .

[٤] ذو الرمة : غيلان بن عقبة بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ريعة بن ملكان بن عدي بن عبد مناة بن آد بن طابخة بن الياس بن مضر ، من شعراء العرب . الاصفهاني الأغاني ج٧ ، ص٣٠٦ .

[٥] أبن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج٢ ص١٠٠٠ .

[٦] الشمرد بن شريك : الشمردل بن شريك بن عبد الملك بن رؤية بن سلمة بن مكرم بن ضاري بن عبيد . شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية . الاصفهاني ، الأغاني ، ج١٣ ص٣٥٢ .

[٧] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٣ .

[٨] ابن عبد الحق ،مراصد الاطلاع ، ج٢، ص١٠٠.

ومن الغمرة يحرم الحاج [١]

ثالث عشر : ذات عرق [٢] :

وذات عرق تعني المتجردة من اللحم [٣] ، بينها وبين الغمرة برك وأبار على مسافة ثمانية عشر ميلاً [٤] منزل خصب ، كثير الماء من البرك والابار [٥] من هذا المنزل يحرم الحاج الا الجمالين [٦] قال ساعدة بن جؤية [٧]:

لما رأى عرقاً ورجّع صوته هَدرا كما هَدر الفنيق المصعبُ [٨]

وقال أخر :

يا صاح قف بالعرق وقفة معول وانزل هناك فثم أكرم منزل [٩]

وذات عرق منهل أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة وتمتد من الغور[١] إلى اوطاس ، والعرق موضع ، وعرق جبل مشرف على ذات عرق [٢]

---

[١] ابن رسته ،الاعلاق النفيسة ، ص١٦٣.

[٢] اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٦ ، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١٥ .

[٣] أبن منظور ، لسان العرب ، ج٦ ، ص٢٠٤ .

[٤] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١١٥ ، قدامة ، الخراج ، ص٨٠ .

[٥] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٦٣ .

[٦] المصدر نفسه ، ص١٦٣ .

[٧] ساعدة بن جؤية : لم نقف على ترجمة .

[٨] ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج٢ ، ص٩٣٢ .

[٩] ابن عبد الحق ، ج٢ ، ص٩٣٢ .

وذات عرق هي لبني سعد بن بكر الذين أرضعوا الرسول الكريم ، وهي كثيرة النخل وأسفلها بستان ابن عامر [٣]

رابع عشر : بستان ابن عامر :

وردت التسمية (بستان ابن عامر) أحياناً ، ووردت في أحيان أخرى (بستان ابن معمر) ويذكر (الزمخشري) أن بستان ابن عامر : بمجتمع النخلتين النخلة اليمانية والنخلة الشامية وهما واديان [٤]

ويعتقد جواد علي ان هذه التسمية مغلوطة وأنها من أقوال سواد الناس وان الصحيح بستان ابن عامر وهو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة ،وليس ابن معمر وورد أيضاً " بستان ابن عامر لعمر بن عبد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي ،ولكن الناس غلطوا فيها فقالوا ،بستان ابن عامر وبستان بني عامر وإنما هو بستان ابن معمر [٥] والرأي الآخر أنه نسبة الى ابن عامر الحضرمي وآخرون نسبوه الى ابن عامر بن كريز في اشارة لنجاحه في الزراعة وأحياء الأرض الموات وهو بنخله (نخلة هي وادي بستان بني عامر) على ليلة من مكة [٦] .

وتذكر المصادر انه على مقربة من البستان موضع يقال له (المسد)وهو مأسدة وفي وصف الطريق ابتدأ من مكة ورد (من مكة الى البستان) وذكر العلماء ان أهل صنعاء اذا أرادوا مكة قصدوا طريقاً يبدأ بـ(الرحابة) ويمر بعدة

---

[١] الغور ، ما بين ذات عرق إلى غور تهامة وطرف تهامة قيل الحجاز. الحموي ، معجم البلدان ، ج٦ ، ص٣٩٩ .

[٢] الزمخشري ، الجبال والامكنة والمياه ،ص٩٩.

[٣] الحموي ، معجم البلدان ، ج٦، ص٣٩٩ .

[٤] المصدر نفسه ، ص١٤.

[٥] المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج٧،ص٢٤٢.

[٦] الزمخشري ، الجبال والأمكنة والمياه ، ص٩٩.

مناطق ثم يمر ببستان ابن عامر ثم مكة ، والمسافة من ذات عرق الى بستان ابن معمر ٢٢ ميلاً (٤٤كم) ، ومن البستان الى مكة ٢٤ميلاً (٤٨كم) [١]

خامس عشر : مكة :

وهي أهم حواضر الحجاز [٢] ومكة بلد في واد غير ذي زرع " ليس فيها ماء غير ماء زمزم " [٣] لذلك لم تصلح أرضها لان تكون ارضاً ذات نخيل وزروع مما ، اضطر سكانها الى استيراد ما يحتاجون إليه من البلدان المجاورة [٤].

واختلف المؤرخون في اشتقاق كلمة مكة فذهب فريق الى انها سميت بذلك لأنها تمك الجبارين ، أي تذهب نخوتهم [٥]،وقيل أنها سميت مكة لازدحام الناس بها من قولهم قد " أمتك الفصيل ضرع أمه اذا مصه مصا شديداً "[٦] وفي رواية انها سميت بذلك لأنها تقع بين جبلين مرتفعين عليها ، ولما كانت مكة مكاناً مقدساً للعبادة فقد امتكت الناس أي جذبتهم من جميع الأطراف [٧].ومكة مدينة يقبل أليها الناس من كل فج عميق ، فكأنما هي التي تجذبهم من قول العرب " مككت الرجل إذا أردت تخوفه فكأنها تمك من ظلم فيها أي تمكه كما قال الشاعر :

يا مكة الفاجر مكي مكا ولا تمكي مذحجاً وعكا [٨]

---

[١] ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص١٨٠؛ ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١٣٢.

[٢] مهران ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص٣٩١ .

[٣] زمزم :بئر كان آخر من حفره في مكة ، عبد المطلب بن هاشم ، جد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ينظر : الأزرقي ، أخبار مكة ، ج٢ ، ص٣٨ .

[٤] علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج٤ ، ص٥ .

[٥] الحموي ، معجم البلدان ، ج٧ ، ص٣٠٦ .

[٦] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٢٦.

[٧] الزبيدي ، تاج العروس ، ج٧ ، ص١٧٩.

[٨] ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة تاريخ المستبصر ، ط٢ عنى بتصحيحه اوسكر لوفقر ، منشورات المدينة ، (بيروت ، ١٩٨٦م) ، ص٣ ؛ الآلوسي ، نهاية الأرب ، ج١ ، ص٢٢٧ .

ولما كان الجنوبيون قد سكنوا مكة مع الإسماعيلين كان هناك من يرجح ان الاسم انما اخذ من لغة الجنوب مستنداً الى البيت الحرام فمكة او مكرب في رأي العلماء كلمة يمنية مكونه من " مك " و " رب" ومك يعني بيت فتكون " مكرب" وهي بمعنى (بيت الرب) او " بيت الإله " ومن هذه الكلمة أخذت مكة او بكة بقلب الميم على عادة اهل الجنوب [١]

ولم يرد اسم مكة في نص الملك نبونئيد ملك بابل ذلك النص الذي ذكر فيه أسماء المواضع التي خضعت لجيوشه [٢] بعد توجهه الى تيماء [٣].

وأما اقدم ذكر للبلد الحرام في النصوص القديمة ، إنما يرجع الى القرن الثاني الميلادي ، اذ يذكر الجغرافي اليوناني بطلميوس كلادويوس (١٢٨- ١٦٥م) مدينة دعاها مكارابو(Makarabu)(مكربة) قيل أنها مكة المكرمة [٤].

ويعارض جواد علي هذا الرأي اذ يقول (ليس من المعقول ان يلمع اسمها وتنال هذه الشهرة بصورة مفاجئة ، بلغت مسمع ذلك العالم الساكن في موضع بعيد ما لم يكن لها عهد سابق لهذا العهد) [٥]. لان الرواية المتقدم ذكرها تشير الى ان مكة عرفت حسبما ذكر في الخريطة في القرن الثاني الميلادي [٦] وأنها كانت مدينة مقدسة يقصدها الناس حتى بلغت مسامع هذا الجغرافي . ولم نتمكن من الحصول على اسم مكة من الكتابات القديمة [٧].

---

[١] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج٤ ، ص١٠ .

[٢] المرجع نفسه ، ج٤، ص٩ .

[٣] باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، ص ٢١٤ .

[٤] يحيى ،لطفي عبد الوهاب ،العرب في العصور القديمة ،دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٨٦، ص٣٢٠؛ وعن المسحة الاكدية لاسم مكة كما ورد عند بطليموس قارن على =سبيل المثال اسماء المدن باتريبو (يثرب) يالاكو (فدك) د.ادانو (دوان) المصدر نفسه ، ص٣٢٠.

[٥] المفصل في تاريخ العرب ، ج٤، ص١٠.

[٦] ينظر الملاحق ، خريطة رقم (٤).

[٧] علي ، المصدر نفسه ، ج٤ ، ص١١ .

ومكة بين جبال عظام وهي اودية ذات شعاب ، فجبالها المحيطة بها هي ابو قبيس ، الجبل الاعظم منه تشرق الشمس على المسجد الحرام ،وقعيقعان ،وفاضح والمحصب ،وثور عند الصفا وحراء ،وثبير ،وتفاحة ،والمطابخ ،والفلق والحجون وسقر.

ولها من الشعاب (٢٨) شعباً منها : شعب الحجون ،وشعب دار مال الله وشعب البطاطين ،وشعب فلق ابن الزبير ،وشعب ابن عامر ،وشعب الجوف وشعب الخوز .وغيرها والمسجد الحرام يقع بين شعب جياد وشعب قعيقعان [١]

ويرجع تاريخ مكة الى النصف الثاني من القرن التاسع عشر قبل الميلاد لان النبي إبراهيم الخليل (عليه السلام) قد اتى بولده إسماعيل وزوجه هاجر من فلسطين ، واسكنهما في هذه البقعة المباركة [٢]. كما في قوله تعالى (ربنا أني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) [٣] وإذا ما ذكرنا ان الخليل (عليه السلام) كان يعيش في الفترة (١٩٤-١٧٦٥ ق.م) وانه قد رزق بولده إسماعيل وهو في السادسة والثمانين من عمره [٤]. واذا كان صحيحاً ما ذهب اليه بعض المؤرخين من انه شارك اباه في بناء الكعبة وهو في الثلاثين من عمره [٥]. تصديقاً لقوله تعالى " واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم " [٦]

---

[١] اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٨.

[٢] الطبري : تاريخ الرسل والملوك ،ج١ ، ص٢٥١-٢٥٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج١، ص١٥٤ .

[٣] سورة ابراهيم ، الاية ٣٧.

[٤] سفر التكوين ، اصحاح :١٦، فصل :١٦.

[٥] مهران ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص٣٩٨.

[٦] سورة البقرة ، الآية ١٢٧ ؛ شريف ، مكة والمدينة ، ص١٠٠ .

فان بناء الكعبة يكون في نحو عام ١٨٢٤ ق.م وهذا يعني ان مكة قد ظهرت منذ الربع الاخير من القرن التاسع عشر ق.م وهذا يجعلها من أقدم مدن بلاد العرب الجنوبية والشمالية [١].

وفي منتصف القرن الخامس الميلادي تبدأ سيادة قريش على مكة تحت زعامة قصي بن كلاب الجد الرابع للبني محمد (صلى الله عليه وسلم) ، الذي جمع امر مكة ثم ورثه لأبنائه من بعد ان ازاح قبيلة خزاعة عنها في نحو منتصف القرن الخامس الميلادي مما اضطرهم الى الرحيل عن مكة والنزول في بطن مر [٢] [٣] .

واصبح قصي رئيساً لمكة ، زعيماً لديانتها ، ومن ثم اجتمعت له السقاية والحجابة والرفادة واللواء ودار الندوة ، وهي أمور لم تجتمع لرجل من قبله [٤].

وبعد ان نجح في القضاء على نفوذ خزاعة فرض قصي ، سلطته على بطون كنانة ، التي كانت تلي بعض مناسك الحج ، وانزل قريشا مكة ، وكان بعض بطونها مقيماً في الشعاب ورؤوس الجبال ، ثم قسم المدينة أرباعاً بينهم وهكذا تزعم قصي قومه فملكوه عليهم ، فقصي أول من أصاب الملك من قريش من ولد إسماعيل ، وذلك في أيام المنذر بن النعمان ملك الحيرة [٥].

وكان قصي شديد العناية بعمارة البيت الحرام ، الذي يزعم بعضهم انه أعاد بناءه ، وهو اول من جدد بناء الكعبة من قريش ، كما كان أول من اظهر الحجر

---

[١] مهران ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص٣٩٨ .

[٢] مر : وادي سمي بذلك لأنه في عرق من الوادي من غير لون الأرض ، وقيل سميت مر لمرارتها . الحموي ، معجم البلدان ، ج٧ ، ص٢٤٧ .

[٣] مهران ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص٤٠٠ .

[٤] أبن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٣٠-١٣٤ ؛ الأزرقي ، أخبار مكة ، ج١ ص٧٨ ؛ شريف ، مكة والمدينة ، ص١٠٥ .

[٥] المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٢٧٢ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج١ ، ص٣٤٢

الأسود بعد ان دفنته (اياد) في جبال مكة [١]. ولعل من أهم أعمال قصي انه جمع وظيفة سدانة الكعبة (خدمة البيت الحرام) وكذلك وظيفة السقاية ولاسيما في بلد شحت مياهه ، في وقت كان يستقبل فيه كثير من الحجيج ، ومن ثم فقد كان على صاحب السقاية توفير المياه لزوار بيت الله الحرام ، حتى ييسر لهم مهمة الحج والرفادة التي هي خرج تدفعه قريش من أموالها الى قصي ليصنع منه طعاماً للحجاج ممن لم يكونوا على ميسرة ، وهي من الوظائف المهمة التي ظهرت في مكة على أيام قصي [٢].

وأصبحت مكة مركزاً للحياة الدينية في شبه الجزيرة العربية ، نشد إليها الرحال وتشخص إليها الأبصار ، وكانت ترعى الاشهر الحرم بسبب وجود الكعبة فيها. وزاد من قيمة مكة ان اليمن بعد الاحتلال الحبشي في عام ٥٢٥م ، لم تسطع سد الفراغ الذي تركته القوات البحرية الرومانية ، ومن ثم فقد اصبح الطريق البري – عبر تهامة والحجاز هو الطريق المفتوح امام التجارة ، وكان لا بد بعد ذلك زوال النشاط التجاري اليمني بظهور من يسد هذا الفراغ ، ويقوم بدور الوسيط المحايد بين المتنازعين ، تستقل التجارة وهكذا كان موقع مكة الجغرافي سبب في ان يجعل من المدينة المقدسة عقدة تتجمع فيها القوافل التي ترد من العربية الجنوبية الى بلاد الشام ، أو القادمة من الشام أو العراق باتجاه اليمن حتى اذا ما كان القرن السادس الميلادي نجح القرشيون في احتكار التجارة في بلاد العرب [٣] .

---

[١] مهرا ن ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص٢٧٦ .

[٢] الازرقي ، اخبار مكة ، ج١،ص٧٨.

[٣] شريف ، مكة والمدينة ، ص١١٠ .

الحياة الاجتماعية في مكة قبل الإسلام :

نشوء مكة :

لا يمكن معرفة الحقبة التي ظهرت فيها مكة على وجه التحديد ، فتاريخها يكتنفه بعض الغموض ، فضلاً عن طغيان الطابع القصصي عليه ، لذلك كانت اغلب معلومات المؤرخين عن تاريخها تعود الى العصور الإسلامية ، واعتمدوا في رواياتهم على ما ورد في التوراة والقرآن الكريم ، ولا سيما ما يتعلق ببناء الكعبة ونشوء مكة [1] .

---

[1] نافع ، محمد مبروك ، تاريخ العرب ، عصر ما قبل الإسلام ، ط٢ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٥٢م) ص١٢٢ ؛ الجميلي ، خضير عباس فياض ، قبيلة قريش قبل الاسلام ،مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، (بغداد ، ٢٠٠١م) ، ص١٧ .

تعددت روايات المؤرخين حول بناء الكعبة فمنهم من يشير إلى ان هذا البيت قد بنته الملائكة وحجت اليه قبل ادم بالفي عام [١] ، وأن الله تعالى أنزل لادم خيمة من الجنة وضعت له بمكة في موضع الكعبة [٢] ، وبعد وفاة آدم رفع الله تعالى الخيمة ثم بنى شيت بن ادم الكعبة بالطين والحجارة في مكانها [٣] .

وبعضهم يقول ان نوحا (عليه السلام) حج الى البيت وعظمه قبل الطوفان [٤] . وظل البيت معمورا حتى غمرته مياه الطوفان وخفي مكانه [٥] .

وبقي كذلك الى ان امر الله سبحانه وتعالى ابراهيم الخليل ببناء البيت مع ولده إسماعيل قال الله تعالى (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم)[٦] .

وهذه الروايات تشير الى ان مكة كانت مقاماً دينياً قبل مجيء إبراهيم (عليه السلام) اليها ، إلا ان الأثر التاريخي لها يبدأ عند بناء الكعبة من قبل إبراهيم (عليه السلام) والتي قامت حولها مدينة مكة في حدود القرن التاسع عشر قبل الميلاد [٧] إذ اسكن إبراهيم (عليه السلام) زوجه هاجر مع ابنها إسماعيل (عليه

---

[١] الازرقي ، اخبار مكة ، ج١ ، ص١١ ؛ الطبري : تاريخ الطبري ،ج١، ص١٢٥ .

[٢] الازرقي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٧٢ .

[٣] ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢٠ ؛ ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ، (ت : ٦٣٠ هـ) ، الكامل في التاريخ ، ط١ ، تحقيق : ابي الفداء عبد الله القاضي ،دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٨٧م) ، ج٢، ص٤٧ ؛ المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج٤، ص٨٢ .

[٤] ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص٢٥ .

[٥] الازرقي ، اخبار مكة ، ج١، ص١٤ .

[٦] سورة البقرة ، الآية ١٢٧ .

[٧] زيدان ، العرب قبل الإسلام ، ص١٨٨ ، ٢٧٦ ؛ الشريف ، مكة ، ص٩٦ ؛ مهران ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص٣٩٨ ؛ وهناك بعض الاراء للباحثين (يذكر ان ابراهيم الخليل عاش في القرن العشرين قبل الميلاد) ؛ نافع ، عصر ما قبل الإسلام

السلام) في مكة وأمرها ان تتخذ لها عريشا لسكناهما [١] وبذلك يعد إبراهيم (عليه السلام) ، أول من وضع أسس بناء مكة [٢] .

وأقدم ذكر لمكة ورد في المصادر اليونانية إذ ذكرها بطليموس (ت : ١٦٥م) باسم مكربا **Macoraba** [٣] . في كتابه (جغرافية) الا ان تاريخ نشوء مكة يعود الى عصور قديمة قبل عصر بطليموس [٤] وقد تعاقبت على مكة أقوام وقبائل عديدة لم تسعفنا المصادر التاريخية بمعلومات وافية عنهم فلم يصلنا من إخبارهم الا القليل وكان آخرها قبيلة قريش .

المجتمع المكي :

أ.سكان مكة:

سكنت كثير من القبائل في مكة ، على مر العصور دون ان يذكر المؤرخون معلومات دقيقة عنهم ، ولا يمكننا الاعتماد قطعيا على ما جاء في رواياتهم ، اذ ان اغلب أصحابها عاشوا في العصور الإسلامية ، وهو عصر متأخر عن ذلك العهد[٥] .

كما ان تاريخ مكة في العصور القديمة جاءت أخباره مضطربة في بعض الأحيان ، فالمؤرخون لم يذكروا التسلسل التاريخي لتلك القبائل ، ومن القبائل التي سكنت مكة :

ص١٢٣ ؛ بينما يذكر باحث اخر ، ان إبراهيم (عليه السلام) عاش في حدود القرن الثامن عشر قبل الميلاد) ؛ الدباغ ، الجزيرة العربية ، ١، ص٩٢ .

(١) ابن هشام السيرة النبوية ، ١، ص٢٢ ؛ الازرقي ، اخبار مكة ، ج١، ص٥٤ ؛ المسعودي ، علي بن الحسين بن علي الهذلي ، (ت : ٣٤٦هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، (ط٤ ، القاهرة ، ١٩٦٤) ،ج ٢ ص٤٦ .

(٢) الجميلي ، قبيلة قريش قبل الإسلام ، ص١٩ .

(٣) علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج٤، ص٩.

(٤) المرجع نفسه ، ج٤، ص١٠ ؛ مهران ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص٣٩٤ .

(٥) السباعي ، احمد ، تاريخ مكة ، ص٣٠ ، مطابع دار قريش ، (مكة المكرمة ١٣٨٥هـ) ، ص١٤ .

١. عــاد :

قال الله سبحانه وتعالى (والى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من اله غَيره) [١] فعاد كانوا من سكان مكة بعد ان أغرق الله سبحانه وتعالى قوم نوح (عليه السلام) [٢] ، وهم بنو معاوية بن بكر الذين تطلق عليهم تسمية عاد الثانية [*] وكانوا يسكنون مكة والحرم [٣] ، وكان العرب يضربون المثل بقوم عاد ويشيرون إلى أنهم أقدم من العمالقة [٤] .

٢. العماليــق :

والعماليق من قبائل العرب البائدة [٥] . وقد اختلف المؤرخون في نسبهم [٦] وفي الحقبة التي نزلت فيها هذه القبيلة بمكة او ما حولها ، في الوقت الذي

---

[١] سورة هود ، الآية ٥٠ .

[٢] العمري ، هادي صالح ، العلاقات بين مكة ويثرب ، ص١٧ .

[*] عاد الثانية : بطن من عاد الأولى وهم بنو بكر بن معاوية بن بكر بن عاد بن عوص . اما عاد الأولى : فهم قبيلة من العرب البائدة ، وهم بنو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح (عليه السلام) . ينظر : القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي بن =عبد الله (ت : ٨٢١هـ) ، نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ن تحقيق : إبراهيم الابياري ، (ط١ ، القاهرة ، ١٩٥٩م) ، ص٣٢٨-٣٢٩ .

[٣] الطبري ، تاريخ ، ج١، ص٢١٩-٢٢١ .

[٤] زيدان ، العرب قبل الإسلام ، ص٧٦ .

[٥] القلقشندي ، نهاية الارب ، ص١٥٠ .

[٦] ينسبهم ابن هشام الى (عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح (عليه السلام) السيرة النبوية ج١ ص٨ ؛ ينظر : الطبري ، تاريخ ج١ ، ص٢٠٦ .اما ابن رسته فيرجع نسبهم الى (عمليق بن اسليخا بن لوذ بن سام بن نوح (عليه السلام) ، الاعلاق النفسية ص٣٧. وينسبهم القلقشندي الى (عمليق او عملاق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح (عليه السلام) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن الحسين (ت: ٨٠٨هـ) ، تاريخ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج٢، ص٣٠ .

يشير فيه بعضهم إلى ان العماليق ممن سكن مكة قبل قدوم إبراهيم (عليه السلام) إليها[١].

وذكر المسعودي رأياً انفرد به هو : (ان بنى قيطور بن كركر من العماليق هم أول من سكن مكة مع هاجر وابنها إسماعيل الى ان انبع الله لهما زمزم وان إسماعيل تزوج زوجته الأولى من العمالقة وهي الجداء بنت سعد العملاقي ، وبعد ذلك قدمت جرهم فاستوطنوا مكة مع من سبقهم من العماليق)[٢]

ويروي الازرقي ان العماليق حي كانوا يسكنون مكة وكانت لهم أموال كثيرة من خيل وابل ، وقد اظهروا الظلم والمعاصي ، وفعلوا السيئات حتى سلبهم الله نعمتهم ، وسلط عليهم الجدب حتى خرجوا من الحرم وتفرقوا في البلاد [٣] .

٣. جـرهم :

سكنت جرهم مكة بعد العماليق في أحوال لم نعرفها [٤] إذ كانوا يسكنون في واد قريب من مكة [٥] .

وكانت لجرهم ولاية البيت استمرت ٣٠٠ سنة [٦] ، وهذا يتنافى مع إرجاع عهد جرهم الى حياة إسماعيل لان ولاية جرهم لمكة تنتهي في مطلع القرن الثالث الميلادي [١] وان عـهد إسماعيل يرجع الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد [٢] .

---

[١] الازرقي ، اخبار مكة ، ج١، ص٥٨ ؛ ابن فقيه الهمذاني ، مختصر كتاب البلدان ص٢٧ ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص٣٧ ، الفاسي ، العقد الثمين ، ج١ ص٢٩-٣٠ ؛ فروخ ، عمر ، تاريخ الجاهلية ، دار العلم للملايين ،(بيروت ، ١٩٦٤) ص١٠٩ .

[٢] مروج الذهب ، ج٢، ص٤٦ .

[٣] اخبار مكة ، ج١، ص٥٨.

[٤] الازرقي ، اخبار مكة ، ج١ ، ص٥٩ ؛ السباعي ، احمد ، العرب قبل الإسلام ، ص٥٢ .

[٥] الطبري ، تاريخ ، ج١، ص٢٥٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١، ص٨٠.

[٦] المسعودي ، مروج الذهب ،ج ٢، ص٥٠ ؛ الفاسي ، العقد الثمين ،ج ١، ص١٣٢ .

٤. خزاعـة :

وخزاعة من عرب الجنـوب من قبيلـة الازد القحطانيـة ، سكنت مكـة وتولت امر البيت الحرام [٣] .

وكانـت هـذه القبيلـة مـن قبائـل الازد هـاجرت مـن الـيمن بسـبب انـهيـار سـد مأرب بزعامة عمرو مزيقياء بن عامر [٤] [٥] ، فـي حين يرى الازرقـي ان هجـرتهم

---

[١] سيديو ، ل.أ ، خلاصة تاريخ العرب ، ط١ ، ترجمة : محمد احمد عبد الرزاق وعلـي مبـارك ، مراجعـة : عبـد الـرزاق بـن السـيد الشـرقاوي ، (بيـروت ، ١٣٠٩هـ) ص٣٢ نـافع ، عصر ما قبل الاسلام ، ص١٦٦ .

[٢] زيـدان ، العرب قبـل الاسـلام ، ص١٨ـ٢٧٦ ؛ الشـريف ، مكـة والمدينـة ، ص٩٦ مـهـران دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص٣٩٨ .

[٣] الازرقــي ، أخبــار مكــة ، ج١، ص٩٢ ؛ القلقشــندي ، نـهايــة الأرب ، ص٢٤٤ ؛ (وقيـل ينتسبون الى قمعه بن الياس بن مضر) ، ينظر : ابن حزم الاندلسي ، محمد بـن علـي بـن احمد بن سعيد (ت: ٤٥٦هـ) جمهرة انساب العرب ، تحقيق وتعليـق : عبد السلام محمد هارون ، مطابع دار المعارف ، (مصر ، ١٩٦٢م) ، ص٢٣٥ .

[٤] عمرو مزيقياء بن ماء السماء : عمرو بن عامر بن حارثـة بن ثعلبـة بن أمرؤ القيس بـن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بـن يشجب بـن يعرب بن قحطان . ينظر : ابن قتيبة ، المعارف ، ص٦٤ .

[٥] ابـن منبـه ، وهـب ، (ت : ١١٠هـ) ، التيجـان فـي ملـوك حميـر ، مطبعـة مجلـس دائـرة المعارف العثمانية ، (الـهند ، ١٣٤٧هـ) ، ص٢٦٩ .

كانت قبل خراب سد مأرب[١] ، ووصلوا الى ضواحي مكة فنزلوا بمر الظهران [*] ، وطلبوا من جرهم الإقامة معهم وبسبب رفض الأخيرة ذلك ، حدثت بينهم حرب انتهت بانتصار الازد ونزولهم مكة ، وبسبب ظروف مكة المناخية هاجر بعضهم عنها ، وسمو خزاعة لأنهم أنخزعوا من قومهم حين أقبلوا من مأرب إلى مكة [٢] ، فأقام فيها ربيعة بن عمرو بن عامر وهو لحي فولى أمر مكة وحجابة الكعبة ، قال الشاعر : حسان بن ثابت :

فلما هبطنا بطن مر تخزعت   خزاعة منا في حلول كراكر

حموا كل واد من تهامة واحتموا   بصم القنا والمرهفات والبواتر [٣]

وكان اشهر من ولى امر البيت من خزاعة عمرو بن لحي الخزاعي وهو الذي غير دين ابراهيم (عليه السلام) وبدله بعبادة الاوثان ، واستحضر معه من الشام أصناما نصبها حول الكعبة [٤] وكان قوله في قومه دينا متبعا ، وبلغ بمكة

---

[١] الازرقي ، اخبار مكة ، ج١، ص٩٢.

[*] مر الظهران : موضع على مرحلة من مكة ويسمى اليوم وادي فاطمة . الحموي ، معجم البلدان ، ٥، ص١٠٤ .

[٢] الازرقي ، أخبار مكة ، ج١، ص٩٢-٩٣ .

[٣] أبن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، ص ٨٣ ؛ ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، تحقيق : سيد حنفي حسنين ، مراجعة حسن كامل الصيرفي ، ٠المكتبة العربية ، (القاهرة ١٩٧٤م) ، ص٣٨٦ ؛ الازرقي أخبار مكة ، ج١، ص٦٨ . بينما ينسب ابن هشام هذه الأبيات مع اختلاف بسيط الى عوف بن أيوب الأنصاري ، (السيرة النبوية ، ج١ ص٩٤) .

[٤] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص٨ ؛ ابن حبيب ، المنمق ، ص٣٥٣-٣٥٤ .

وفي العرب من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله في الجاهلية [١]، وهو اول من اطعم الحاج سدايف الابل ولجمانها على الثريد وأهدى إليهم الثياب اليمنية [٢] .

وظلت خزاعة قائمة على ولاية البيت الى ان ظهر قصي بن كلاب في منتصف القرن الخامس الميلادي [٣] ، ودامت ولاية خزاعة للبيت نحو ثلاثمائة سنة تقريباً . وبقت خزاعة في مكة بعد ان أصبحت ولاية البيت بيد قصي بن كلاب إذ أبقى قصي خزاعة في مساكنها [٤] .

٥. قريش :

من القبائل العدنانية ، والأشهر ان تسمية قريش أطلقت على أبناء فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ولا قريش غيرهم [٥] ، واختلفت الآراء حول هذه التسمية [٦] وعلى الأرجح انها جاءت من التقرش أي التجمع [١] وقيل انما انما سميت قريش قريشاً لأنها كانت تكتسب وتتجر فشبهت بدابة البحر [٢] وقد

---

[١] الازرقي ، اخبار مكة ، ج١، ص ٦٨.

[٢] الازرقي ، المصدر نفسه ، ج١، ص ٧١ ؛ كانت العرب تقول اذا بلغت ابل احدهم الف ناقة فقأ عين فحل ابله ، ومعنى هذا ان بلغ عددها الفا وهذا العدد مبالغ فيه . المصدر نفسه ج١ ، ص٧١ .

[٣] سيديو ، تاريخ العرب العام ، ط٢ ، ترجمة : عادل زعيتر ، (مصر ، ١٩٦٩م) ص٤٤ ؛ الشريف ، مكة والمدينة ، ص١٩٤ .

[٤] الازرقي ، اخبار مكة ، ج١، ص٧٩ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١، ص٢٠٩ .

[٥] الكلبي ، جمهرة النسب ، ص٢٨-٢٢ ؛ الزبيري ، ابو عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب ، (ت: ٢٣٦هـ) ، نسب قريش ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، (القاهرة ١٩٥٣م) ، ج٧ ، ص١٢ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص٦٨ ؛ ابن حزم ، جمهرة النسب ص١٢

[٦] ابن سعد ، محمد بن منيع (ت: ٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ، دار صادر (بيروت ١٩٨٥م) ، ج١، ص٧٠ ؛ الازرقي ، أخبار مكة ، ج١، ص١٠٨-١٠٩ ؛ اليعقوبي تاريخ اليعقوبي ، ج١، ص٢٠٤ ؛ الطبري : تاريخ ، ج٢، ص٢٦٣-٢٦٥ ؛ ابن عبد ربه

أطلقت هذه التسمية على ابنـاء فهر بن مالـك بعد ان جمعهم قصـي بن كـلاب [*] بعد تفرقهم في ضواحي مكة . قال الشاعر :

أبوكم قصيا كان يدعى مجمعاً   به جمع الله القبائل من فهر [٣]

وتمكن قصي من انتزاع ولايـة البيت مـن خزاعـة [٤] ، فكـان قصـي أول مـن أصاب ملكا من أبنـاء كعب بن لؤي وأطاع لـه بـه قومـه [٥] ، واسكن قومـه الحرم في بطحاء مكـة ، وكـانوا قبل أيـام قصـي يعظمونـهـا . ويحرمـون بنـاء البيـوت فيهـا مـع بيـت الله ، وكـان السـكن فـي جبـال مكـة واوديتـهـا فـي العهـود التـي سـبقت عهـد قريش[٦].

الاندلسي ، شـهاب الـدين احمد ، (ت: ٣٢٨هـ) العقد الفريد . تقديم : محمـد سـعيد العريـان دار الفكر ، (بيروت ، ١٩٤٠م) ،ج٢، ص٣٧ ؛ القلقشندي ، نهاية الأرب ص٣٩٨.

[١] ابن منظور ، لسان العرب ،ج٩، مادة (قرش) ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (قرش)

[٢] الازرقي ، أخبار مكة ، ج١، ص٧٩ .

[*] قصي بن كلاب بن مرو بن كعب بن لؤي . ينظر : الكلبي ، جمهرة النسب ، ص٢٥ .

[٣] الازرقــي ، أخبــار مكــة ، ج١، ص١٠٨ ؛ اليعقــوبي ، تــاريخ اليعقــوبي ، ج١، ص٢١٠ الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص٢٥٦ .

[٤] ابن قتيبة ، المعارف ، ص٧٠ .

[٥] الازرقــي ، أخبــار مكــة ، ١، ص١٠٧ ؛ اليعقــوبي ، تــاريخ اليعقــوبي ، ج ١، ص٢٠٥ الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص٢٥٨؛ السهيلي ، الروض الأنف ، ج٢، ص٣٢ .

[٦] العمري ، مسالك الابصار في ممالك الامصار، ج١، ص١١٣ الحنفي ، الاعلام ص٢١ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٠٥ .

فالذين سكنوا مع قصي بطحاء مكة كان يطلق عليهم قريش البطاح [*] اما الذين فضلوا البقاء في منازلهم في شعاب الجبال فهم قريش الظواهر [**] وهم اعراب مكة الذين بقوا محتفظين ببداوتهم .

وقد اجتمع لقصي الحجابة والسقاية والرفادة واللواء والندوة وكان يعشر من دخل مكة بتجارة سوى اهلها ، ودأبت قريش على فرض الاتاوات على التجار الغرباء وعلى العرب الذين لا يرتبطون مع قريش بحلف [١] .

وعليه فان التاريخ الواضح لمكة يبدأ من أيام قصي بن كلاب نتيجة التقدم الذي نالته مكة في عهد قريش .

وبعد وفاة قصي استمر أبناؤه وأحفاده في مواصلة العمل الذي رسمه لهم حتى ظهور الإسلام .

الحياة السياسية في مكة وأثرها الاجتماعي :

كان النظام القبلي هو النظام السياسي السائد في مكة اذ تولت قبيلة جرهم ولاية البيت بعد وفاة نابت بن إسماعيل (عليه السلام) ، وذكر ابن هشام (ان جرهماً بغوا بمكة واستحلوا خلالا من الحرمة فظلموا من دخلها من غير أهلها وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها ، فتفرق أمرهم ، فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وبنو غبشان من خزاعة ذلك أجتمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة في

---

[*] وهم بنو عبد مناف وبنو عبد الدار وبنو عبد العزى ، ابناء قصي وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مره وبنو مخزوم وبنو سهم وجمح ابناء عمرو بن هصيص وبنو عدي بن كعب وبنو حسل بن عامر بن لؤي وبنو هلال بن اهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر وبنو هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر .

ينظر : ابن حبيب ، المحبر ، تحقيق : د. ايلزه ليختن شتيتر . دار الافاق الجديدة (بيروت ، ١٣٦١هـ) ، ص١٦٧-١٦٨ .

[**] وهم بنو معيص بن عامر بن لؤي ، وبنو تيم الادرم بن غالب بن فهر وبنو محارب والحارث ابناء فهر . ينظر : ابن حبيب ، المحبر ، ص١٦٨ .

[١] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ،ج ١، ص٧٠ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ٢، ص٥٨ الفاسي ، شفاء الغرام ،ج٢، ص٧٢ .

ظروف غامضة) [١] ثم استولت خزاعة على ولاية البيت ومكة وقد توارثوا حكمها وكان آخرهم حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمر الخزاعي [٢] وبعد ذلك تمكن قصي بن كلاب من انتزاع ولاية البيت من خزاعة والسيادة على مكة [٣] .

وروى الازرقي ان خزاعة ابت ان تتنازل عن سيادتها في مكة مما ادى الى الحرب بينهم وبين قصي [٤] بينما يذكر البلاذري (ان قصيا لم يخرج الى محاربة خزاعة ، لان رزاح لما ورد الى مكة اذعنت لقصي وهابت حربه) [٥] وبعد ان تسلم قصي بن كلاب ولاية البيت ، أبقى خزاعة في مكة ، ولم يعمل على إخراجهم منها [٦] .

عمل قصي على توزيع الوظائف التي فيها الذكر والشرف والعز بين بنيه[٧] ، ثم أقر ال صفوان وعدوان والنساة ومرة بن عوف على ما كانوا عليه [٨] ثم بدأ قصي يرسم الحياة السياسية في مكة من خلال أظهار عدد من الوظائف ذات الطابع السياسي ، ومن هذه الوظائف :

أولاً :دار الندوة

وهي الدار التي استحدثها قصي بن كلاب قرب المسجد الحرام وسميت بدار الندوة لانهم كانوا يندون اليها للتشاور [٩] والندوة الجماعة ، فدار الندوة تعني دار

---

[١] السيرة النبوية ، ج١،ص١١٩-١٢١ ؛ الازرقي ، أخبار مكة ، ج١، ص٩٠-٩٥ .

[٢] السهيلي ، الروض الانف ،ج ٢، ص٢٧ .

[٣] المصدر نفسه ، ج، ص٣٢ .

[٤] اخبار مكة ، ج١، ص٧٦ .

[٥] انساب الاشراف ،ج ١، ص٥٠ .

[٦] الازرقي ، اخبار مكة ، ج١، ص٧٦ . بينما يذكر الطبري (ان خزاعة أخذتها العزة حتى كادت تفنيهم فلما رأت ذلك جلت عن مكة) ، تاريخ ، ٢، ص٢٥٦ .

[٧] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٣١ .

[٨] الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص٨٠ .

[٩] الاصفهاني ، الاغاني ، ج٤، ص٣٨٤ ؛ الثعالبي ، عبد الملك بن محمد (ت: ٤٢٩هـ) ، ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، (القاهرة ، ١٩٠٨م) ، ص٤١٠ .

دار الجماعة [١] وأهم خصائص دار الندوة أنها كانت بمثابة دار الحكومة التي تدار منها أمور مكة إذ يجتمع فيها الملأ من قريش للتشاور في أمور القبيلة [٢] فكانت قريش لا تقضي أمرا إلا في هذه الدار [٣] وكانت القوافل التجارية تنطلق منها وترجع فتنزل في فنائها [٤] .

ولم يكن يدخل هذه الدار من غير ابناء قصي الا ابن أربعين سنة [٥] في حين يدخلها ابناء قصي كلهم وحلفاؤهم [٦] .

وكانت ملكية دار الندوة الى بني عبد الدار بن قصي [٧] وكانت حكومة مكة مكة متمثلة بالملأ الذين كانوا ينظرون في الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية بحسب قانون الأعراف القبلية والعادات والتقاليد ، إذ لم يكن لديهم قانون مكتوب فضلاً عن حل النزاعات التي تنشأ بين اهل مكة ، إذ تحل حلا سلميا .

وقوة حكومة هذه الدار تقترن بقوة زعماء مكة ومكانتهم الاجتماعية الذين اخذوا على عاتقهم مهمة إقرار الامن وحماية الحقوق وضمان حماية الوافدين الى مكة من الحجاج والتجار [٨] .

ثانياً: الحجابة :

---

[١] ابن دريد ، الاشتقاق ، ص١٥٥ ؛ الالوسي ، محمود شكري ، بلوغ الأرب في معرفة احوال احوال العرب ،ج ١، ص٢٧٢ .

[٢] ابن هشام ، السيرة النبوية ،ج١، ص١٣٠ .

[٣] العلي ، صالح احمد ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص١١٠ .

[٤] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١، ص٧٠ .

[٥] الازرقي ، اخبار مكة ، ج١، ص٧٩ ؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، ص١٥٥ .

[٦] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١، ص١٣٠ ؛ الازرقي ، اخبار مكة ، ج١، ص٧٩ ؛ ابن بكار ، ابو عبد الله الزبير ، (ت: ٢٥٦هـ) ، جمهرة نسب قريش واخبارها ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار العروبة ، (القاهرة ، ١٩٦١م) ، ص٣٥٤ .

[٧] الزبيري ، نسب قريش ، ص٢٥٤ ؛ الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص٢٦٠ .

[٨] الشريف ، مكة والمدينة ، ص١١٤ .

الحجابة والسدانة مصطلحان مترادفان والحاجب يحجب وأذنه لغيره والسادن يحجب وأذنه لنفسه[1] وتعد هذه الوظيفة من أقدم الوظائف في مكة إذ يرجع تاريخها إلى أيام إسماعيل (عليه السلام) [2] .

وعلى الرغم من انتقال السيادة في مكة الى قبيلة جرهم الا ان أمر الكعبة بقي بيد ذرية إسماعيل (عليه السلام) [3] ثم تولاها قصي بن كلاب بعد ان أصبحت السيادة له في مكة ، ثم جعلها لابنه عبد الدار ثم انتقلت الى عثمان بن عبد الدار ثم إلى عبد العزى بن عثمان ، وعندما جاء الإسلام كانت الحجابة بيد عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار [4] وقد اقرها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد ان الغى وظائف مكة [5] .

ثالثا :الرفـادة :

والرفادة ، العطاء والصلة والاعانة [6] يعني ما تخرجه قريش من أموالها في موسم الحج من كل عام لتدفعه الى قصي ليعد به طعاما للحجيج [7] وتعود هذه الوظيفية الى أيام خزاعة إذ كان زعيمها عمرو بن لحي الخزاعي اول من اطعم الحاج بمكة وأقام موائد الطعام ، وقد ذكره ابن كثير قائلا (انه ربما ذبح ايام الحجيج عشرة آلاف بدنة ، وكسى عشرة الاف حلة في كل سنة وكان يطعم العرب وليس لهم الحيس بالسمن والعسل ولهم السويق) [8] .

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (حجب) ، مادة (سدن) .

[2] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١، ص١٩٠ .

[3] المصدر نفسه ، ص١٩٤ .

[4] الكلبي ، جمهرة النسب ، ص٦٤ ؛ الزبيري ، نسب قريش ، ص٢٥١-٢٥٣ .

[5] الزبيري ، نسب قريش ، ص٢٥٢ .

[6] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (رفد) .

[7] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٣٧ .

[8] البداية والنهاية ، ج٢، ص١٨٧ .

والرفادة وظيفة رسمية منذ ايام قصي بن كلاب ، ثم انتقلت الى ولده عبد مناف [1] ، ثم هشام بن عبد مناف ، الذي كان يطعم الناس في مواسم الحج بما

يجتمع عنده من الأموال المخصصة لذلك [2].

رابعاً : السقاية:

السقاية توفير ماء الشرب للحجيج وقد تولاها قصي بنفسه ، إذ كان يصنع حياضا من ادم بفناء الكعبة ويحمل إليها الماء من الآبار محملا على الابل[3] .

وكانت مهمة السقاية صعبة جدا لاعتماد اهل مكة على الابار الموجودة خارج الحرم [4] ، وهذا ما دعا قصي بن كلاب الى حفر عدد من الآبار في مكة لتسهيل مهمة السقاية [5] ، ولم تكن هذه الوظيفة قد استحدثها قصي بن كلاب وانما يرجع تاريخ هذه الوظيفة الى ايام خزاعة ، إذ كانوا يعملون على توفير الماء للحجاج [6] ، وقد عمل قصي بن كلاب على إسناد هذه الوظيفة الى ابنه عبد مناف الذي كان يحمل الماء على الإبل في المزاود والقرب ثم يسكبه بفناء الكعبة فيشرب منه الحجيج [7] ، ثم انتقلت الى ولده هاشم [8] ، ثم الى عبد المطلب

---

[1] الازرقي ، اخبار مكة ، ج١، ص ٨٣ .

[2] الكلبي ، جمهرة النسب ، ص٢٦ ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ،ج ١، ص١٤٣ ؛ اليعقوبي اليعقوبي تاريخ اليعقوبي ، ج١، ص٢٠٧ ؛ الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص٢٥١-٢٥٢ .

[3] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ،ج١، ص٧٣ .

[4] الازرقي ، اخبار مكة ، ج١، ص٨٣ .

[5] المصدر نفسه ، ج١، ص٨٣ .

[6] الشريف ، مكة والمدينة ، ص١١٧ .

[7] الازرقي ، اخبار مكة ،ج١، ص٨٣ .

[8] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١، ص١٥٦.

الذي حفر بئر زمزم وكان يخلط ماء زمزم بلبن إبله وينبذ فيه كذلك العسل والزبيب [١] ، وبعد عبد المطلب انتقلت السقاية الى ابنه ابي طالب ، ثم الى العباس بن عبد المطلب [٢] الذي كان يلقب بساقي الحجيج [٣] .

عناصر المجتمع المكي :

أولاً:العرب:

كان النظام الاجتماعي لسكان مكة هو النظام القبلي [٤] ، وتعد قبيلة قريش القبيلة الاساسية فيها في منتصف القرن الخامس الميلادي [٥] ، فأبناء هذه القبيلة الصرحاء هم الشريحة الأولى في التسلسل الاجتماعي للسكان ، ثم يأتي بعدهم من العرب من كانت لهم علاقات معها سواء عن طريق الاحلاف أو الولاء ، وتقسم قريش على قسمين :

أ. قريش الصرحاء :

وهم أبناء القبيلة الذين تربهم رابطة الدم والنسب المشترك ، فهم ابناء فهر بن مالك ، الذي تنسب اليه بطون قريش ، وهذه القبيلة تنقسم على قسمين رئيسين بحسب مساكنهم في مكة وهم قريش البطاح [٦] ، وقريش الظواهر [٧]

---

[١] الازرقي ، اخبار مكة ، ج١، ص٨٢ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١، ص٨٣-٨٥ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١، ص٢١٦-٢١٨ .

[٢] الازرقي ، المصدر نفسه ، ج١، ص٨٢ ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ،ج ١، ص٥٧ ابن ظهيرة الجامع اللطيف ، ص١٦ .

[٣] الثعالبي ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ص٥٤٣ .

[٤] ابن هشام ،السيرة النبوية ،ج١،ص١١٩.

[٥] سيديو : خلاصة تاريخ العرب ، ص٣٤ ؛ الشريف ، مكة والمدينة ، ص١٩٤ .

[٦] ابن حبيب ، المحبر ، ص١٦٧-١٦٨ .

[٧] المصدر نفسه ، ص١٦٨ ، المنمق ، ص٨٤ .

.وكانت المنزلة الاجتماعية لقريش البطاح على درجة كبيرة من الأهمية إذ استأثرت بالسيادة على مكة وتولي المناصب الدينية والإدارية [١] .

ويشير واط إلى ان قصي هو الذي ميز بين قريش البطاح (أولئك الذين يعيشون حول الكعبة مباشرة) وقريش الظواهر (وهم الذين يعيشون في الضواحي) [٢]

كما ان الاستقرار والغنى الذي تمتع به أبناء قريش البطاح وتسلمها منصة الحكم في مكة ، قد ميزها من البطون القريشية الأخرى . إذ تمتعت قريش بنوع من الأمن والاستقرار الذي لم يتوفر لغيرها من القبائل العربية الأخرى وذلك بسبب وجودها في حرم امن بجوار بيت الله الحرام ، إذ سلمت من الغارات والغزوات التي كانت تحدث بين القبائل [٣] . فضلاً عن حرص القبيلة على حل نزاعاتها سلميا فلم فلم يحصل بين أبنائها نزاعات دموية [٤] .

وكان أبناء القبيلة يهبون لتلبية نداء القبيلة والتضامن معها ظالمة او مظلومة قال الشاعر :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم   للنائبات على ما قال برهانا [٥]

ب.الاحلاف : والقبيلة تمنح إفرادها حق الإجارة ، فإذا أجار احد أفراد القبيلة شخصا ما كان على القبيلة بأكملها حماية ذلك الشخص ، وبالمقابل كانت القبيلة لا تبيح لإفرادها الخروج على العرف والتقاليد [١] .

---

[١] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج ٣، ص٣٣٥-٣٣٦ ، الالوسي : بلوغ الارب ،ج ١ ص٢٤٩-٢٥٠ .

[٢] مونتجمري واط ، محمد في مكة ، ترجمة عبد الرحمن الشيخ ، حسين عيسى ، مراجعة أحمد شلبي ، الهيئة المصرية للكتاب ، (مصر ، ٢٠٠٢) ، ص٥٤ .

[٣] عوض الله ، مكة في عصر ما قبل الإسلام ، ص١٥٤ .

[٤] الشريف ، مكة والمدينة ، ص٢٢٥ .

[٥] المرزوقي : ابو علي احمد بن محمد (ت: ٤٢١هـ) شرح ديوان الحماسة ، ط٢ ، نشره : احمد امين وعبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ١٩٦٧) ،ج ١، ص٢٩ .

عملت قريش على توسيع سلطتها وارتضتنوعاً من الحكم متمثلاً بالملأ عماء القبائل والبطون ، لتقضي بين القبائل في خلافاتهم ، بل تعدت ذلك الى استحداث وظائف جديدة لغرض أرضاء القبائل التي أخذت تنافس أبناء قصي على ما بأيديهم من الوظائف الدينية والإدارية [٢] .

ثانياً: العبيد:

عاشت في مكة الى جانب قريش وحلفائها أعداد كبيرة من العبيد نتيجة حاجة أهل مكة اليهم ، نظرا إلى كثرة أعمالهم التجارية وحاجتهم الى من يقوم بخدمتهم فضلاً عن حاجتهم إلى من يرعى الماشية او القيام بزراعة الأراضي ولاسيما تلك المقاطعات التي كان يمتلكها بعضهم في الطائف [٣] .وكانت تجارة العبيد مهنة رئيسة لبعض سادات قريش [٤] .

والعبيد في مكة يعيشون مع أسيادهم يمثلون مواطنين من الدرجة الثانية [٥] ، الا انهم كانوا محرومين من الامتيازات كافة ، فضلاً عّما كانت توكل إليهم من أعمال شاقة من تلك التي يأنف منها رجال قريش [٦] وكان من سنة اهل مكة اذا رقي احد عبيدهم على ظهر الكعبة فهو حر [٧] .

ثالثاً : الأجانب :

---

[١] سالم ، السيد عبد العزيز ، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، مطابع دار لبنان للطباعة والنشر ، (بيروت ، د.ت) ، ص٢٨٣ .

[٢] ابن دريد ، الاشتقاق ، ص٢٨٢ .

[٣] الشريف ، مكة والمدينة ، ص٢٢٨ .

[٤] ابن قتيبة ، المعارف ، ص٥٧٦ .

[٥] الملاح ، دولة المدينة ، ص٦٦ .

[٦] عوض الله ، مكة في عصر قبل الإسلام ، ص١٥٧ .

[٧] ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص٥٨ .

سكنت الى جانب سكان مكة جماعات أجنبية من أصول مختلفة فكانوا من بلاد العرب والروم والأقباط والحبشة وكان قدومهم الى مكة لعوامل متعددة منها ، الرق إذ ان كثيراً من هؤلاء الأجانب كانوا مملوكين لأهالي مكة [1] .

ومنهم من جاء الى مكة لغرض التجارة وقد اقام هؤلاء في مكة وتحالفوا مع اثرياء مكة ، وقد افاد اهل مكة من خبرات الأجانب . إذ كان بعضهم اصحاب الصناعات والحرف ، وقد عملوا لحساب اهل مكة او لحسابهم الخاص [2] متى وصل بعضهم الى درجات اجتماعية مرموقة في مجتمع مكة حتى كان يسمح لبعضهم بدخول دار الندوة [3] .

طبقات المجتمع المكي :

أولاً :الأغنياء:

تتكون هذه الطبقة من كبار التجار والمرابين وأصحاب المزارع ، وكثيرا ما كان الواحد منهم يجمع ما بين عدة أنشطة اقتصادية [4] .

ويشكل هؤلاء فئة قليلة من أبناء المجتمع المكي قياسا الى بقية الطبقات ومن بين هؤلاء يتكون ملأ مكة ، فهم يمثلون الطبقة ذات السيادة في مكة من الذين تربطهم مصالح مشتركة [5] وقد اشتهرت بعض الاسر المكية بامتلاك الثروات الطائلة ، ولاسيما بنى مخزوم وبني امية ، فقد كان أبو احيحة سعيد بن العاص بن امية [6] قد ساهم بمبلغ ثلاثين الف دينار في القافلة التي تولى

---

[1] الخربوطلي ، تاريخ الكعبة ، ص٥٩

[2] عوض الله ، مكة في عصر ما قبل الإسلام ، ص١٥٩ .

[3] العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص١٠٨ .

[4] عبد الكريم ، قريش ، ص٣٠٠ .

[5] صالح : اليمين واليسار ، ص٢٤ .

[6] الكلبي ، جمهرة النسب ، ص٢٤ .

قيادتها ابو سفيان [١]. وكان من اغنياء قريش ابو ربيعة بن المغيرة المخزومي الذي كان يكسو الكعبة وحده في عام . وجميع قريش في العام الاخر ، يسمى العدل لانه كان يعدل قريش في كساء الكعبة [٢] .

ثانياً : طبقة العامة :

يقصد بها عامة الناس ، وتتألف من التجار الصغار وأهل الحرف وأصحاب الماشية وقد ظهرت هذه الطبقة نتيجة للتطور الاجتماعي .

فأما صغار التجار فهم الذين يساهمون في رؤوس أموال بسيطة في إحدى القوافل ، وهم اشبه بصغار المساهمين في شركات المساهمة المعروفة اليوم [٣] وكان معظم أهل مكة يساهمون في تلك القوافل كل حسب استطاعته [٤] .

امتهن كثير من اهل مكة الحرف والصناعات المحلية ، منها صناعة الاسلحة ، إذ كان سعد بن ابي وقاص يبري النبل وكان الوليد بن المغيرة حدادا وأمية بن خلف يبيع البرم [٥] ، أي الأواني المصنوعة من الحجر .

ثالثاً : طبقة الفقراء والمعدمين:

وهم الذين لا يمتلكون الا قوت عملهم فهم يعملون بالأجرة اليومية لدى غيرهم ، اما في حراسة القوافل وإدارتها او غيرها من الإعمال التي يؤجر عليها صاحبها [٦] .

---

[١] الواقدي : المغازي ، ج١، ص٢٧ ؛ علي ، المفصل ، ج٤، ص٦٠٩ ؛ الشريف مكة والمدينة ، ص٤٤ .

[٢] الازرقي : اخبار مكة ،ج ١، ص٢٥ .

[٣] المصدر نفسه ، ص٢٥ .

[٤] علي ، المفصل ، ج٧، ص٢٨٩ .

[٥] ابن قتيبة ، المعارف ، ص٥٧٦ ؛ سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام ، ص٣١٣ .

[٦] سالم ، المرجع نفسه ، ص٢٦ .

واغلب هؤلاء كانوا في ضنك من العيش ، إذ تصل بهم الحال الى الاعتزال في مكان ما للموت جوعا وهذا ما كان يسمى (الاعتفار او الاعتفاد) [1]

وقد وقف عدد من سادة قريش بوجه هذه الظاهرة وعملوا على القضاء عليها وكان في مقدمتهم هاشم بن عبد مناف ، الذي هشم الثريد ونحر الابل فاطعم فقراء قومه في مائدة كبيرة [2] ، وفيه قال الشاعر :

عمرو العلى هشم الثريد لقومه   ورجال مكة مسنتون عجاف[3]

وكان عبد الله بن جدعان ، يعمل على اطعام الفقراء من أبناء قومه [4] . اما حكيم بن جزام ، فقد اعتاد على توزيع جزء من ارباح قوافله على فقراء قومه[5] .

القبيلة ونظامها :

أولاً: القبيلة:

أ-يمكن تعريف القبيلة بأنها الجماعة من اب واحد[6] ، أو مجموعة من الأفراد ينتمون الى أصل واحد مشترك [1] فهم ينحدرون من جد واحد وتتكون

---

(1) علي ، المفصل ، ج٥، ص٨٠ ؛ مهران ، محمد بيومي ، الحضارة العربية القديمة (الاسكندرية ، ١٩٨٨م) ، ص١٠٠ ؛ عبد الكريم ، قريش ، ص٣٤٤ .

(2) الكلبي ، جمهرة النسب ، ص٢٦ ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ج ١، ص١٤٣-١٤٤ ابن حبيب المنمق ، ص١٠٣ ؛ الازرقي ، أخبار مكة ج١، ص١١٢،١١١ ؛ البلاذري انساب الاشراف ، ١، ص٨٥ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١، ص٢١٣-٢١٥ الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص٢٥٢ .

(3) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١، ص١٤٣ ؛ ابن حبيب ، المنمق ، ص١٠٣ ؛ اليعقوبي تاريخ اليعقوبي ، ج٢، ص٢١٤ .

(4) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢، ص٢١٧ ؛ الفاسي ، شفاء الغرام ، ج٢، ص١٠٥ علي المفصل ، ج٤، ص٩٦-٩٩ .

(5) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش واخبارها ، ص٣٦٧ .

(6) ابن منظور ، لسان العرب ،ج٧، مادة (قبل).

القبيلة متن مجموعة من العشائر مرتبطة بعضها مع بعض بنسب واحد [٢] وكان تنظيم العرب الاجتماعي هو التنظيم القبلي أي ان القبيلة هي الوحدة الاجتماعية والسياسية [٣] .

وكانت القبيلة تقسم إلى (الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة) فمضر شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة [٤] وهذه التقسيمات ليست ثابتة فالقبيلة في حالة تغير فهي قد تتجزأ الى عشائر وبطون نتيجة للتوسع الذي يحصل فيها [٥] .

ب-مجلس القبيلة:

لم يكن في مكة بعد قصي بن كلاب من تولى زعامة القبيلة اذ ان زعامتها كانت بيد الملأ وهم اعيان القبيلة ، وكانوا يجتمعون في دار الندوة التي أنشأها قصي بن كلاب [٦] وكانت قرارات مجلس القبيلة تتخذ باغلبية الاصوات [٧] وكانت سلطة الفرد من زعماء مكة تعتمد على الاحترام الذي يحصل عليه من ابناء قومه[٨] .

ج-العصبية القبلية:

---

[١] حتى ، فليب واخرون ، تاريخ العرب مطول ، ج١، ص٣٤ ؛ علي ، المفصل ، ج١ ص٣٦٥ .

[٢] علي ، المفصل ، ج٤، ص٣١٣ .

[٣] عبد الكريم ، قريش من القبيلة ، ص٢٩١ .

[٤] السمعاني ، ابو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت: ٥٦٢هـ) ، الانساب ط١ ، تصحيح وتعليق : الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، المعارف العثمانية حيدر اباد ،ط١(الهند ، ١٩٦٢م) ، ج١، ص١٨ .

[٥] العلي ، محاضرات ، ص١٥٤ .

[٦] الاصفهاني ، الاغاني ،ج ٤، ص٣٨٤ (الحاشية) ؛ صالح ، احمد عباس ، اليمين واليسار في الاسلام ، ص٢٥ ؛ الملاح ، دولة المدينة ، ص٧٠ .

[٧] الملاح ، دولة المدينة ، ص٧٠-٧١.

[٨] واط ، محمد في مكة ، ص٦٢ .

تعد العصبية القبيلة من الروابط الاجتماعية المتينة بين افراد القبيلة الواحدة والتعصب بين افراد القبيلة لا يدوم على وتيرة واحدة وانما يتأثر بعوامل اخرى ، تكون المصلحة الشخصية في مقدمتها [١] . والعصبية القبلية يعني التضامن بين ابناء القبيلة الواحدة على الحق والباطل وعلى فق المبدأ القائل : (أنصر أخاك ظالما أو مظلوما) [٢] .

ثانياً: الاسرة

تعد الاسرة نواة البنية الاجتماعية للقبيلة وتقوم على اساس النظام الأبوي الذي يتمتع فيه رب الاسرة بنفوذ واسع في العائلة [٣] .

وقد كان للمرأة دور كبير ومكانة اجتماعية عالية في الأسرة والمجتمع العربي في عصر ما قبل الإسلام [٤]

ومما يدل على علو مكانتها ان هناك عددا من الملوك قد انتسبوا الى أمهاتهم أمثال المنذر بن ماء السماء وعمرو بن هند [٥] . كما نجد اعتزاز الشعراء الشعراء العرب بالمرأة من خلال ذكرها في قصائدهم [٦] . وكان اشد ما يهان به

---

[١] عبد الرحمن ، هاشم يونس ، المثل والقيم الخلقية عند عرب ما قبل الاسلام وعصر الرسالة ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى جامعة الموصل ، كلية الاداب (الموصل ، ١٩٨٧)م ، ص١٥٠ .

[٢] جمعة ، إبراهيم ، مذكرات في تاريخ العرب ، ص٣٨-٣٩ .

[٣] الهاشمي ، احمد ، جواهر الادب في ادبيات وانشاء العرب ، مطبعة السعادة ، (مصر ١٩٦٠م) ،ج ٢، ص٧-٨ .

[٤] العقاد ، عباس محمود ، المرأة في القرآن (بيروت ن١٩٦٧م) ، ص٦٣.

[٥] ابن قتيبة ، المعارف ، ص٤٦٨ ؛ الطبري ، تاريخ ، ج ٢، ص١٠٤ ؛ الاصفهاني حمزة بن الحسن ، (ت: ٣٦٠هـ) ، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ط٣ ، مطبعة مكتبة الحياة ، (بيروت ، ١٩٦١م) ، ص٩١-٩٣ .

[٦] الجاحظ ، البيان والتبين ،ج ٣، ص١٠٧ ؛ الاصفهاني ، الاغاني ،ج ٣، ص٨٢ ، ٢٠٥،٢٣٥ الجبوري ، يحيى ، لبيد بن ربيعة العامري ، (بيروت ، ١٩٧٠م) ،

العربي ان يقال له (لا ام لك – أي لا شريفة لك) [1] . وهناك عدد من رجال قريش قد أنتسبوا الى أمهاتهم ، فينسب ابناء قيس بن عدي السهمي الى أمهم الغيطلة الكاهنة فيقال لهم الغياطلة [2] .وكانت خالدة بنت هاشم بني عبد مناف تسمى قبة الديباج لمكانتها بين قومها[3] .

واذا ولدت لاحدهم فتاة يقولون له : هنيئا لك النافجة [*] . وعندما تبلغ الفتاة سن الزواج يذهبون بها الى دار الندوة ، فيقوم احد ابناء عبد الدار بشق قميصها ثم يدرعها اياه فتنقلب الى اهلها فيحجبوها ، وكان عامر بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار يسمى (محيضا) لانه يقوم بهذه العملية [4] . ولعل الغرض من هذا الاجراء هو الاعلان لاهل مكة بان الفتاة قد أصبحت في سن الزواج .

وكانت حرائر النساء تابى كشف وجوهها امام الناس [5] . ولا يتم كشف وجوههن الا لأمر خطير ، وكما قال الشاعر :

ونسوتكم في الروع باد وجوهها　　　　يخلن اماء والاماء حرائر [1]

ص٣٤٨-٣٦٨ ؛ ابن الورد ، عروة ، ديوان عروة بن الورد ، تحقيق : كرم البستاني ، مكتبة صادر (بيروت ، ١٩٥٣م) ، ص٣٦،٣٥،٣٤،٣٣ .

[1] البستاني ، كرم ، النساء العربيات ، (بيروت ، ١٩٦٤م) ، ص٧٤ .

[2] الكلبي ، جمهرة النسب ، ص١٠١ ؛ العطار ، بلوغ الأرب في مآثر العرب ، ص١٨٤.

[3] الكلبي ، المصدر نفسه ، ص٦٩ .

[*] النافجة : تطلق هذه التسمية على الابل التي يرثها الرجل فتكثر بها ابله والنافجة المرأة المعظمة لمالك مهرها ، ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (نفج) ؛ الحوفي ، احمد محمد ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ط ٣ ، دار النهضة ،(مصر ، ١٩٨٠م) ، ص١٩٠.

[4] الازرقي ، اخبار مكة ،ج ١، ص١١٠ .

[5] رشدي ،محمد ، مدنية العرب في الجاهلية والاسلام ، مطبعة السعادة ، (مصر ١٩١١م) ص٦٠ .

وشاركت النساء في الحياة الاقتصادية في مكة وكن ممن يمتلكن رؤوس اموال يعملن بها في التجارة ، منهم السيدة خديجة بنت خويلد التي تستاجر الرجال في مالها [٢] ، والحنظلية ام ابي جهل [٣] .

أما في البيوت فكانت المرأة تقوم بطهي الطعام واعداده لزوجها وحلب الأغنام كما تقوم بغزل الصوف ونسجه ودبغ الجلود [٤] .

وفي حالة الحرب فان نساء مكة كن يخرجن مع أزواجهن لتشجيعهم على القتال وإثارة حماسهم من خلال إطلاق الاهازيج والقصائد الحماسية [٥] . وربما يتعدى ذلك الى رفع اللواء في أثناء المعركة عندما تقتضي الضرورة ذلك [٦] .

وكان الزوج يمثل كل شيء في حياة الزوجة ، فكانت ترعاه وتخاف عليه من القتل فإذا مات أو قتل ناحت عليه وحزنت اكثر من حزنها على اقرب الناس

---

[١] البغدادي ، عبد القادر بن عمر ، (ت: ١٠٩٣هـ) ، خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ط٢ ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ،(القاهرة ، ١٩٨٨م) ٩، ص٥٠٣ .

[٢] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١، ص١٩٩ .

[٣] الاصفهاني ، الاغاني ، ج١، ص٦٥،٦٤ .

[٤] عوض الله ، مكة في عصر ما قبل الإسلام ، ص١٦٨ .

[٥] الطبري ، تاريخ ،ج ٢، ص٥٠١ .

[٦] المصدر نفسه ، ص٥١٣ .

إليها [١] . وقد بالغ بعض رجال قريش في حبهم لبناتهم مثل الزبير بن عبد المطلب [٢] .

ثالثاً : طقوس الزواج في مكة :

الزواج :

يعد الزواج من اقوى الروابط الاجتماعية التي تؤدي الى التقارب بين الاسر والقبائل ، فلا تقل رابطة الفرد مع أخواله عن رابطته مع أعمامه [٣] ، وكانوا يهتمون بعملية اختيار الزوجة على ان تكون جديرة للزوج ومن النجيبات اللواتي يتوافر فيهن عنصر الجمال والصفات الحميدة الاخرى [٤] وكان القرشي يفضل القرشية خلاف المأثور من ذم الزواج من الأقارب [٥] .

وقد حرموا كل نكاح يقع بين المحارم الا امرأة الأب والجمع بين الأختين كما ان التحريم لم يشمل الأبناء الحقيقيين فقط ، وانما تعدى ذلك الى حالات التبني[٦] .

أ-الخطبة

اهتم المكيون بعملية اختيار الزوجة ومواصفاتها وكانوا يخطبون المرأة من أبيها أو أخيها او بعض بني عمها ، على ان يراعي الخطيب مستوى خطيبته من الحسب والنسب [٧] .

---

[١] الواقدي ، المغازي ،ج ١، ص٢٩١ .

[٢] القالي ، الامالي ، دار الكتب العربي ،(بيروت ، د، ت) ، ج٢، ص١١٦ ؛ مهران الحضارة العربية القديمة ، ص٩٨ .

[٣] ابن حبيب ، المنمق ص٨٥-٨٦ ؛ البلاذري ، انساب الأشراف ، ص٦٩-٧٠ ؛ الطبري تاريخ ،ج ٢، ص٢٥٠-٢٥١ .

[٤] العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص١٤٢ .

[٥] خان ، محمد عبد المعيد ، الأساطير العربية قبل الإسلام ، (القاهرة ، ١٩٣٧م) ص٦٤.

[٦] الطبري ، مجمع البيان ،ج ٤، ص٣٢٣ .

[٧] ابن حبيب ، المحبر ، ص١١٣ ، مهران ، الحضارة العربية ، ص٣٨ .

وقد كان لام الفتاة الرأي الواضح في تزويج ابنتها يستشيرها الاب وتشير عليه ، وتأخذ البنت برأي امها [١] .

وكان للفتاة الحرية الكاملة في اختيار الزوج والموافقة على الزواج ، فقد تقدم إلى خطبة هند بنت عتبة ابو سفيان وسهيل بن عمرو ، فخيرها ابوها بين الاثنين فاختارت ابا سفيان فزوجها منه [٢] .

وكان لابن عم الفتاة الافضلية على غيره في الزواج من ابنة عمه ، وقد تجبر على الزواج منه [٣] .

ب-المهر والصداق :

المهر هو العوض الذي يدفعه الرجل لأهل المرأة [٤] ، وكان أصل المهر يدفع للمرأة الا ان ولي أمرها يأخذه ويشتري ما يجهز به المرأة عندما تذهب الى بيت عريسها ، وفي بعض الحالات يأخذ المهر ولي أمرها لنفسه ولا يعطيها منه شيئا [٥] ، وقد نهى الإسلام عن ذلك بقوله تعالى (واتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا) [٦] .

وقد يسمى المهر أحياناً الحلوان ، وكان اخذ الحلوان ما تعير به العرب [٧] الا اننا نجد ان هناك رجالا يعطون المهر الى بناتهم بل ويزيدون عليه من أموالهم الخاصة إكراماً لبناتهم [٨] .

---

[١] الاصفهاني ، الاغاني ،ج ٩، ص١٤٢ ؛ مهران الحضارة العربية ، ص٣٣ .

[٢] ابن حبيب ، المحبر ، ص٤٣٧ ؛ مهران.

[٣] علي ، المفصل ،ج ٥، ص٥٢٧ ؛ مهران ، المرجع نفسه ص٣٤ .

[٤] الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص١٩٠.

[٥] علي ، المفصل ،ج ٥، ص٥٣١ .

[٦] سورة النساء ، الآية ، ٤ ؛ ينظر الطبري ، جامع البيان ،ج ٤، ص٢٤١-٢٤٣ .

[٧] الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص١٩١ ؛ مهران ، الحضارة العربية ، ص٣٥ .

[٨] علي ، المفصل ،ج ٥، ص٥٣٢ .

رابعاً : الطعام والشراب:

١. الطعام:

الطعام اسم جامع لكل ما يؤكل ، واشهر وجبات الطعام عند العرب الغداء والعشاء [١] ، وقد اعتادوا تعجيل وجبة الغذاء وتأخير العشاء [٢] وكانوا يطلقون (الصبوح) على وجبة الفطور [٣] وذلك لتناولها صباحا .

ويعد الطعام من ابرز مظاهر الحياة اليومية في مكة ، ويمكننا التعرف من خلاله على مستوى المعيشة لاهل مكة .

وقد اعتاد المكيون على إقامة الولائم الكبيرة للحجاج الذين يفدون الى مكة لغرض الحج والعمرة في كل عام ، وهذا ما يطلق عليه (الرفادة) [٤] التي كانت مساهمة جماعية من أهل مكة يدفع كل شخص منهم مقدارا من المال بحسب إمكانيته المالية .

واشتهرت مكة بعدد من الاكلات كان أبرزها السخينة : وهي احد انواع الطعام تتخذ من الدقيق ، وهي دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء ، وقد استعملها القرشيون في سنوات الشدة وغلاء الاسعار ، ولاسيما الفقراء ، وقد هجيت قريش بالسخينة حتى لقبت بها [٥] قال خداش بن زهير :

ياشدة ما شددنا غير كاذبة   على سخينة لولا الليل والحرم [٦]

---

[١] علي ، المرجع نفسه ،ج ٥، ص٦٧ .

[٢] الالوسي ، بلوغ الارب ، ج١، ص٣٧١ ؛ علي ، المفصل ،ج ٥، ص٥٩ .

[٣] الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (صبح) .

[٤] ابن هشام ، السيرة النبوية ،ج ١، ص١٣٧-١٤٣ ؛ الازرقي ، اخبار مكة ، ج١ ص١٩٤-١٩٥ .

[٥] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سخن) ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، ج١، ص٣٨٢ ؛ علي علي ، المفصل ،ج٤، ص٥،٣٠، ص٦٦ .

[٦] الزبيري ، نسب قريش ، ص٣٠٠ ؛ ابن حبيب ، المنمق ، ص١٩٨ ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، ج١، ص١٠١ . الثعالبي ، لطائف المعارف ، تحقيق : ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي ، دار احياء الكتب العربية ، (القاهرة د، صت) ، ص١٠ .

اما الحريرة فهي قطع صغيرة من اللحم في ماء كثير يذر عليها الدقيق ، واذا كانت من دون اللحم فتسمى عصيدة ، وأول من عمل الحريرة في مكة سويد بن هرمي المخزومي : قال الشاعر لبني مخزوم :

وعلمتم أكل الحرير وانتم   أعلى عداة الدهر جد صلاب [١]

كما تعلم اهل مكة من الروم والفرس بعض أنواع الأطعمة ، وأشهرها الفالوذج ، وهو طعام يتكون من خلط العسل مع لباب البر (النشا) ، وأول من اطعم الفالوذج بمكة عبد الله بن جدعان الذي استعان بطباخين من الفرس لاعداده له [٢] .

ومن هذه الولائم النقيعة والعقيقة والعذيرة [٣] وكانت لهم عادات خاصة في تناول الطعام تبدأ بغسل الأيدي قبل الأكل وبعده ، واستعملوا المناديل لتنشيف أيديهم ، كما استخدموا الملاعق والسكاكين [٤] ، وكان الأغنياء منهم يعتمدون على الخدم من كلا الجنسين في طبخ الطعام وتقديمه لاسيادهم [٥] .

ب-الشراب:

عرفت بلاد العرب بشحة مياهها وقد اعتمد سكانها على مياه الآبار والأمطار ، لذلك يعد شرب الماء الصالح للشرب من المفاخر لديهم ، وقد افتخر احد شعرائهم :

ونشرب ان وردنا الماء صفوا   ويشرب غيرنا كدرا وطينا [٦]

---

[١] الحموي ، معجم البلدان ،ج ٥، ص١٨٥ .

[٢] الجاحظ ، البلدان ، قام بنشره : د. صالح احمد العلي ، مطبعة الحكومة ،(بغداد ١٩٧٠م) ، ص٤٦٨ ؛ الفاسي ، العقد الثمين ، ج١، ص١٥٢.

[٣] الالوسي ، بلوغ الارب ، ج١، ص٣٨٦ .

[٤] علي ، المفصل ، ج٥، ص٦٤ .

[٥] ابن حبيب ، المنمق ، ص٤٢٤ ؛ الفاسي ، العقد الثمين ، ج١، ص١٥٢ .

[٦] الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، ص١١٥ .

وفي مكة آبار كثيرة كان أشهرها بئر زمزم ، وكانت ملكية هذه الآبار تعود الى عشائر وأشخاص من اهل مكة [1] الا ان مياه الآبار كانت غير نقية مما حدا بأهالي مكة الى تحليتها من خلال نبذ التمر والزبيب في الماء ، وقد كانا متوفرين في مكة إذ كان الأغنياء من قريش يمتلكون بساتين ومزارع للكروم في الطائف [2] وكان بعض أهاليها يشربون الماء في الأواني المعروفة لديهم كالقدح والصحن والقعب [3] كما استعملوا الحب لحفظ المياه [4] .

أما الخمرة فقد كانت في مكة منتشرة بشكل كبير ، إذ كان يقبل على شربها أهل مكة إقبالاً شديدا ، وكانت لهم قوافل خاصة تأتي محملة بالخمور من بلاد الشام وغيرها [5] كما احتوت مكة على حوانيت خاصة لصناعة الخمر وبيعها أطلق عليها أصحابها (الخمارون) [6] .

خامساً: الألبسة والزينة:

استعمل اهل مكة أنواعاً كثيرة من الألبسة والزينة المعروفة في بلاد العرب آنذاك ، كما انهم قلدوا غيرهم كالروم والفرس في أنواع أخرى نتيجة الاحتكاك بهم عن طريق التجارة [7] .

فالأغنياء كانوا يلبسون افخر أنواع الملابس المصنوعة من الحرير وغيرها والمصنوعة من الخز والديباج والكتان والمطرزة بالذهب والفضة[8] ، وكان أكثر

---

[1] للمزيد من التفصيل عن ابار مكة ينظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ،ج ١، ص١٥٦-١٥٩ ؛ الازرقي ، اخبار مكة :ج ٢، ص٢١٤-٢٢٤ .

[2] الازرقي ، المصدر نفسه ،ج ١، ص١١٤ ، الطبري ، تاريخ ،ج ٢، ص٣٤٦ .

[3] الالوسي ، بلوغ الارب ،ج ١، ص٣٤٩ ؛ علي ، المفصل ،ج ٥، ص٧٧ .

[4] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (هرس) ؛ علي ، المرجع نفسه ، ج٥، ص٧٨ .

[5] ابن حبيب ، المنمق ، ص٥٦ .

[6] ابن حبيب ، المحبر ، ص١٧٣ .

[7] الالوسي ، بلوغ الارب ، ج١، ص٨٧ .

[8] المصدر نفسه ،ج ٣، ص٤٠٤ .

اهتمام أهل مكة بالعمائم فهي افخر ملابسهم لانها توضع على الرأس (فالعمائم تيجان العرب) [1] .

وكانوا يلبسون النعال ويفضلونها على الخف ، واشهرها النعال الحضرمية المصنوعة من جلود البقر المدبوغة [2] . وقد ورد في القرآن الكريم عدد من الآيات تشير الى أنواع اللباس والزينة[3] .

كما كانوا يخضبون ، وأول من خضب بالوسمة (السواد) عبد المطلب بن هاشم [4] وكانت لهم عناية خاصة بنظافة الأجسام [5] .

وكان لهم اهتمام واسع بالطيب والعطور وقد استعملوا الأنواع الفاخرة منها وقد كان من بين أهل مكة من اشتغل بتجارة العطور مثل ابو طالب بن عبد المطلب [6] .

وكانوا يكثرون من وضع المسك على رؤوسهم [7] ، وكان الأغنياء منهم يكثرون من التطيب بالعطور ذات الأثمان الغالية [1] ، اما النساء فكن اكثر استعمالا للعطور والطيب وفي الأشعار العربية ما يشير الى ذلك ، قال الشاعر :

---

[1] الجاحظ ، البيان والتبيين ، ط٥ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة المدني القاهرة ، ١٩٨٥م) ،ج ٢، ص٨٨ .

[2] الالوسي ، بلوغ الارب ، ج٣، ص٤١٤ ؛ علي ، المفصل ، ج٥، ص٤٨،٥٥،٥٦ .

[3] سورة النور ، الآية ٣١ ؛ سورة الحج ، الآية ٢٥ ؛ سورة الكهف ، الآية ٣١ ؛ سورة سبأ سبأ ، الآية ١٣ ؛ سورة الاحزاب ، الآية ٥٩ ؛ سورة طه ، الآية ١٣ ؛ سورة يوسف الآية ١٨ .

[4] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١، ص٨٦ ؛ ابن حبيب ، المنمق ، ص١٢٣ ؛ البلاذري انساب الاشراف ، ج١، ص٦٦ ؛ الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص١٢ .

[5] علي ، المفصل ، ج٥، ص٣٢ .

[6] ابن قتيبة ، المعارف ، ص٥٧٦ .

[7] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ،ج ١، ص٣٦ .

عبق العنبر والمسك بها فهي صفراء كعرجون العمر
وهي لو يعصر من ارانها عبق المسك لكادت تنعصر [٢]

سادسا: الغناء والموسيقى:

مكة حاضرة العرب ، لذا فانها سبقت غيرها من المدن العربية في الغناء وقد ساعد على تطور الغناء فيها عامل الثراء الذي تمتع به سادة مكة [٣] . فضلا عن كثرة مجالس الشعر فيها ، وحبهم لسماعه .

الحج وآثاره الاجتماعية:

أولا : الحج :

كان يتوافد إلى مكة عدد كبير من الزائرين والتجار في مواسم الحج لغرض الحج أولاً ولتبادل السلع التجارية ثانياً ، لذا يعد الحج من اهم تقاليد العرب قبل الإسلام ، فكانت له ارتباطات وثيقة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية عندهم ، إذ كانت الكعبة مكاناً مقدساً عند جميع القبائل العربية على اختلاف معتقداتهم [٤]

أ-الحمس:

التحمس وهو التشدد ... والاحمس هو المتشدد على نفسه في الدين[٥] . وقبائل الحمس هم قريش ومن ولدت قريش من سائر العرب من حلفائها وكل من نزل مكة من قبائل العرب كالأوس والخزرج وخزاعة وكنانة وثقيف وعامر ابن

---

[١] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ح١، ص١١٦ ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، ج٣، ص٤١٥ علي ، المفصل ، ج٥، ص٥٥-٥٦ .

[٢] المفضل الضبي ، ابو العباس المفضل بن محمد (ت:١٧١هـ) ، ديوان المفضليات ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، (ط٣ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٤م) ، ص٩٢ ؛ الحوفي ، الحياة العربية ، ص٢٩٥ .

[٣] السباعي ، تاريخ مكة ، ص٤٤ .

[٤] الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، ص١٩ .

[٥] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (حمس) .

صعصة ومدلج وعدوان والحارث بن عبد مناة خثعم وازد شنوءه وزبيد وبنو ذكوان من بنى سليم وعمرو اللات وغطفان والغوث [١] .

وكانت الحمس سكان الحرم وكانوا لا يخرجون أيام الموسم إلى عرفات إنما يقفون بالمزدلفة ويقولون (نحن أهل الله ولا نخرج من الحرم) ، وصارت بنو عامر من الحمس وليسوا من ساكني الحرم لأن أمهم قرشية [٢] واشهر قبائل الحمس قبيلة قريش ، اما بقية القبائل التي ذكرناها فإنها لم تكن في الأصل من الحمس ولكنها تحمست نتيجة تأثير قبيلة قريش فيها [٣] .

ولا يعرف الوقت الذي ظهر فيه نظام الحمس ، فقيل قبل عام الفيل او بعده [٤] ، وكانت قبائل حمس اذا حرموا (٠لم يسألوا سمنا ولم يطبخوا أبداً ولم يدخروا لبنا ولم يحولوا بين مرضعة ورضاعها حتى يعافه ولم يحركوا شعرا ولا ظفرا ولا يبتنون في حجهم شعرا ولا وبرا ولا صوفا ولا يأكلون لحما ولا يمسون دهنا ولا يلبسون الا جديدا ولا يطوفون بالبيت الا في حذائهم وثيابهم ولا يمسون المسجد بأقدامهم تعظيما لبقعته ولا يدخلون البيوت من أبوابها ولا يخرجون الى عرفات ، يقولون : نحن أهل الله ويلزمون المزدلفة [*]

---

[١] ابن اسحاق ، محمد بن اسحاق المطلبي (ت ١٥١ هـ) ، السير والمغازي ، ط١ تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ، (بيروت ، ١٩٧٨) ، ص٩٧ ؛ ابن حبيب ، المحبر ص١٧٨ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١، ص٧٢ ؛ الازرقي ، اخبار مكة ، ج١ ص١٤٢ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص٦١٦ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ص٢١٣ ؛ الفاسي ، شفاء الغرام ، ج٢، ص٤٢ ، ج٢، ص٤٢ ، العقد الثمين ، ج١ ص١٤٠ .

[٢] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، ص٥٩٣ .

[٣] علي ، المفصل ، ج٦، ص٣٦٦ .

[٤] ابن حجر ، ابو العباس شهاب الدين احمد ، (ت: ٩٢٣هـ) ، ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، وبهامشه متن صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووي ، (بيروت ، د، ت) ، ج٣ ، ص٢٤٠ .

[*] المزدلفة : اختلف في سبب تسميتها ، فقيل مزدلفة من الازدلاف وهو الاجتماع ، وقيل لازدلاف الناس في منى بعد الافاضة ، وقيل لازدلاف ادم وحواء بها أي لاجتماعهما ، أو

ب.الحلـــة:

والحلة من العرب هم تميم بن مر كلها غير يربوع ومازن وضبة وحميس وضاعنة والغوث بن مر وقيس عيلان باسرها ما خلا ثقيفا وعدوان وعامر بن صعصعة وربيعة بن نزار كلها ، قضاعة ما خلا علافا وجنابا والأنصار وخثعم وبجيله وبكر بن عبد مناة بن كنانة وهذيل بن مدركة وأسد وطي وبارق[1] أما صفاتهم فكانوا يحرمون الصيد في النسك ولا يحرمونه في غير الحرم وكانوا يجمعون السمن ويجتزون الصوف والوبر والشعر وكان لكل رجل من الحلة حرمي من الحمس يأخذ ثيابه فيطوف فيها والذي لم يجد ثيابا من الحلة يطوف بالبيت عريانا لأنهم كانوا اذا أرادوا الحج لم يستحلوا ان يشتروا شيئا او يبيعوه باستثناء اللحم [2] .

وكانت الحلة تطوف بالبيت أول ما يطوف الرجل والمرأة في أول حجة يحجها عراة وكانت بنو عامر بن صعصعة ممن يفعل ذلك [3] .

وكان سائر العرب من الحلة والحمس ، لا يعتدون في الأشهر الحرم على أحد ولو لقى احدهم قاتل أبيه أو أخيه ولا يستافون مالاً إعظاماً للأشهر الحرم إلا خثعم وطيء [4].

لنزول الناس بها زلف الليل ، وقيل الزلفة القربة ، فسميت مزدلفة لان الناس يزدلفون فيها الى الحرم ، والمزدلفة مكان بين بطن محسر والمأزمين وهو مبيت الحجاج اذا صدروا من عرفات ، ومن اسمائها جمع والمشعر الحرام .

[1] ابن حبيب ، المحبر ، ص١٧٩ .

[2] ابن حبيب ، المحبر ، ص١٨٠-١٨١.

[3] الازرقي ، اخبار مكة ، ج١ ، ص١٤٥ .

[4] المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٤٧.

أولاً- مصادر المياه في محطات الطريق القديم :

تتمثل مصادر المياه بالبرك والخزانات والأحواض والآبار على اختلاف أنواعها وكذلك القنوات والسدود وقد أجرى ويلكنسون مسحاً لمنطقة ترجع لعصر قبل العصر الكمبري [1] (عصر اللافقريات البحرية) في منطقة الدرع بالجزيرة العربية وذلك في عام ١٩٧٩ إذ كانت الصخور الصلدة البارزة أبان تلك الحقبة تغطي معظم المنطقة وقد تعرضت لتعرية سطحية خفيفة واسعة النطاق . ثم أختفت قممها المثلثة التي ترجع للزمن الرابع الجيولوجي . ويمكن وصف شكل الأرض في هذه التركيبة المعقدة من القواصر المثلثة بأنها سطح منحدر بوجه عام ويخترق طريق الحج بأكمله مناطق بهذا الشكل وهي ممرات واسعة تتخلل السلاسل الجبلية وكانت المناطق الوحيدة التي شوهدت على هذا الطريق فيما بين محطتي سميراء وفيد [2] ، فضلاً عن مرتفعات الفلسيت البركانية التي تعترض الأودية التي تحد الطريق وتتركه على هيئة ممرات الى حد ما مثل ممرات " الجفالية "[3] و " المذيربات "[4] و " مخروقة "[5] ويمكن تصنيف الحواجز التي تعترض مجرى الوادي على النحو الاتي :

١- مجمعات مياه جبلية

٢- مسطحات صخرية منحدرة

٣- مسطحات قشرية منحدرة

٤- مساحات غرينية شاسعة ومنخفضة

---

(١) ولكنسون ، تونى ، مصادر المياه في محطات درب زبيدة ،الإطلال ، العدد / ٤ لسنة ١٩٨٠ م ، ص٦٣ .

(٢) المرجع نفسه ، ص٦٤.

(٣) ولكنسون ، هيدرولوجية الوديان ، الإطلال ، ص٦٤.

(٤) المرجع نفسه ، ص٦٤.

(٥) مخروقة : لم يأتي لها ذكر في كتب البلدان .

وتقع كل منطقة من المناطق التي شملها المسح في وادي الرمة تقريباً [١] وكان يضم نظام صرف متكامل يمتد حتى بريدة [٢] وعنيزة [٣] أدنى مصب الوادي ولكنه يتلاشى اليوم في نفوذ الثويرات .

وباستثناء مجمعات الامطار ، تضم الاودية قنوات ضحلة يتراوح عرضها بين ٣٠ و ٦٥ م (٤٨ في المتوسط) ، وبخلاف عمليات التطهير المؤقت للقنوات ، كانت آثار التعرية قاصرة على قطاعات فرعية وعلى بواطن الأودية وعلى إمتداد مجاري القنوات ، حتى في الاماكن التي تبدو فيها مصبات الاودية أكثر عمقاً ، وعمق الوادي لا يتجاوز الثلاثة أمتار ، وكانت البرك التي صادفتنا (فيما عدا بركتي " سميراء " و " خريبة " [٤] الضحلتين) عميقة وإن بدت مرتفعة لتراكم الرواسب الغرينية فيها.

وبناء على وضع مجاري الاودية ، وكذلك المعالم الأثرية الأخرىفضلاً عن شواهد تحركات الاودية المحدودة في العصر الحجري فأنها تبدو قاصرة على العصر العباسي من حيث التاريخ ومع ذلك فقد شوهدت تكوينات حديثة نشطة للأودية ودلائل أخرى على أنها كانت مطروقة من جانب البشر والحيوانات يمكن القول : إن أكبر الأودية (ذلك الذي يبلغ ٣٠ متراً) كان يفيض في أغلب الأعوام ومع ذلك فأن تدفق السيول سوف لن يمتد لكل مجرى الوادي . وسوف تكون الاودية صغيرة ولا تضم مناطق غرينية شاسعة وتكون أكثر كفاءة عندما تزداد كثافة الامطار ، فقد يكون أنسياب الماء أقل حدوثاً أو أن يكون أقرب لعدم الانتظام [٥] ويظهر توافق

---

[١] وادي الرمة : الوادي الرئيسي للتصريف المياه بنجد فيما بين حائل والنقرة . ولكنسون مصادر المياه ، ص ٤.

[٢] بريدة :لم نجد لها تعريفاً في كتب البلدانيين .

[٣] وعنيزة : لم نجد لها تعريفاً في كتب البلدانيين.

[٤] خريبة :لم نجد لها تعريفاً في كتب الجغرافيين العرب .

[٥] ولكنسون : مصادر المياه في محطات زبيدة ، ص٦٣ .

سيول الاودية مع قوله تعالى(فسالت أودية بقدرها)[١] وتتوافر الطبقات السطحية التي يزيد سمكها عن متر واحد في مساحات تقل في مجموعها عن ٥ % من مساحة المنطقة الكلية التي جرى ارتيادها ومعظم الرواسب كانت من الرمال الطفلية او الطفيليات التي امتزجت بالرواسب الغرينية أو الرمال الرياحية غير أن درجة الخلط او الامتزاج هذه كانت في حدها الادنى . وقد شوهدت بعض طبقات التربة السطحية القوية المتراكمة منذ القدم في " سميراء " و " حريد "[٢] .

ويبدو ان هناك نظام صرفٍ ملائمٍ يوما ما في أثناء الري ، كما كانت التربة القوية الدبالية السوداء (الدبال : مادة سوداء ناتجة عن تحلل المواد النباتية والحيوانية وتشكل الجزء العضوي من التربة) منتشرة في تربة غنية بالاملاح في موقع النقرة[٣] إذ عثر على طبقة سطحية سوداء لزجة تحت السطح مباشرة في حقول يمكن أرجاؤها للعصر العباسي وقد تسبب هذه الأنواع من التربة مشكلة أكبر بالنسبة الى أعمال استصلاح الأراضي الا أنه من الواضح أنها قاصرة على هذا المكان

وكانت الكميات التقريبية للعشب تدل على القيمة النسبية لإمكانات حملها بالمواقع التي تم رسم خرائط لها ، إذ يوجد العشب وبصفة أساسية في بقايا أعواد الحنطة مع بعض عشب شجيرات السنط بصفة خاصة وقد كانت قاصرة على مناطق الاجتراف عبر مناطق المسطحات الصخرية المنحدرة وان كانت تشكل غطاء أكثر كثافة فوق بعض الاماكن بالمسطحات القشرية المتحدرة وتعكس مناطق السيول والسهول الغرينية الملحية الأكبر اتساعاً .. تعكس الكثافة الكبرى لهذا العشب (توجد شجيرة واحدة في كل متر مربع من موقعي سميراء وكتيفة[٤]

---

[١] سورة الرعد ، اية ١٩.

[٢] حريد :المجرى الرئيسي لوادي شعبة / حاليا قرية صغيرة ادنى مصب الوادي بحوالي ١.٥كم .

[٣] النقرة : موضع بين مكة والبصرة /الزمخشري / الجبال والامكنة والمياه ، ص١٤٣.

[٤] كتيفة :بينها وبين حريد مسافة ٧ كم وكلاهما في وادي شعبه

ويشكل عشب شجيرات السنط صفوفاً غير منتظمة على أمتداد الاودية اذ تتوفر المياه الجوفية من وقت الى آخر الا انها ليست بالكثافة الكافية حتى تضاف الى مخزون الاعلاف المحتمل توافره ، كما كانت شجيرات التمر هندي وأشجار النخيل قاصرة على مناطق مزروعة الان كما في قرى " النقرة "و " البعايث " [١].

منسوب مياه البرك:

ونظراً الى أن تحركات مجرى الوادي تبدو قاصرة على مدة الحكم العباسي فانه من المحتمل أن تكون معظم المجاري المائية في المناطق المجاورة للبرك هي البرك نفسها التي كانت في ذلك الوقت حيثما عثر على دليل أثري أو جيولوجي ففي المقابل تكون المصادر البديلة للإمداد بالمياه أمراً ملحاً ، ويمكن وضع تصنيف لدرجات توزيع قنوات الإمداد كما وضعه (ولكنسون) :

١- هناك ست برك استمدت مياهها من المجرى الرئيس يتضح في ثلاث منها أن سعة مجرى الوادي الرئيس كانت أقل من عشرة امتار وفي حالة واحدة (سميراء) وهي قناة صب ربما تغذت من الوادي الرئيس (مثل " حريد ")

٢- وست أخرى اتضح لنا أنها كانت تعتمد في تغذيتها بالمياه على روافد فرعية ، اكثر من اعتمادها على مجرى الوادي الرئيس ومنها " كتيفة " التي يبدو انها تستمد مياهها في الاصل من واد غير فرعي لاخر فرعي ويتراوح اتساع هذه الاودية الفرعية ما بين المترين وفي حالة واحدة منها سبعة عشر متراً ومع هذا ففي حالة واحدة منها كانت البركة المربعة في الموقع الرئيس تستمد مياهها في حوض مغلق [٢].

٣- وكان ثمان منها موجودة على مسافة معقولة من قنوات فرعية للأودية يتروح أتساع الواحدة منها ما بين المترين والعشرة امتار وقد تكون متعامدة على آخر يصل أتساعه لأقل من ٤.٧ متراً .

---

[١] البعايث : يوجد في وادي الرمة

[٢] ولكنسون : مصادر المياه ، ص٦٥ .

ويكشف التقدير المبدئي لمنسوب المياه في كل بركة عن نوع حركة المياه وتم احتساب درجة تدفق الوادي عن طريق معرفة مدى الاتساع و العمق و درجة التحدر ، ثم عامل التحتت فضلاً عن العنصر البشري ، كذلك يمكن احتساب درجة تدفق المياه في قناة الصب اما عن طريق معرفة أشكالها او بالطريقة الفرنسية للتدفق من فو ق سد أو حاجز [١] . ونستنتج من ذلك :

ان معظم البرك قد عثر عليها على مجارى الروافد أو الترع أكثر مما عثر عليه منها المجرى الرئيس للوادي وفضلاً عن ذلك فأن الترع الفرعية بصفة خاصة سيكون نصيبها من الرواسب أقل من الوادي الرئيس ، الى جانب أن تحدر المياه المتحولة يكون بسيطاً كما في " البعايث لموقع البركة على حافة منطقة السيل بباطن الوادي الامر الذي يحتمل معه تقلص الاحمال الرسوبية .

ولقد كانت أكفأ الترتيبات التي اتخذت لتحويل المياه تجاه البرك هي جدران التحويل القمعية الشكل التي كانت تؤدي بها الى داخل فتحة قناة المجرى التي يبلغ اتساعها نحو المتر ، ومن أمثلة ذلك بركتي " المذيربات " [٢] و " غريبين " [٣] الدائريتين وقد تزيد المنشآت الموجودة بالمجرى من سرعة تدفق السيول بالقرب من مصبه ولكي نتجنب زيادة الاجتراف والاقتطاع فقد أنشئ منحنى بزاوية يمنى في قناة المدخل الامر الذي يبطئ من سرعة جريان المياه الى حد ما عن طريق التقليل من آثار التحتت من ناحية وتكوين الموجات الدوارة (الدوامات) الجانبية من ناحية وكتقدير مبدئي فان متوسط عمر البركة قد يتروح ما بين ١٥٠ و ٣٠٠ عام ، وبالفعل فان التراكمات الرسوبية تختلف بدرجة واضحة عن المثل الذي قدم والذي يستند الى :

١- عوالق المياه الداخلة الى البركة .

٢- تباين سيول الوديان .

---

[١] ولكنسون : مصادر المياه ، ص٦٧ .

[٢] المذيربات : لم نجد لها تعرفاً في كتب الجغرافية .

[٣] غريبين : لم نجد لها تعريفاً في كتب الجغرافية .

٣- ما قد تضيفه العواصف الرملية .

٤- تهدم قناة البركة او الفتحة المؤدية لداخلها التي قد تنتقص من أو تمنع نهائياً وصول المياه أو الرواسب [١] .

وهناك ملاحظة أخيرة بالنسبة الى موقع البرك بصورة عامة ، درجات المواقع المهمة في المكان اللائق بها من القائمة ومع أنه تم تسجيل البرك بعناية حتى تم الاخذ في الاعتبار درجة انسياب المياه بها وكثافة الرواسب المحمولة واحتمال وجود اساسات متينة لأسوار التحويل عندها فقد جرى الكشف كذلك عن وجود علاقة أكثر وضوحاً بالنسبة الى مواقعها من الابار أما بعض المواقع مثل : الجفالية ، المذيربات ، المخروقة وربما سناف اللحم فيبدو انه تم العثور عليها اذ يوجد جدول للمياه في المناطق الجرانيتية المرتفعة اذ وجد محصوراً وراء حاجز من الصخور البركانية وهناك مواقع اخرى كالبعايث وسميراء فيها مياه جوفية مهجورة نسبياً على أعماق ضحلة ويوحى تفضيل أختيار الكثير من المواقع على ضوء ظروف توافر المياه الجوفية بان هذه المواقع ربما تم اختيارها لان المياه متاحة وليس بسبب المواصفات التي يجب أن تتميز بها مواقع البرك وفضلاً عن ذلك فهنالك ثلاثة مواقع هي : كتفية ، وسميراء والمخروقة نجدها متاخمة لمناطق شاسعة من عشب المراعي ويبدو أن ذلك يمثل العامل الاساسي لاختيار موقع " كتيفة " في حين أن كلا من سميراء ومخروقة وربما " البعايث " لها احوالها البيئية المختلفة بالنسبة لامكانية الاستيطان .

ويمكن اعتبار " البعايث " و " سميراء " [٢] و " الجفالية " [٣] و" المذيربات " " المخروقة " مواقع مهمة أقيمت في الاصل فكانت آبار المياه الجوفية متاحة ثم شيدت فيما بعد تلك البرك لاعتراض السيول واحتجازها وسوف يصبح في

---

[١] ولكنسون : مصادر المياه ، ص٦٧ .

[٢] سميراء : الرافد الايسر لوادي شعبه .

[٣] الجفالية : بركة طويلة .

الامكان التحقق من صحة البيانات الاحصائية عندما تتجمع البيانات عن عينـة كبيرة وكافية من المواقع [١] .

[١] ولكنسون : مصادر المياه في محطات درب زبيدة ، ص٧٣.

ثانياً -أنواع برك المياه على الطريق القديم :

يبلغ طول طريق الحج بين الحيرة ومكة نحو ١٤٠٠ كيلو متر ، وهو يمر بمناطق مختلفة في طبيعتها متباينة في تضاريسها ، فتارة نراه مستوياً على أرض رملية أو طينية ، وتارة أخرى منحوتاً وسط الصخور في المناطق الجبلية ومرة غيرها نراه موسعاً وخالياً من العوائق الخطرة في المناطق الوعرة –وطبقاً لما جاء في تقارير البلدانيين المسلمين الأوائل فانه توجد على طول الطريق من الحيرة الى مكة المكرمة المحطات التي سبق ان تناولناها في الفصلين الثاني والثالث من الرسالة كما وجدت محطات أخرى صغيرة فيما بينها وكانت جميع المحطات الكبيرة والصغيرة على حد سواء مزودة بالمياه اذ أمنت بشبكة على درجة كبيرة من الاتقان تتكون من :[١]

أ) برك المياه وتشمل الخزانات والأحواض

ب) الابار على اختلاف أنواعها

ت) القنوات

ث) السدود

١ – البرك الدائرية :

تم العثور على أكثر من ٢٠ بركة دائرة في مواقع مختلفة من البرك التي تنتشر على طول الطريق وغالباً ما تكون في مكان منخفض يتخلله سهلاً مستوياً ونادراً ما تكون مشيدة ببطن وادٍ ويختلف الحجم من واحدة الى اخرى ويبلغ متوسط قطر كل واحدة منها ٣٠ متراً في معظمها بينما يتروح القطر في بقيتها ما بين ٥٠ الى ٦٠ متراً ولا يمكن معرفة العمق الفعلي لها لان معظمها ممتلئ بالرمال [٢].

---

[١] الراشد ، سعد عبد العزيز : برك المياه على طريق الحج من العراق إلى مكة ونظائرها في الأقطار الاخرى ، مجلة الأطلال ،العدد ٣ ، (السعودية ، ١٩٧٩ م)، ص٦٥

[٢] المصدر نفسه ، ص٦٦ .

وقد اخترنا ثلاثاً من هذه البرك الدائرية كأمثلة توضح لنا هذه الخصائص الرئيسة :

١- محطة الحجيج التي تعرف محلياً باسم " الشيحيات " [1]فمن أبرز منشآت هذا الموقع تلك البركة الدائرية ذات التصميم المتميز التي يبلغ قطرها ٥٥ متراً وعمقها الظاهر حالياً ١.٥ متراً بينما امتلأ باقي العمق بالرمال .

٢- وتسمى البركة الثانية محلياً باسم " ارينبة " ويرتبط هذا الاسم بمحطة توقف فيما بين المحطتين الشهيرتين " فيد " [2]و " سميراء " اللتين ما تزالان موجودتين كمستوطنتين كبيرتين ويبلغ قطر هذه البركة نحو ٢٥ متراً وجدرانها مدعمة من الداخل باكتاف على شكل انصاف الدوائر

٣- وتعد بركة أبو سليم " الربذة " [3] من أكبر البرك تماسكاً على الطريق ، وهي تعد من أطلال محطة الحجيج القديمة المعروفة باسم " الربذة " يصل قطرها الى ٦٣ متراً وعمقها الحالي ٤ أمتار وتتصل بأخرى بمثابة مصفاة مستطيلة الشكل .

٢- البرك المستطيلة والمربعة :

يمكن أن تدخل هذه البرك تحت الاقسام الاتية :

١- الاحواض المجزأة .

٢- البرك الرباعية الزوايا التي تتصل بها مصافٍ .

٣- البرك المفردة المربعة الشكل .

وما يزال هناك عدد من هذه البرك على درجة طيبة من التماسك وهي تكشف عن عمق يتروح بين المترين والثلاثة أمتار غير أن معظمها ملأ بالرمال والرواسب وعلى الرغم من الاضرار التي أصابت هذه البرك الا أنه مايزال من

---

[1] الشيحيات : لايوجد لها تعريف في كتب الجغرافية.

[2] فيد :ينظر الفصل الثاني ،ص١١١.

[3] الربذة : ينظر الفصل الثالث ،ص١٢١.

الممكن مشاهدة معالمها الرئيسة وتناولها بالدراسة ومادة البناء من نفسها مادة إنشاء البرك الدائرية .

٣-البرك المجزأة والرباعية والمستقلة [١]:

لعل بركة " العقبة " " هي النوع الأول من هذه البرك ، وهي محطة للحجيج في الجزء الشمالي من الطريق على مسافة ٥٠كم شمال شرقي رفحة بالجزيرة العربية وتبلغ مساحتها نحو ١٠٥× ٥٥ متراً ، والبركة مقسمة الى وحدات صغيرة .

وثاني الأمثلة يتمثل في بركتين متجاورتين في كل من " الهيثم والقاع " ويمثلان محطة للحجيج جنوبي " العقبة " وشمال شرقي رفحة يشغل كل واحدة من البركتين مساحة ٥٠متراً مربعاً وعلى الرغم من أن الرمال تملؤها فانه يمكن مشاهدة البركة الشمالية منهما ويوجد مجموعة من الدرج عند منتصف كل أطلال.

وجدار ما عدا الجدار الغربي كما يمكن مشاهدة دعامات نصف دائرية في الداخل وهي مصممة بشكل جيد الى جانب فتحة عند الطرف الشمالي لدخول المياه وان كانت مغطاة بالرمال [٢].

اما البرك الرباعية الزوايا التي يفصل بينهما جدار كبركة "البدع " عند الطرف الجنوبي لصحراء النفوذ فهناك عتبات او درجات عمودية تبدأ من وسط جدار البركة ، وفي أحدى البرك أو مع التقاء مصب البركة .

وتكون البرك احياناً من الحجم الكبير وملحقة بها بركة اخرى بمثابة المصفاة يفصل بينهما جدار .وامثلة ذلك بركة البدع وبركة المسلح عند الطرف الجنوبي لطريق الحج في منطقة الحجاز .

اما البرك المستقلة مربعة الشكل فمثالها الجميمة والعقيق ،تقع الجميمة شرق رفحة بنحو ١٤ كم في منطقة مستوية وهي مربعة الشكل وهي على درجة عالية من التماسك مساحتها ٣٠×٣٠م ، تغطي الرمال معظم القاع تاركة ٣.٤٥م في سلم

---

[١] Saad A Al.Rashid,Darbzudydah p.67.

[٢] الراشد ، برك المياه على طريق الحج ،ص٦٩.

من ١١ درجة يؤدي الى قاعها وفيها فتحة للمياه في طرفها الجنوبي الغربي وهي ذات تصميم قوي وبديع.

اما بركة العقيق فانها توجد عند الطرف الغربي لسهل "ركبة " جنوبي محطة المسلح بنحو ٣٠ كم وشمال شرق الطائف بنحو ٨٥ كم ،وان بناءها دون مستوى الارض ويتدرج من القمة الى القاع وابعادها ٣٥×٣٥م من الاسفل و ٤٩×٤٩م من الاعلى ويبدأ عمقها بعد ٥.٥ متر من تحت سطح الارض .ويوجد مجرى في طرفها الجنوبي الغربي لحمل المياه من وادي العقيق الى موقع البركة ،وان الماء كان يتوقف بيسر من اعلى الاطراف الى القاع دون وسيلة لنقل المياه من الوادي الى البركة [١]

ويورد سعد عبد العزيز الراشد اسماء برك المياه الموجودة في الجانب السعودي من الطريق فيذكر : بركة الخرابة –البركة –الغزلانية –المسلح –حاذه صفينة –السوارقية –بركة خبراء الحاج –بركة افيعية –خليج الشق (الكراع)–الساقية –مهد الذهب –النقرة (شمالية ،جنوبية) –بركة الحميمة –بركة حريد –سميرة – التوزي (الجفالية)–بركة ارينبة –بركة المخروقة –بركة الغريبين –بركة الشفوه – بركة الحويض –بركة الساقية [٢]

ثالثاً –المسوح الميدانية الحديثة للطريق القديم

[١] الراشد ، برك المياه ، ص٧٠.

[٢] Saad, A.Al-Rashid, Darb zubaydah, p.75.

أجريت مسوح ميدانية حديثة للطريق من بينها المسح الذي اجراه سعد عبد العزيز الراشد ونشره في كتاب باللغة الانكليزية بعنوان (درب زبيدة) والمسح الذي اجراه الدكتور عبد الستار العزاوي المنشور على شكل كتاب بعنوان (طريق الحج القديم ومهمة إحيائه) ، ولم يتيسر لنا اجراء مسح ميداني للطريق بسبب الأحوال التي ذكرناها في مقدمة الرسالة ، ومن استعراضنا لما ورد من معلومات في المسحين نجد بأن المسميات التي وردت فيهما هي غير تلك المذكورة في كتب التاريخ القديمة ويبدو ان المسحين اعتمدا خليطاً من التسميات القديمة (التاريخية)والحديثة (المحلية)

وسنتناول اولاً المسح الذي اجراه الدكتور عبد الستار العزاوي [١]

اول ما يلاحظ في هذا الطريق الطويل بقايا طريق الحج الذي يتمثل في خانات ومنائر وبرك وآبار ، والمسافة بين هذه المواقع بين (١٤-١٨كم) في الوقت عن طريق السيارة ، ومن الجدير بالذكر ان اغلب المحطات التي وجدت تعود اثارها الى العصر العباسي الاول المسمى بدرب زبيدة ومن اهم المواقع التي يمكن مشاهدتها : [٢]

١. خان الرحبة (عين الرحبة والقرية) .
٢. بركة زبيدة .(دائرية)
٣. محطة الحمام (قصر ، بركة مستطيلة ، بئر) .
٤. منارة ام القرون .
٥. بير النص .(بقايا قصر ، بركة مستطيلة) .
٦. محطة مغيثة (بقايا قصر ، بركة مستطيلة) .
٧. بركة حمد .(بقايا قصر ، بركة مستطيلة) .

---

[١] العزاوي ، عبد الستار ، طريق الحج القديم ومهمة أحيائه ، مركز أحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد (بغداد ، د.ت) ، ص١.

[٢] العزاوي ، طريق الحج القديم ، ص١ .

٨. بركة الحمام .(بقايا موقع قصر ،بركة مستطيلة)
٩. بركة مسجد .(بقايا موقع قصر ، بركة مستطيلة).
١٠. محطة الطلحات .(بقايا قصر ،بركتان مستطيلتان ،بئر يحتوي على كتابات)
١١. محطة العيد .٠بقايا موقع قصر ، بركة مستطيلة) .
١٢. محطة السجر .(بقايا موقع قصر ، بركة مستطيلة).
١٣. محطة اشرف .(بقايا موقع قصر ، ابار متعددة بالمنطقة)
١٤. محطة واقصة .(بقايا موقع قصر ،بركة مستطيلة) وهذه حافظت على اسمها القديم .
١٥. بركة العمية .(بقايا موقع قصر ،بركة مستطيلة) .
١٦. محطة الظفير .[١] ٠بقايا موقع قصر ، بركة مستطيلة) .

وقد عمل الباحث على تثبيت مواقع محطات القوافل على طريق الحج وعمل اشكال المقاطع للمباني ومخططاتها ، ومواد البناء وطريقة البناء ، وكذلك اثار البرك ذات العمق (٥٠-٨٠)متراً ،واشكالها الدائرية والمربعة ومن خلال المسح تبين ان هذا الطريق كان يعتمد للاغراض الاتية :

١. طريق تجاري يربط المدن والاقاليم العربية من بلاد الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية الى مناطق الخليج العربي .
٢. طريق الحج والعمرة .
٣. طريق عسكري خلال ايام تحرير العراق وبلاد الشام ومرور جيوش التحرير عبر منطقة الكوفة شمالا .[٢]

---

[١] عند النظر الى هذه المحطات ، نجد انها تعود الى العصر العباسي ما يسمى بدرب زبيده ، ما عدا محطة مغيثة (الرحبة) وواقصه

[٢] العزاوي ، طريق الحج القديم ،ص٢.

ويبلغ طول الطريق بين الحيرة وحدود المملكة العربية السعودية (١٦٠-١٨٠)كم مرورا بجميع المحطات المتقدم ذكرها [١] .

ونظرا الى أن جميع المحطات التي مازالت اثارها باقية تعود الى العصر العباسي .فانها سنوضح المحطات التي تعود الى عصر ما قبل الأسلام (الرحبة – بركة زبيدة – أم القرون) .

١ : المحطات :

أ. الرحبة .

بعد السير جنوب مدينة الكوفة مرورا بمنطقة منخفضة ، وطريق ترابي نحو ٣٥ كم تصل الى قرية الرحبة [٢] ، والرحبة ما اتسع من الارض وهي قرية بجوار القادسية على مرحلة من الحيرة ، على يسار الحجاج اذا أرادوا مكة وقد ضربت الان بكثرة طروق العرب لانها في ضفة البر ، وهي من القادسية على ثلاثة اميال [٣] .

ب. بركة زبيدة [٤] :

تقع على مسافة نحو ١٢كم جنوب قرية الرحبة والبركة دائرية الشكل ، وتعد المحطة الثانية بعد الكوفة ، مبنية من الحجر المحلي المهذب من جانب واحد ، وهو كبير الحجم لغرض جعل واجهة باطن البركة بشكل مستوي تقريبا .

ومما يمكن مشاهدته بقايا اسس غرف او مجموعة غرف قرب الجانب الجنوبي (حجر وجص) ، كذلك انقاض وحدة سكنية اخرى في ناحيتها الشمالية [١] ومن

---

(١) العزاوي ، طريق الحج القديم ، ص٣.

(٢) المرجع نفسه ، ص٣.

(٣) الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٩٤ .

(٤) تقع هذه البركة في طريق مكة بين المغيثة والعذيب ، سمي بذلك نسبة الى السيدة زبيدة بنت جعفر بن المنصور ام الخليفة محمد الامين ، وبركة لاقامة الماء فيها ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣١٨ .

المؤكد ، انها كانت تشكل احدى المحطات المهمة بالمستوى الذي جعل منها محط اختيار ام الخليفة وتسمى باسمها ، الا ان اعراض كتب المعاجم البلدانية المتأخرة عن محاولة الربط بينها وبين العمق التاريخي للمنطقة [٢].وحمام سعد موضع في طريق الحاج بالكوفة ، وتبعد هذه المحطة نحو ١٣ كم جنوب غربي بركة زبيدة [٣]

ج. منارة ام القرون :

منارة بطريق مكة قرب واقصة سميت بذلك [٤] ونجد حاليا المواقع بين أم القرون ومحطة واقصة (بئر النص ومغيثة ، بركة حمد ، بركة الحمام ، بركة مسجد ، العلمات ، بركة المعية (ناحية شبكة) ابار شراف محطة وابار واقصة [٥] ومن خلال دراستنا لمحطاته نرى عديداً قليلاً من هذه المحطات يتصل بالحقبة الدراسية للموضوع . وتنحصر هذه الرؤية في مغيثة[٦] ابار اسراف واعتقد المقصود بها

---

[١] الحموي ،، معجم البلدان ، ج٨ ، ص٣٢٣ .

[٢] قدامة ، الخراج ، ص٧٥ ؛ اليعقوبي ، البلدان ، ص

(٣) الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٧٩ .

[٤] العزاوي ، طريق الحج القديم ، ص٥ ،

[٥] يبدو ان سبب محافظة هذه المواقع على اطلالها طوال هذه المدة إنما يرجع للأعمار والأدمة التي حظيت بها هذه المواقع وغيرها من المحطات في زمن الدولة العباسية ولاسيما في زمن الرشيد وزوجته زبيدة لدرجة ان سمي الطريق باسمها .

[٦] ينظر الفصل الثاني ، ص٩٨ .

أشراف لما لها من صلة بقربها من المحطات التجارية [١] ، ثم تأتي واقصة [٢] ، ثم العقبة [٣][٤] .

تتناول هذه الدراسة مواقع الصحراء الغربية (من جانب نهر الفرات حتى صدر الجمهورية السورية ، المملكة الاردنية الهاشمية ، المملكة العربية السعودية ، دولة الكويت .

تضم هذه المحطات عدداً من الآبار العميقة (بين ٥٠-٨٠م) فضلا عن اشكالها الدائرية والمربعة ، ويظهر في بعض الابار محطات الطلحات [٥]هذا الاسم متأخر واسمها القديم طلح وهي موضع في بلاد بني يربوع[٦] وقد شوهدت الكتابات على الحجر في وجه البئر ، اذ تم بناء منطقة العنق والرأس.

ثم تأتي منطقة الرحبة ، بعد الاتجاه جنوبا من مدينة الحيرة والرحبة قرية بحذاء القادسية للحاج اذا أراد مكة ، وقد ضربت وهي من القادسية على ثلاثة اميال [٧] ، ويلاحظ استخدام الطابوق (٣٠×٣٠×٥) سم في بعض الجدران ويوجد شمال شرقي قرية الرحبة نهر صغير ، تجلب مياهه من عين صغيرة

---

[١] ينظر الفصل الثاني ، ص١٠٠ .

[٢] ينظر الفصل الثاني ، ص١٠١ .

[٣] ينظر الفصل الثاني ، ص١٠٢ .

[٤] اليعقوبي ، البلدان ، ص٧٥

[٥] العزاوي ، طريق الحج القديم ، ص٦.

[٦] الحموي : معجم البلدان ، ج٦ ، ص٢٦٤ .

[٧] المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٣٩٤ .

يستغله الاهالي في الزراعة ، ويسمى هذا النهر بالحفائر وهو ماء بني قريظة على يسار الحاج من الحيرة [١] .

وحاليا تقع منارة ام القرون بين محطة حمام زبيدة وبركتها وآبارها ومحطة بير النصر، ويصف المنارة ابن جير [٢] (منارة في بيداء من الارض لا بناء حولها قد قامت في الارض كأنها عمود مخروط من الاخير).

وتقع منارة أم القرون شمال غرب منطقة القصر ، والبركة والابار ويذكر القزويني أن هذه المنارة تقع في محطة واقصة ، وواقصة منزل بطريق الحج القديم [٣] .

ومن خلال تثبيت اسماء محطات الطريق يظهر موقع العذيب في ضمن منطقة القادسية ، ويرد باسم قصر العذيب [٤] بينه وبين القادسية اربعة اميال ،وهو ماء لبني تميم من منازل الحاج [٥] ، وهو اول ماء يلقاه الانسان بالبادية ، اذا سار من القادسية يريد مكة [٦] وهو لذلك كان موقع بناء منارة ام القرون ، ويظهر انه وادٍ وادٍ يجري فيه الماء ، كما تظهر اثار اودية اخرى بالمنطقة[٧] .

---

[١] الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٦١.

[٢] رحلة ابن جبير ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص١٩٦ .

[٣] القزويني : زكريا بن محمد بن محمود ، اثار البلاد و اخبار العباد ،(بيروت ، ١٩٦٠م)، ص٦٥ .

[٤] الحموي : معجم البلدان ، ج٦ ، ص٣٠٤ .

[٥] المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٣٠٤ .

[٦] ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص٧٩ .

[٧] العزاوي ، طريق الحج القديم ، ص٣٠٨ .

ومحطة واقصة احدى محطات الطريق التجاري . ونرى بين واقصة ومنارة ام القرون المواقع الاتية : (النص ، مغيثة ، بركة حمد ، ، بركة حمام ، بركة مسجد الطلحات ، بركة لاعيد ابار شراف ، ابار واحضة) [١]

٢-المسوح الحديثة لبرك المياه على طريق الحج القديم :

يتناول هذا البحث خزانات وبرك المياه على طريق الحج بين الحيرة ومكة ، وتمثل هذه البرك والخزانات جانبا من التسهيلات والمرافق ، التي اقيمت على هذا الطريق اذ كان يربط العراق بمكة والمدينة عدد من الطرق يسلكها الحجاج.

وعلى الرغم مما يشاع من ان هذا الطريق عباسي النشأة الا انه في الحقيقة كان يستخدم من قبل وفي وقت سابق للعصر الاسلامي [٢] أذ أشارت المصادر الى أن طريقا يخترق شبه الجزيرة عرضاً يبدأ من مكة وينتهي بوادي الرافدين ، وكان هذا الطريق نتيجة احد العقود التي ابرمتها قريش مع الإمبراطورية الفارسية[٣] وفي الواقع ان هناك آثارا ماتزال باقية حتى الان لطريق بين مكة ووادي الرافدين ، وعند حائل [٤]في وسط المسافة تقريبا تتفرع الى طريقين :

احدهما يصل الى الفرات مارا بموقع بريدة [٥] والاخر يصل الى بابل مارا بعدد من المواقع او بقربها مثل السفن وفيد ، وقد اصبح هذا طريقا رئيساً للحج

---

[١] ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت٦٨٠هـ) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، (القاهرة ، ١٩٤٨م) ؛ ج٤ ، ص٣٧١.

[٢] الراشد ، سعد عبد العزيز ، برك المياه على طريق الحج من العراق الى مكة ونظاهرها في الاقطار الاخرى ، مجلة الاطلال ، العدد الثالث ، سنة ١٩٧٩ م ، ص٦٥ .

[٣] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج٤ ، ص٩٤ .

[٤] حائل : من ارض اليمامة لبني وبني جمان من بني كعب بن سعد بن زيد مناة وهو واد اصله من الدهناء ، الحموي ، معجم البلدان ، ج١،ص٢١٠.

[٥] بريدة : لم نجد لها ذكراً في كتب البلدانيين .

والتجارة في العصر الاسلامي عرف باسم درب زبيدة (الذي كان يصل الى النجف بجوار بابل [١] .

ان هذا الطريق كان موجودا قبل ظهور الاسلام حتى فيد ، وتوجد اثار يطلق عليها الان اسم خرائب قصر حيراش ، اما السفن فهي تقع في واد صغير في سفح جبل اجا الى الشمال الشرقي في حائل وقد اكتشفت فيها اثار احواض وقنوات مائية قديمة كانت تستخدم لتصريف مياه الوادي ، ويستدل من النقوش الموجود على جبل اجا على ان الموقع يعود تاريخه الى القرن الخامس ق.م [٢] .

البرك والمياه :

يبلغ طول هذا الطريق نحو ١٤٠٠كم وهو يمر بمناطق مختلفة في طبيعتها متباينة في تضاريسها ، تارة تراه مستويا على ارض رملية او طينية ، وتارة اخرى منحوتا وسط الصخور في المناطق الجبلية ، ومره ثالثة تراه موسعا وخاليا من العوائق الخطرة في المناطق الوعرة وطبقا لما جاء في تقارير علماء الجغرافية المسلمين الاوائل ، فانه يوجد على طول الدرب من الحيرة الى مكة المكرمة . نحو اربع وخمسين محطة رئيسة كما توجد محطات اخرى صغيرة فيما بينها ، وكانت تلك المحطات مزودة بمصادر المياه فأمنت شبكة على درجة كبيرة من الاتقان .

أ.برك المياه

---

[١] يحيى : العرب في العصور القديمة ، ص٣١٩

[٢] المرجع نفسه ، ص٣١٩ .

ب.الابار

لقد كشفت الابحاث الاثرية لهذا الطريق عن نحو من خمسين بركة للمياه ، وهو تقريبا العدد نفسه الذي ذكره علماء الجغرافية المسلمين ، وقد يوجد ما يزيد على الاربعين من هذه الموقع داخل الارض السعودية .[١]

وبرك المياه في هذا الدرب على شكلين اما مستدير او مستطيل فغالبا ما تكون البركة في مكان منخفض سهلا مستويا ، ونادرا ما تكون مشيدة ببطن واد عميق وفي كل محطة توجد بركة ، واليوم تبدو برك المياه على الدرب على درجات متفاوتة من حيث التماسك ، فمنذ ان تم هجر الطريق واهملت معظم محطاته ، وامتلأ العدد الاكبر من البرك بالرمال والرواسب ، ولم يعد من الممكن مشاهدة سوى الاطراف العلوية من اسوارها ، ذلك وان كشفت أعددا لا باس بها منها عن عمق يتراوح بين المترين والثلاثة امتار .

البرك الدائرية:

تم العثور على اكثر من ٢٠ بركة دائرية في مواضع مختلفة لهذا الطريق ويختلف حجم الواحد منها للاخرى حيث يتراوح قطر كل واحد منها ٣٠ م في معظمها ولا يمكن معرفة العمق الفعلي ، لأن معظمها ممتلئ بالرمال [٢] .

ومن اهم هذه البرك الشيحيات، ذات نظم مميزة يبلغ قطرها ٥٥م وعمقها ١٠.٠م لها ست دعائم شبه دائرية ، تسمى هذه البركة عند الحموي والتي تقع شرقي فيد إذ ان بينهما مسيرة يوم وليلة ، ماء مهرونة القيصومة [٣] ، وهي اول الرمل [٤]

---

[١] الراشد ، برك المياه على طريق الحج ،الاطلال ، عدد ٣ لسنة ١٩٧٩م ، ص٦٦.

[٢] المرجع نفسه، ص٦٧ .

[٣] القيصومة ، ماء شرقي فيد ، ومنها الى النباج اربعة اميال على طريق البصرة ، الحموي ، ج٧ ،ص١٠٨ .

[٤] الحموي ، معجم البلدان ، ج٦ ، ص١٦٨ .

ثم تاتي البركة المسماة (ارينبة) وارينبة ماء لغني بن اعصر بن سعد بن قيس [١] ، وبالقرب منها الاودية ، ويبلغ قطرها نحو ٢متر ، يرتبط هذا الاسم بمحطة فيما بين المحطتين الشهيرتين (فيد) [٢] (سميراء) [٣] ..

وتعد بركة ابي سليم (الربذة) من اكبر البرك تماسكا على الطريق ، وهي تعد من اطلال محطة الحج القديمة المعروفة باسم الربدة [٤] وكذلك بركة بركة (الخربة) [٥] التي تقع شمال شرق الطائف.

---

[١] ينظر . ص ١١١ من الفصل الثاني .

[٢] ينظر . ص١١٢ من الفصل الثاني.

[٣] ينظر . ص١١٦ من الفصل الثالث.

[٤] العزاوي ، عبد الستار : طريق الحج القديم ، ص٣.

[٥] والخربة ارض في ديار غسان في وادٍ من اوديتها عثر الحارث بن ظالم لفحة الملك بن يزيد بن صدر الغساني وكان ذلك سبب قتله واحضار الذمة فيه .

الخاتمة :

لا يستطيع باحث ان يلم بموضوع بكل جوانبه بالصورة التي يتمناها فكلما راجعت ما كتبت أجدني راغباً في الاضافة عليه او تعديل صياغته زيادة أو حذفا.

وعلى ذلك فكل ما أتمناه أن يكون ما كتبته يمثل حدا مناسبا ومقبولا لمن يطلع عليه ، ولا يمكن الإشارة الى كل ما توصل اليه البحث ولذلك نقتصر على اهم ما فيه من افكار ونتائج التي تتمثل في ضوء ما قدمنا بالنقاط الاتية :

١-ان الحج كعبادة كان معروفا قبل الإسلام ولم تكن ترتيبات مناسكه واضحة الا بعد حج إبراهيم (عليه السلام) ، كما ان انتقاله من فلسطين الى مكة كان امتثالا لامر ربه ، ومنذ ان رفع ابراهيم (عليه السلام) القواعد من البيت عظمت مكة وارتفعت مكانتها الدينية والتجارية .

٢-كانت الاشهر الحرم (محرم –رجب –ذي القعدة –ذي الحجة) هي المدة الملائمة لنشاط اقتصادي تتزامن مع اداء المناسك الدينية .

٣-ان لموقع الحيرة المهم ووقوعها في نهاية الطريق التجاري الذي يجتاز شبه الجزيرة العربية من ناحية ولمكانه مكة الدينية والاقتصادية من ناحية اخرى جعل ذلك الطريق الرابط بينهما مهما من الناحيتين الدينية والاقتصادية.

٤-ان الطريق بين الحيرة ومكة كان موجودا قبل الاسلام ، الا انه وبسبب التحسينات التي طرأت عليه ولاسيما في مدة الخلافة العباسية في عهد الخليفة هارون الرشيد وزوجته زبيدة مما اوحى الى انه عباسي النشأة واطلق عليه (درب زبيدة).

٥-ان اقامة العلامات الارشادية والمنائر ومحطات الاستراحة وغيرها من الخدمات قرب مصادر المياه الموجودة على طول الطريق البالغ نحو ١٤٠٠ كم كانت اساسية للقوافل التجارية التي تسلكه .

٦-ان الطريق استخدم كطريق تجاري يربط العراق وبلاد الشام من جهة والخليج وشبه الجزيرة العربية من جهة اخرى، واستخدم طريقا للحج ،كما استخدم طريقا للاغراض العسكرية خلال ايام تحرير العراق وبلاد الشام .

الخاتمة :

٧-اصبحت مكة منذ أن آل امرها الى قريش في عهد قصى بن كلاب " بنحو سنة ٤٤٠ م" مركزا للحياة الدينية والاقتصادية في شبه الجزيرة العربية مستفيدة من الوضع السيئ الذي طرأ على بلاد اليمن بعد وصول الاحباش اليها.

٨-ان ارتباط قيام الاسواق بموسم الحج يتضح من دورتها فهي تمتد على طول الطرق التجارية التي تربط انحاء شبه الجزيرة العربية ابتداءًمن اقصى الشمال فسوق دومة الجندل ثم على طول ساحل الخليج العربي اذ تقام اسواق المشقر وصحار ثم الساحل الجنوبي لشبه جزيرة العرب فسوق عدن والرابية وصنعاء ، ثم ساحل البحر الاحمر الشرقي الى اعظم اسواق العرب عكاظ، ويبدو ان الحرص على القرب من مكة كان لتحقيق تأدية المناسك الدينية وتحقيق المكاسب الاقتصادية معاً .

٩-ان الاهتمام بهذا الطريق في الوقت الحاضر وتعبيده وانشاء مدن حديثة (وان كانت صغيرة) وتنشيط الخدمات الضرورية كبناء المدارس ،والمستشفيات ،ودوائر الاتصالات ومحطات الاستراحة وغيرها من الخدمات الحضارية الحديثة تساعد في احياء هذا الطريق الذي يربط العراق بشبه الجزيرة العربية.

المصـــــادر:

١. القرآن الكريـم .

٢. الكتاب المقدس .

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ) :

٣ـ الكامل في التاريخ ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي ،دار الكتب العلمية (بيروت ،١٩٨٧م) .

الازرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد (ت ٢٥٠ هـ):

٤. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي صالح الملحس، دار الأندلس (مكة المكرمة ، ١٣٨٥ هـ) .

ابن إسحاق، محمد بن يسار المطلبي (ت ١٥١ هـ) :

٥. السير والمغازي ، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر. (بيروت ، ١٩٧٨م) .

الأصفهاني، أبو الفرج ، علي بن محمد القرشي (ت ٣٥٦ هـ) :

٦. الأغاني، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الشعب (القاهرة ، ١٩٧٠ م) .

الأصفهاني ، حمزة بن الحسن ، (ت ٣٦٠هـ)

٧–تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ،ط٣،مطبعة مكتبة الحياة (بيروت ،١٩٦١م).

الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك (ت ٢١٦ هـ) :

٨ـ الاصمعيات، تحقيق:احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون (مصر،١٩٦٤ م) .

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفري (ت ٢٥٦ هـ):

٩. التاريخ الكبير، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية (حيدر اباد، ١٣٦٢ هـ) .

البغدادي ، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ هـ) :

١٠ـ خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، ط٢ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي ، (القاهرة ، ١٩٨٨ م)

المصادر :

ابو البقاء، هبة الله الحلي:

١١. المناقب المزيدية في أخبار الملوك الاسدية، تحقيق صالح موسى درادكة ومحمد عبد القادر خريسات ، مكتبة الرسالة الحديثة (عمان ، ١٩٨٤ م)

ابن بكار، ابو عبد الله الزبير (ت ٢٥٦ هـ) :

١٢١. الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني مطبعة العاني، (بغداد، ١٩٧٢ م)

١٣ـ جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود محمد شاكر، دار العروبة (القاهرة ١٣١٨ هـ) .

البكري، ابو عبيد عبد الله بن العزيز الاندلسي (ت ٤٨٧ هـ):

١٤. سمط اللآلي في شرح امالي القالي، تحقيق عبد العزيز الميمنى (د.م ، ١٩٣٦ م)

١٥. معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية (بيروت ،١٩٨٩ م)

البلاذري احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ):

١٦. انساب الاشراف، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف (القاهرة ، ١٩٥٩ م).

البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد، (ت ٤٤٠ هـ) :

١٧. الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق ادور ساكو (لايبزك ، ١٩٢٣م).

ا الثعالبي، ابو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ):

١٨. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، مطبعة القاهرة (القاهرة ، ١٩٠٨ م).

ثعلب، ابو العباس احمد بن يحيى، (ت ٢٩١ هـ) :

١٩. مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف (مصر، د.ت) .

الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥ هـ):

٢٠. البلدان، نشره: صالح احمد العلي، مطبعة الحكومة، (بغداد ، ١٩٧٠ م).

٢١١. البيان والتبيين، دار الكتب العلمية (بيروت ، د.ت) .

٢٢١. الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي ط٣ (بيروت، ١٩٦٩ م).

ابن جبير، ابو الحسن محمد بن احمد(ت ٦١٤ هـ):

٢٣. رحلة ابن جبير، دار التراث (بيروت، ١٩٦٨ م) .

المصادر :

الجواليقي، ابو منصور موهوب بن احمد (ت ٥٤٠ هـ) :

٢٤ـ المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم، تحقيق احمد محمد شاكر، (مصر ١٩٦٩ م) .

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧ هـ):

٢٥. الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مطبعة السعادة (مصر)

٢٦. تلبيس إبليس، (د.م) (د.ت)

ا ابن حبيب، ابو جعفر محمد بن امين بن عمرو الهاشمي (ت ٢٤٥ هـ) :

٢٧ـ أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام وأسماء من قتل من الشعراء، تحقيق عبد السلام هارون ، شركة مصطفى الحلبي (مصر، ١٩٧٣م)

٢٨- المحبر، رواية ابي سعيد الحسن بن الحسين السكري،دار الآفاق الجديدة،(بيروت،١٣٦١هـ)

٢٩١. المنمق في اخبار قريش، مطبعة دائرة المعارف العثمانية (الهند ،١٩٦٤م) .

الحربي ، إبراهيم بن إسحاق (ت ٢٨٥هـ) :

٣٠ـ المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، دار اليمامة (الرياض ، ١٩٦٩م) .

ابن حزم، محمد بن علي بن احمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) :

٣١. جمهرة انساب العرب، وتعليق عبد السلام محمد هارون ، مطابع دار المعارف (القاهرة ، ١٩٦٢م)

الحلبي، علي بن برهان الدين الشافعي (ت ١٠٤٤ هـ):

٣٢١. نساب العيون في سيرة الأمين والمأمون (السيرة الحلبية) المطبعة الرمزية (القاهرة ، ١٩٣٢م) .

الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ) :

٣٣. معجم البلدان، دار صادر (بيروت ،١٩٥٥ م)

٣٤- الخزل والدال بين الور والدارات والديرة ، تحقيق يحيى زكريا عبارة ومحمد أديب حميدان ، (دمشق ، ١٩٩٨م) ، ج١.

المصادر :

الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٧ هـ):

٣٥ـ الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، دار السراج ط ٢ (بيروت، ١٩٨٠ م)

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله:(ت ٣٠٠ هـ).

٣٦. المسالك والممالك، دار احياء التراث العربي (بيروت ،١٩٨٨م)

ا ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ) :

٣٧. وفيات الأعيان وانباء الزمان، (القاهرة ، ١٩٤٨ م) .

الخوارزمي، ابو عبد الله بن محمد (ت ٤٠٧ هـ) :

٣٨. مفاتيح العلوم، (القاهرة، ١٣٤٢ هـ)

ا ابن خياط، خليفة ابو عمرو (ت ٢٤٠ هـ) :

٣٩. الطبقات ، تحقيق سهيل زكار، مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي (دمشق، ١٩٦٦ م)

ابو داود، سليمان بن الاشعث السجستاني الازدي(ت ٢٧٥ هـ) :

٤٠. سنن ابي داود، دار الحديث (القاهرة ، ١٩٨٨ م)

ابن دريد، ابو بكر محمد بن الحسن الازدي البصري (ت ٣٢١ هـ):

٤١. جمهرة اللغة، دار صادر (بيروت، د.ت) .

الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦ هـ):

٤٢. تاريخ الخميس في أحوال انفس نفيس (القاهرة ١٢٨٣ هـ) .

ابن رسته، ابو علي بن عمر (ت ٢٩٠هـ) :

٤٣. الاعلاق النفيسة، دار أحياء التراث العربي (بيروت ١٩٨٨م) .

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ):

٤٤. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مصطفى حجازي، مطبعة الكويت، (الكويت، ١٩٦٩م) .

المصادر :

الزبيري، ابو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب (ت ٢٣٦ هـ) :

٤٥ـ نسب قريش، نشر وتصحيح ، أ. ليفي بروفنسال، دار المعارف للطباعة والنشر (القاهرة ، ١٩٥٣م) .

الزمخشري، ابو القاسم محمد بن عمر بن محمد (ت ٥٣٨ هـ) :

٤٦. الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق احمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة(الإمارات ، د.ت)

٤٧ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي (بيروت ،١٩٤٧ م)

الزهري، محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب (ت ١٢٤ هـ) :

٤٨. المغازي النبوية، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر (دمشق ، ١٩٨١ م)

ابن سعد ، محمد بن منيع (ت ٢٣٠ هـ) :

٤٩. الطبقات الكبرى ، دار صادر (بيروت ، د. ت).

السمعاني، ابو سعيد عبد الكريم بن منصور (ت ٥٦٢ هـ):

٥٠ـ الانساب، تصحيح وتعليق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليماني، مطبعة المعارف العثمانية (الهند ، ١٩٦٢م).

السهيلي، ابو القاسم عبد الرحمن بن احمد بن ابي الحسن الخثعمي (ت ٥٨١ هـ):

٥١ـ الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت ، ١٩٧٨ م) .

الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر بن احمد (ت ٥٤٨ هـ):

٥٢ـ الملل والنحل، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت ١٩٧٥ م).

المصادر :

الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) :

٥٣ـ تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف (القاهرة ١٩٦٧م) .

٥٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر ، (بيروت ، ١٩٨٨ م)

ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩ هـ) :

٥٥. مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت ،١٩٥٤ م) .

بن عبد ربه ، شهاب الدين احمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢٨ هـ):

٥٦. العقد الفريد، تقويم محمد سعيد العريان ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٤٠ م)

العسكري ، ابو هلال عبد الله بن سهيل :

٥٧- الأوائل ، مطبعة دار امل ، (طنجة ، د.ت).

العمري، ابو فضل الله (ت ٧٤٩ هـ):

٥٨ـ مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق احمد زكي باشا، دار الكتب المصرية (القاهرة ١٩٢٤م)

الفاسي، ابو الطيب التقي، محمد بن احمد الحسني المكي (ت ٨٣٢ هـ):

٥٩. العقد الثمين في تاريخ البلد الامين، مطبعة السنة المحمدية (القاهرة ،١٩٦٢ م).

الفاكهي، ابو عبد الله محمد بن اسحاق (ت ٢٨٠ هـ) :

٦٠. تاريخ مكة ، منشور في ضمن كتاب اخبار مكة المشرفة، مكتبة خياط (بيروت د. ت).

الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت ١٧٥ هـ):

٦١. العين، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، دار الرشيد، (بغداد ١٩٨١م).

ابن الفقيه ، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني :

٦٢- مختصر كتاب البلدان ، دار أحياء التراث العربي ، (بيروت ، ١٩٨٨م).

ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ):

٦٣. الشعر والشعراء (طبقات الشعراء) ، مطبعة بريل (لايدن ، د.ت) .

٦٤. عيون الأخبار ، دار الكتب العربية (بيروت ، ١٩٢٥م) .

٦٥ـ المعارف، تحقيق محمد اسماعيل عبد الله الصاوي، المطبعة الإسلامية (مصر ١٩٣٤م)

قدامة ، ابن جعفر الكاتب (ت٣٣٧هـ) :

٦٦ـ الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق محمد حسين الزبيدي ، دار الحرية للطباعة (بغداد ، ١٩٨١م) .

القرشي ، جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين بن ابي بكر علي المخزومي (ت ٩٦٠ هـ):

٦٧. الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، مكتبة الثقافة (مكة المكرمة ، ١٩٧٠ م)

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود:

٦٨. آثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر(بيروت،١٩٦٠م).

القسطلاني ، ابو محمد محمود بن احمد (ت ٨٥٥ هـ) :

٦٩. عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري ، ادارة الطباعة المنيرية (بيروت ، د . ت).

قطرب، ابو علي محمد بن المستنير (ت ٢٠٦ هـ):

٧٠-الازمنة وتلبية الجاهلية، تحقيق حنا جميل حداد، مكتبة المنار (الاردن ١٩٨٥ م).

القفطي ،ابو عمرو يوسف النمري (ت ٤٦٣ هـ) :

٧١-الانباه على قبائل الرواة ، المكتبة الحيدرية (النجف، ١٩٦٦ م).

القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي بن عبد الله (ت ٨٢١ هـ):

٧٢. نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ، تحقيق: إبراهيم الابياري ، (القاهرة ١٩٥٩م).

المصادر :

الكلاعي ، سليمان بن موسى الاندلسي (ت ٦٣٤هـ) :

٧٣. الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مطبعة السنة المحمدية (القاهرة ، ١٩٦٨ م) .

ابن الكلبي، ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي (ت ٢٠٤ هـ):

٧٤. الأصنام ، تحقيق احمد زكي باشا ، دار الكتب المصرية، ط٢ (القاهرة ،١٩٢٤م)

المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ):

٧٥. الكامل في اللغة والادب، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار النهضة (مصر د.ت)

المرزوقي ، ابو علي احمد بن محمد ، (ت ٤٢١ هـ) :

٧٦- شرح ديوان الحماسة، نشره احمد امين وعبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، (القاهرة ، ١٩٦٧ م)

٧٧. كتاب الأمكنة والأزمنة، حيدر آباد الدكن (الهند ١٣٣٢ هـ) .

المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ):

٧٨. أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس للطباعة والنشر، (بيروت ، ١٩٦٦ م) .

٧٩. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ط٢، (القاهرة ١٨٦٤ م) .

مسلم، ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القرشي النيسابوري (ت ٢٦١ هـ):

٨٠. صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق عبد الله احمد ابو زينة، دار الشعب (القاهرة د.ت).

المعري، ابو العلاء احمد بن عبد الله (ت ٤٤٩ هـ):

٨١- رسالة الغفران، تحقيق محمد عزت نصر الله، دار احياء التراث العربي (بيروت ١٩٦٨ م) .

المفضل، ابو العباس بن محمد (ت ١٧١ هـ) :

المصادر :

٨٢ـ ديوان المفضليات ، ، تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ط٣، (مصر ،١٩٦٤ م)

المقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري (ت ٣٨٧هـ) :

٨٣ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٢ ، مطبعة بريل ، (ليدن ، ١٩٠٩م) .

المكي، عبد الملك بن حسين بن عبد الله العصامي، (ت ١١١١ هـ):

٨٤ـ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية (المدينة المنورة، د.ت)

ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت٧١١هـ):

٨٥ـ لسان العرب، دار صادر، (بيروت ، ١٩٥٦ م) .

النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ):

٨٦ـ نهاية الأرب في فنون الادب، ط١،تحقيق :مفيد حميمه ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،٢٠٠٤م) .

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك البصيري (ت ٢١٨ هـ)

٨٧ـ السيرة النبوية ، تحقيق : عبد الرحيم محمد عبد الله الصعاليك، مكتبة المنار (الاردن ، ١٩٨٨ م)

الهمداني، الحسن بن احمد بن يعقوب (ت ٣٥٠ -٣٦٠ هـ):

٨٨ـ صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الاكوع ، دار الشؤون الثقافية (بغداد ١٩٨٩م)

الهندي ، علي الدين المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥ هـ) :

٨٩ـ كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، مؤسسة الرسالة، (بيروت ، ١٩٧٩ م)

اليعقوبي، احمد بن أبى يعقوب بن واضح (ت ٢٩٢ هـ):

٩٠ـ البلدان ، دار إحياء التراث العربي (بيروت ، ١٩٨٨ م)

٩١ -تاريخ اليعقوبي ،دار احياء التراث العربي ، (بيروت -١٩٨٧م) .

المصادر :

المـــــــراجع :

ابراهيم ، محمد أبو الفضل :

٩٢ ـ أيام العرب في الجاهلية ، (بيروت ، ١٩٦١ م) .

ارثر ، كريستنسن:

المصادر :

٩٣- إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، مراجعة عبد الوهاب عزام، الادارة العامة للثقافة (القاهرة، ١٩٥٧ م)

٩٤-الافغاني ، سعيد ، اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، ط٢، مكتبة دار العروبة (الكويت ، ١٩٦٠م) .

الالولسي، محمود شكري البغدادي:

٩٥. بلوغ الارب في معرفة احوال العرب، دار الكتب العلمية ط٢ (بيروت ، د. ت) .

باشميل، محمد بن احمد :

٩٦. التوحيد ، دار الصميدعي للنشر (المملكة العربية السعودية ، ١٤١٨ هـ)

باقر، طه :

٩٧. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، من مطبوعات دار المعلمين العالية شركة التجارة والطباعة المحدودة ، ط١(بغداد ، ١٩٥٦ م).

٩٨. تاريخ ايران القديم ، مطبعة جامعة بغداد (بغداد ، ١٩٨٠ م).(ألفه مع آخرين).

٩٩. تاريخ العراق القديم، مطبعة جامعة بغداد ، (بغداد ، د.ت). (ألفه مع آخرين) .

بلاشير ، ريجيسير :

١٠٠. تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، ترجمة ابراهيم كيلاني،(بيروت ، ١٩٥٦ م).

البياتي ، عادل جاسم :

١٠١. دراسات في الادب الجاهلي، دار النشر المغربية (الدار البيضاء ،١٩٨٦ م).

حتي، فيليب ، وآخرون :

١٠٢. تاريخ العرب مطول (د ، م) ، (د ، ت) .

الحمد، جواد مطر :

١٠٣. موقع القادسية، منشورات اتحاد المؤرخين العرب (بغداد ٢٠٠٠ م).

حمدان ، جمال:

١٠٤. انماط من البيئات (القاهرة ، ١٩٧٦ م) .

حوراني ، جورج فضلوا:

١٠٥. العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر (القاهرة ، ١٩٥٨م).

المصادر :

الحوفي ، احمد محمد :

١٠٦. الغزل في الشعر الجاهلي ، (بيروت ١٩٦١ م).

خان، محمد عبد المعيد:

١٠٧. الأساطير العربية قبل الاسلام ، (القاهرة ، ١٩٣٧م).

الخربوطلي ، علي حسني :

١٠٨. تاريخ الكعبة ، دار الجيل ، (بيروت ، ١٩٧٦ م) .

الخضري، محمد :

١٠٩. محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، (مصر ، ١٩٦٩ م)

خليفة ، يوسف:

١١٠. الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، دار المعارف (مصر ، ١٩٥٩ م)

الدرة ، محمود :

١١١. تاريخ العرب العسكري ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، ١٩٦٤ م)

الدوري ، عبد العزيز :

١١٢. مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مطبعة المعارف (بغداد ، ١٩٤٩ م)

داود ، جرجيس داود :

١١٣ـ أديان العرب قبل الاسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر (بيروت ، ١٩٨١ م).

رشدي، محمد :

١١٤. مدنية العرب في الجاهلية والاسلام، مطبعة السعادة، (مصر ، ١٩١١ م).

رضا، فؤاد علي :

١١٥. ام القرى مكة المكرمة ، مكتبة المعارف (بيروت ،١٩٧٢ م)،

زيدان، جرجي:

١١٦. تاريخ العرب قبل الإسلام ، (بيروت ، ١٩٧٩ م).

سالم ، السيد عبد العزيز:

١١٧. تاريخ الدولة العربية، دار النهضة العربية (بيروت ، ١٩٧٠م).

المصادر :

١١٨ـ دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، مطابع دار لبنان للطباعة والنشر (بيروت د.ت).

شريف ، احمد إبراهيم :

١١٩. مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي (القاهرة ١٩٦٥ م) .

شلبي ، احمد :

١٢٠. التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة (القاهرة ،١٩٧٤ م)

صفوت ، أحمد زكي :

١٢١. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت ،١٩٨٥ م)

ضيف ، شوقي :

١٢٢. الشعر والغناء في المدينة ومكة ، مكتبة الاسكندرية ، (القاهرة ، د ، ت) .

عاقل ، نبيه . :

١٢٣. تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، دار الفكر (دمشق ، ١٩٧٥ م)

عطار ، احمد عبد الغفور :

١٢٤. الكعبة والكسوة منذ أربعة الاف سنة حتى اليوم (مكة المكرمة ، ١٩٧٧م)

١٢٥. حجة النبي واحكام الحج والعمرة في الإسلام والديانات الأخرى ، ط٢ ، مطبعة الاحسان ، (دمشق ،١٩٧٦ م) .

العزاوي، عبد الستار :

١٢٦. طريق الحج القديم ومهمة احيائه ، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد (بغداد ، د.ت) .

العقاد، عباس محمود :

١٢٧. طوالع البعثة النبوية ، دار الهلال (القاهرة ، ١٩٦٨ م)

العلي ، صالح احمد :

١٢٨. محاضرات في تاريخ العرب قبلا الإسلام ، (د، ت) ، (د ، م) .

١٢٩ –معالم العراق العمرانية (د. ت) ، (د.م).

المصادر :

علي ، جواد :

١٣٠ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط٢ ، دار النهضة ، بغداد و دار العلم للملايين ،(بيروت، ١٩٧١م)

عيسى ، احمد عبد الرحمن :

١٣١. من جلالات سورة قريش (الرياض ،١٩٧٧م)

غنيمة ، يوسف رزق الله:

١٣٢. الحيرة المدينة والمملكة العربية ، مطبعة دنكور الحديثة (بغداد ،١٩٣٦ م)

فخري ، احمد:

١٣٣. دراسات في تاريخ الشرق القديم (القاهرة ، ١٩٦٣م)

فروخ، عمر :

١٣٤. تاريخ الجاهلية ، دار العلم للملايين (بيروت ،١٩٦٤م).

القاسمي ، ظافر:

١٣٤. الحياة الاجتماعية عند العرب ، (بيروت، ١٩٧٨ م) .

الكتاني ، عبد الحي :

١٣٦. نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية،دار الكتاب العربي (بيروت د .ت)

كحالة ، عمر رضا :

١٣٧. جغرافية شبه جزيرة العرب ، المطبعة الهاشمية (دمشق ، د.ت).

كستر ، :

١٣٨. الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ، ترجمة يحيى الجبوري، طبع على نفقة جامعة بغداد، (بغداد، ١٩٧٦ م).

ماجد ، عبد المنعم :

المصادر :

١٣٩. التاريخ السياسي للدولة العربية ط٢، (مصر، ١٩٧١ م).

محمد، عبد الرحمن فهمي :

١٤٠. النقود العربية ماضيها وحاضرها، (القاهرة، ١٩٦٤ م).

مهران ، محمد بيومي :

١٤١. تاريخ الحضارات العربية القديمة ، (الرياض ، ١٩٧٦ م)

١٤٢. دراسات في تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية (الاسكندرية ، د . ت).

الهاشمي، احمد :

١٤٣. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء العرب، مطبعة السعادة (مصر ، ١٩٦٠ م).

الهاشمي، علي :

١٤٤. المرأة في الشعر الجاهلي، (بيروت ، ١٩٦١م) .

هنتس ، فالتز :

١٤٥- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة كامل العسلي (عمان ١٩٧٠م) .

يحيى ، لطفي عبد الوهاب:

١٤٦. العرب في العصور القديمة، مطبعة المعرفة الجامعية، (الاسكندرية ١٩٨٦م)

الدوريـــــات :

حديد، احمد سعيد :

١٤٧. السيول في منطقة مكة، المجلة التاريخية ، العدد ٣ (الجمعية العراقية للتاريخ والآثار ، ١٩٧٤م) .

الراشد، سعد عبد العزيز:

المصادر :

١٤٨. برك المياه على طريق الحج من العراق إلى مكة ونظائرها في الأقطار الاخرى، مجلة الاطلال ، العدد ٣ (السعودية ، ١٩٧٩ م)

الربابعة، احمد :

١٤٩. عبادة الاصنام في الجزيرة العربية قبل الإسلام ووظيفتها الاجتماعية، مجلة أبحاث (اليرموك) مجلد ٣ ، العدد الاول ، (الأردن ، ١٩٧٨ م)

عزيزة ، ماجد :

١٥٠. هند بنت النعمان بن المنذر، مجلة بين النهرين، العدد ٤٣ (بغداد ، ١٩٨٣ م)

عواد ، كوركيس :

١٥١- ريازة الكنائس القديمة في العراق عند السريان المشارقة، مجلة سومر، (بغداد ١٩٧٤ م)

ولكنسون ، توني :

١٥٢- مصادر المياه في محطات درب زبيدة ، مجلة (الأطلال) ، العدد ٤ (السعودية، ١٩٨٠ م)

الرسائـــل الجامعيـــة :

الجميلي ، خضير عباس فياض:

١٥٣ـ دور قبيلـة قـريش قبـل الإسـلام، رسـالـة ماجسـتير مقدمـة الـى معهـد الدراسـات فـي الجامعـة المستنصرية ، ١٩٨٦ م ، مطبوعة في المجمع العلمي العراقي ٢٠٠١ م

حسن، صلاح عباس:

١٥٤ـ الحيـاة الاجتماعيـة فـي الحجاز قبل الإسـلام ، اطروحـة دكتـوراه غير منشـورة ، كليـة التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد ، ٢٠٠٠ م .

الحسيني ، خالد موسى عبد :

١٥٥ـ الحيـاة الاجتماعيـة في الحيرة في عهد دولـة المنـاذرة، رسـالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب ، جامعة الكوفة ، ١٩٩٦م .

شذر، إزهار محسن :

١٥٦. قبيلة بني سليم ومكانتها في تاريخ العرب قبل الإسلام، رسـالـة ماجستير غير منشـورة كلية الآداب، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢ م

عبد الرحمن ، هاشم يونس:

١٥٧– المثل والقيم عند العرب قبل الاسلام وعصر الرسـالـة، رسـالـة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٨٧م

علي ، إبراهيم محمد :

١٥٨– المنــاذرة دراســة سياســية وحضــارية (٢٦٨ - ٦٠٢ م) ، رســالـة ماجســتير غيــر منشورة، جامعة الموصل، الموصل ، ١٩٨٢ م

المراجـــع الأجنبيـــة :

١٥٩- Beeston and others: Sabaic Dictionary Louvain 1982

١٦٠ Saad A.Al – Rashid , Darbzubaydah, The pilgrim road from Kufa to Mecca , Riyad University Libraries Leeds, 1977)

١٦١- شبكة المعلومات العالمية الانترنت

www.alsakher.com

Abstract

This thesis “ Hajj Land Raod Between Heera And Mecca In Pre-Islamic Period “ which presented to the Council of the Collage of Arts, University of Baghdad in partial fulfillment for the requirement for the master degree in ancient history. This thesis is supervised by Dr. Jawad Motter Al-Mosawee.

The study is divided into four chapters, which are:-

1- **Arab Hajj in pre-Islamic Period** which explains in details the ways of Hajj, in pre-Islamic period and its meaning. This chapter is divided into five sections:-

A) Hajj in pre-Islamic period.
B) Mecca before Islamic period.
C) The ways of Hajj in pre-Islamic period.
D) How to go on Hajj in pre-Islamic period.
E) The religious jobs in Mecca in pre-Islamic period.

2- **The stations of the Ancient Hajj road from Heera to Mecca in pre-Islamic period** which explains in details the 30th stations between Heera and Mecca, and the distance between one and the others, and it also explains their names as it is mentioned in linguistic lexicon and historical references .

3- **The sources of water and the recent survey for the ancient Hajj land road.** It is divided into three sections:-

A) Water sources in the ancient road stations.
B) Ponds of water in the ancient road.
C) The recent serveys for the ancient road carried out by Dr. Abdul – Sattar Al-Azawee and also Dr. Saad Abdul – Azeez Al-Rashed, which was published in English.

4- **The social and economic states between Heera and Mecca in pre-Islamic period**, this section contains a full description of :-

A) Arab Trade in pre-Islamic period.
B) The social life in Mecca in pre-Islamic period.
C) Allies and Days in pre-Islamic period.
D) Habits and Traditions.

The study contains also maps which clarify the road points, stations and other information.

As conclusion the study concluded several important points.

The tables of references and sources which go beyond 100 references in Arabic and in English. It contains also periodical journal such as specialist scientific magazines and Master And doctorate thesis published and unpublished.

Among a number of obstacles faced the researcher comes the bad security circumstances which prevents making a complete survey for the road or finding suitable references in specialist libraries (which had been damaged during the recent war)so the researcher has to buy those references from local markets. Power failure is the other obstacle that has its bad effect for making photocopy and typing operation.

Finally, this subject is important because it dealt with full description for Hajj which has been exist in pre – Islamic period accompanied with trades and its ways and roads. Add to that point , this road connect two important cites, the first one was Heera which was a kingdom and it was a neighbor to Bezantta and Sassan kingdoms, the second one was Mecca which is glorified before and after Islam so the road between them has its commercial, religious and military importance.

.University Of Baghdad
Collage Of Arts
History Department

Hajj Land Road Between Hiyra And Mecca In Pre-Islamic Period

A Thesis Submitted By
Hassan Kadhim Dakeel

To
The Council Of The Collage Of Arts, University Baghdad In Partial Fulfillment For The Requirement For The Master Degree In Ancient History.

Supervised by
Dr. Jawad Mator Al-Musswiy

1426 A.H **2005 A.D**